العتبة العباسية المقدسة
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

سلسلة المناهج الدراسيّة ٤

علوم القرآن

في دراسات المستشرقين

إعداد:
الشيخ الدكتور لبنان حسين الزين

علوم القرآن
في دراسات المستشرقين

الزين، لبنان حسين، 1981- مؤلف.
علوم القرآن في دراسات المستشرقين / إعداد الشيخ الدكتور لبنان حسين الزين.- الطبعة الاولى.-
النجف، العراق : العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، 1447 هـ. = 2026.
355 صفحة ؛ 24 سم. (سلسلة المناهج الدراسية ؛ 4)
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية : صفحة 338-355.
ISBN : 9789922680873
1. القرآن—علوم—دفع مطاعن. 2. القرآن والاستشراق والمستشرقون. أ. العنوان.

LCC: BP130 .Z35 2026
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٠) لسنة (٢٠٢٦م)

ـ **الكتاب:** علوم القرآن في دراسات المستشرقين
ـ **الإشراف العام:** السيِّد هاشم الميلاني- الشيخ حسن الهادي.
ـ **إعداد:** الشيخ الدكتور لبنان حسين الزين
ـ **الطبعة:** الأولى ٢٠٢٦م/ ١٤٤٧هـ.

Website: www.iicss.iq
E-Mail: islamic.css@gmail.com
Telegram: @iicss

العتبة العباسية المقدسة
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

سلسلة المناهج الدراسيّة ٤

علوم القرآن
في دراسات المستشرقين

إعداد:
الشيخ الدكتور لبنان حسين الزين

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

الدرس الأوّل ١١

تعريف القرآن في الدراسات الاستشراقيّة

الدرس الثاني ٢٣

مصدر القرآن عند المستشرقين؛ دعوى بشريّة مصدر القرآن

الدرس الثالث ٣١

مصدر القرآن في دراسات المستشرقين: (البيئة الجاهليّة أو من الحنيفيّة الإبراهيميّة)

الدرس الرابع ٤١

مصدر القرآن في دراسات المستشرقين :(من الصابئة، النصارى واليهود)

الدرس الخامس ٥١

التشكيك في موثوقيّة النصّ القرآنيّ عند المستشرقين الزيادة على النصّ القرآني

الدرس السادس ٦٥

التشكيك في موثوقيّة النصّ القرآنيّ عند المستشرقين:نقصان النصّ القرآني

الدرس السابع ٧٧

الوحي في دراسات المستشرقين

الدرس الثامن ٨٧

دعاوى بطلان الوحي عند المستشرقين

الدرس التاسع ٩٧

مناقشة دعاوى بطلان الوحي عند المستشرقين ونقدها

الدرس العاشر ١٠٩

شبهة وصف الوحي بالظواهر النفسيّة

الدرس الحادي عشر ١٢١

جمع القرآن في دراسات المستشرقين (١)

الدرس الثاني عشر ١٣١

جمع القرآن في دراسات المستشرقين (٢) آراء المستشرق ثيودور نولدكه

الدرس الثالث عشر ١٤٣

جمع القرآن في دراسات المستشرقين (٣) آراء المستشرق ريجي بلاشير

الدرس الرابع عشر ١٥٥

المكي والمدني في دراسات المستشرقين (١)

الدرس الخامس عشر ١٦٥

المكي والمدني في دراسات المستشرقين (٢)

الدرس السادس عشر ١٧٧

القراءات القرآنيّة في دراسات المستشرقين (١)

الدرس السابع عشر ١٨٧

القراءات القرآنيّة في دراسات المستشرقين (٢)

الدرس الثامن عشر ١٩٧

القراءات القرآنيّة في دراسات المستشرقين (٣)

الدرس التاسع عشر ٢٠٧

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (١)

الدرس العشرون ٢١٩

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (٢)

الدرس الواحد والعشرون ٢٣١

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (٣)

الدرس الثاني والعشرون ٢٣٩

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (٤)

الدرس الثالث والعشرون ٢٤٩

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (٥)

الدرس الرابع والعشرون ٢٦١

النسخ في دراسات المستشرقين (١)

الدرس الخامس والعشرون ٢٧١

النسخ في دراسات المستشرقين (٢)

الدرس السادس والعشرون ٢٨١

النسخ في دراسات المستشرقين (٣)

الدرس السابع والعشرون ٢٩١

ترجمة القرآن عند المستشرقين (١)

الدرس الثامن والعشرون ٣٠٥

ترجمة القرآن عند المستشرقين (٢)

الدرس التاسع والعشرون ٣١٧

ترجمة القرآن عند المستشرقين (٣)

الدرس الثلاثون والعشرون ٣٢٧

ترجمة القرآن عند المستشرقين (٤)

قائمة المصادر والمراجع ٣٣٩

مقدّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وأعزّ المرسلين سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

لقد لعب المستشرقون دورًا كبيرًا للحيلولة دون وصول مبادىء القرآن وتعاليمه إلى شعوب بلدانهم، والتقليل من أهمّية القرآن عند المسلمين، وقد أشار غلادستون إلى ذلك عندما قال: "ما دام هذا القرآن موجودًا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون في أمان" . وزعم جورجسيل في مقدّمة ترجمته لمعاني القرآن، أنّ القرآن إنّما هو من اختراع محمّد ومن تأليفه وأنّ ذلك أمر لايقبل الجدل. ويزعم ريتشارد بل بأنّ النبي محمّدًا صلى الله عليه وآله قد استمدّ القرآن من مصادر يهوديّة ومن العهد القديم بشكل خاصّ، وكذلك من مصادر نصرانيّة. ويزعم دوزي أنّ القرآن الكريم ذو ذوق رديء للغاية ولا جديد فيه إلّا القليل،كما يزعم أنّ فيه إطنابًا بالغًا ومملاً إلى حدّ بعيد. وذهب بعض المستشرقين ومنهم تسدال ومستر كانون (سل) وغيرهما إلى أنّ الحنفية ورجالها قبل البعثة المحمّديّة هم أحد مصادر القرآن بدليل وجود توافق وتشابه بين أحكام القرآن وهداياته وبين ما كان يدعو إليه الحنفاء مثل: الدعوة لإفراد الله بوحدانيّته سبحانه وتعالى، ورفض عبادة الأصنام، والوعد بالجنان، والوعيد بالعقاب في جهنم...، ومنع وأد البنات. والإقرار بالبعث والنشور والحساب.

واعتبر بعضهم أنّ الصابئة مصدر من مصادر القرآن الكريم؛ وذلك للتشابه بينهما وبين ما جاء في القرآن من عقائد وعبادات ونسك، حيث قالوا إنّ التأثير من الصابئة انتقل لمحمّد صلى الله عليه وآله عبر الوسط الوثني، الذي عاش فيه وأخذ منه كثيراً من طقوسه الدينيّة...

كما زعموا أنّ الوسط الوثني مصدر من مصادر القرآن الكريم، وزعم (تسدال) أنّ كثيراً من المطالب الواردة في القرآن، وفي الأحاديث تطابق مطابقة غريبة لما ورد في كتب

الزرادشتيّة والهنديّة القديمة، فنتج من ذلك أنّنا ملزمون -على حدّ تعبيره- أنّ الهندية مصدر من مصادر القرآن، وأنّ النصرانيّة كانت أحد المصادر التي أخذ منها محمّدﷺ وأدخلها في قرآنه مع أنّ مصادر النصرانيّة هذه لم تكن موثوقة، بل كانت لفرق شاذّة، لها أساطير غريبة، وكان يظن أنّها الإنجيل. وكذا زعم جولد سهير وغيرهم أنّ اليهوديّة مصدر من مصادر الإسلام، وغيرها الكثير ممّا أثاروه ونشروه بلغات العالم. والواضح من هذه النماذج أنّ الأعم الأغلب منهم -وإن صُنّفوا علماء وباحثين عندهم- يدرس القرآن بروحيّة بعيدة عن التجرّد والموضوعيّة والشفافيّة التي تشكّل أوّليات البحث العلمي، وهو ما يكشف عن أنّ الأولويّة والاهتمام البالغ الذي أولاه الباحثون المستشرقون بالقرآن الكريم نشأ في كثير من الأحيان من المخاوف التي استحوذت على عقليّة الإنسان الغربيّ ونظرته إلى الإسلام نظرة المنافس المهدِّد له باستلاب حضارته وثقافته.

وقد أدّت هذه الجهود الاستشراقيّة في مجال ترجمة القرآن الكريم والدراسات القرآنيّة الكثيرة والمتنوّعة في أغلب ما نتج عنها -عن تعمّد أو عن قلّة اطلاع وعلم ودراية- إلى الوقوع في أخطاء خطيرة وجسيمة وإلقاء شبهات كثيرة بعيدة عن قيم الإسلام وعقائده ولا تليق بالقرآن الكريم؛ وهو منزّه عنها؛ ما استدعى ذلك ردوداً من قِبَل العلماء والباحثين المسلمين على مدار العقود المنصرمة.

ونظرًا لأهمية بحوث علوم القرآن والحاجة إليها، فإنّنا قد عمدنا إلى تقديمها على شكل متنٍ تعليميّ كي يسهّل على المعلّمين والمتعلّمين دراسته وفهم مطالبه؛ ولهذه الغاية فقد اعتمدنا لغةً وأسلوباً سلساً في تحرير مضامينه، وتوزيعها على شكل دروس، بنحوٍ باتت تشكّل منهجًا تعليميًّا، وتمّ وضع أهدافٍ خاصّة لكلّ درسٍ، وأسئلةٍ حول الدرس تنسجم مع الأهداف المحدّدة للدرس، وخلاصة أو أفكار رئيسة في نهاية كلّ درس.

الحمد لله رب العالمين

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجيّة

الدرس الأوّل

تعريف القرآن في الدراسات الاستشراقيّة

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يبيّن تعريف القرآن في أبرز موسوعتي دائرة المعارف الإسلاميّة، دائرة المعارف البريطانيّة، وقصّة الحضارة.

٢. يشرح تعريف القرآن في موسوعة قصّة الحضارة.

٣. يطّلع ويناقش الافتراءات والمغالطات التي حوتها تلك التعريفات.

٤. يفهم أبرز الملاحظات الواردة عليها.

مدخل

حاز القرآن الكريم مكانة معنويّة كبيرة في نفوس المسلمين، فهو المصدر الأساس لتنظيم حياتهم الفرديّة والاجتماعيّة، وأمور دينهم ودنياهم وآخرتهم.

والقرآن الكريم الذي يعتقد به المسلمون له الخصائص الآتية مجتمعة؛ وهي:

- هو الكتاب السماويّ المقدّس لدى المسلمين.
- وهو المصدر الأول للتشريع.
- أُوحيَ للنّبيّ محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله خلال فترة نُبُوَّته التي دامت (٢٣) سنة.
- بواسطة الملك جبرائيل عليه السلام[١].
- القرآن بألفاظه هو كلام الله، ومعجزة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.
- هو الكتاب السماوي الأخير.
- هو من المعاجز الأساس التي أتى بها الرسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله، بحيث لا يمكن لأحدٍ من الخلق أن يأتي بمثله.
- له أوجه إعجاز متعدّدة؛ من أهمها: الإعجاز اللغوي والبلاغي، وما جاء به من أخبار القرون والأمم البائدة، والإعجاز على المستوى العلمي (الإخبار عن القوانين الكونية) والتشريعي (الجامعيّة في التشريع) وغير ذلك.
- يرى جميع المسلمين اليوم أنّ القرآن لم يحرّف، والقرآن الموجود بين الدّفتين حاليًا هو بعينه ما نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله.

---

[١]- يرى مشهور علماء التفسير أنَّ بعض آيات القرآن نزلت من الله -تعالى- على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله من دون توسُّط ملاك الوحي، وهو ما يسمَّى بالوحي المباشر.

ويمكن تعريف القرآن الكريم -حسب المشهور بين العلماء- بأنّه: كلام الله -عز وجل- المعجز، المتعبّد بتلاوته، المنزل على خاتم أنبيائه محمّدﷺ بلفظه ومعناه، المنقول عنه بالتواتر المفيد للقطع والتعيين، المكتوب بين دفتي المصحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

وهناك تعريفات عدّة ذكرها المستشرقون للقرآن الكريم؛ منها:

أوّلًا: تعريف القرآن في دائرة المعارف الإسلاميّة

١. مادة «قرآن» في دائرة المعارف الإسلاميّة

المادّة التعريفيّة كتبها المستشرق «ف. بول»[١]. وقد عرض هذه المادة في ثلاث عشرة صفحة ذكر في أوّلها أنّ القرآن هو كتاب المحمّديين المقدس، ثم قسم حديثه عن القرآن إلى أقسام عدّة جعلها على شكل فقرات مرقّمة بلغت اثنتين وعشرين فقرة. وتختصر هذه المادة التعريفية أغلب الآراء حول القرآن الكريم التي كانت سائدة في الدراسات الاستشراقيّة القديمة؛ لأنّ هذه المادة التعريفية للقرآن الكريم تناولته من أبعاد مختلفة.

٢. تعريف القرآن

القرآن هو: كتاب المحمّديين المقدّس[٢] وضعه النبيّ من عند نفسه، اتّهم فيه اليهود بأنّهم حرَّفوا التوراة، وأنّهم يكتمون ما أنزل الله به من البينات والهدى، واتّهم فيه النصارى بأنّهم حرَّفوا الإنجيل، وأنّهم حرَّفوا الآيات الشاهدة على صدقه[٣]، وقد

[١]- ف. بول **(F. Buhl)** (١٨٥٠-١٩٣٢م): مستشرق دانماركيّ، ولد في كوبنهاجن، وبدأ حياته الجامعيَّة بدراسة اللاهوت، وعني عناية خاصَّة بدراسة اللغات االشرقيَّة، ولا سيَّما اللغة العربية. وفي عام ١٨٧٨م حصل على درجة الدكتوراه، وكان موضوعها عن دراسات النحو العربيّ وتاريخ اللغة، ساهم في كتابة كثير من مواد دائرة المعارف الإسلاميَّة؛ إذ بلغت أكثر من سبعين مادَّة. أمَّا دراساته عن الإسلام فقد ظهرت في بداية القرن العشرين، حيث نشر كتبًا ومقالات عدَّة، منها: كتاب «حياة محمّد» باللغة الدانماركيَّة. (انظر: العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص٥٢٢-٥٢٣).

[2]- Ency., of Islam. Vol. 4 Article KORAN, P.1063.

[٣]- انظر: دائرة المعارف الإسلاميّة، ج٤، مادَّة (التحريف)، ص٦٠٣، ٦٠٧.

جمعه من القصص السريانية، والأساطير اليهوديّة، والتوراة، والزبور والتلمود[١]، والهاجاداة[٢]، ومشناه سنهدرين[٣]، وسفر التكوين، ومصادر يهوديّة متأثّرة بالإيرانيّة، وسفر إستير[٤]، وسفري الملوك وسفر الخروج، وسفر التكوين، والإنجيل، وإنجيل صُبُوَّة المسيح، وإنجيل لوقا، وأعمال الرسل، وقصة الإسكندر، وملحمة جلجامش[٥].

والقرآن كان في الحقيقة كتابًا محجوبًا، وإنّ النبيّ سمع صوت الله ولم يقرأ شيئًا، وإنّه يجب علينا أن نتخيل أنّ الله قد قرأ حقيقة على النبيّ من الكتاب السماوي.

وقد وقع فيه اختلاف بين نسخه من ناحية ترتيب آياته وسوره، وتمكّن الشيطان من تخليطه، ونسي الرسول من آياته عددًا، وجاء فيه بأخبار متناقضة سعى المفسّرون للتخلّص منها، ويحتوي على عدد من الإضافات التفصيلية وانتقال الجمل

---

[١]- التوراة هي الأسفار المعترف بها من اليهود العبرانيّين -هم الذين لهم الغلبة والكثرة الآن- وهي كذلك معترف بها من قبل البروتستانت. أمَّا الكاثوليك فيضيفون سبعة أسفار أخرى مع تبديل في أسفار الملوك. والجدير بالذكر أنّ عند اليهود كتابًا يعظِّمونه أشدّ من تعظيمهم للتوراة وهو التلمود، ويزعمون أنَّ موسى عليه السلام لمَّا استلم كتابه التوراة من ربِّه مكتوبة في الألواح، استلم كذلك تعاليم التلمود معها شفاهًا. وهناك تلمودان: أورشليميّ وبابليّ. التلمود البابليّ هو الأضخم حجمًا، والأكثر دراسةً، وهو يتضمَّن بشكل عامّ تشريعًا قانونيًّا، ومنهجًا أخلاقيًّا، وجملةً من الطقوس والشعائر الدينيَّة، ومقطوعاتٍ شعريَّة، وصلواتٍ وقصصًا تاريخيَّة، وطرائف وحكايات شعبيَّة وأساطير.

[٢]- تنقسم الموادّ التي تُشكِّل لُبّ التلمود إلى قسمين يعرفان بـ: «الهالاخاة» و«الهاجاداة». و«الهالاخاة» تتعلَّق بالأجزاء التشريعيَّة، وهي الاستنباط المنطقيّ لأجيالٍ من العلماء، وشكَّلت «الهالاخاة» أسلوب حياة اليهوديّ. أمَّا «الهاجاداة» فتتعلَّق بالأقسام غير التشريعيَّة، وهي أقسامٌ تتساوى في أهمِّيَّتها مع الأقسام الأخرى. وهي مجموعة من القصص المحرّفة المختارة من «الكتاب المقدَّس» و«المشناة» و«المدراش».

[٣]- المشناة: معناها بالعربيَّة (يُثنيّ أو يكرر)، ولكن تحت تأثير الفعل الآراميّ « تانا » أصبح معناها (يدرس)، ثمَّ أصبحت الكلمة تشير بشكلٍ محدَّد إلى دراسة الشريعة الشفويَّة. فهي أوَّل لائحة قانونيَّة وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة. والمشنا تتكوَّن من أبوابٍ ستَّة يسمِّيها اليهود «سيداريم» أي الأحكام. والسنهدرين تعني المحكمة، وهي الباب الرابع من أبواب المشناة. (انظر: خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص١١-١٥، ٢١).

[٤]- إستير: هي ملكة يهوديّة، وزوجة الملك الفارسيّ «خشايارشا الأوَّل» الذي حكم بين ٤٨٥ و٤٦٥ قبل الميلاد، وهو الملك الرابع في سلالة الأخمينيّين ببلاد فارس. وردت قصَّتها في السفر المسمَّى باسمها «سفر إستير». (لمزيد من التفاصيل انظر: البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٣).

[٥]- انظر: دائرة المعارف الإسلاميَّة، ج٣، مادَّة (إنجيل)، ص١١ وما بعدها؛ ج١٠، مادَّة (زكريا)، ص٣٦٨؛ ج١٠، مادَّة (بلقيس)، ص٣٦٨؛ وانظر كذلك:

Ency., of Islam. Vol. 6 Article MUSA, – P.739.

والتحريفات غير الضارّة، وأعيدت صياغته، فانتهى إلى صورته الحالية بعد أن فقد كمية كبيرة من الوحي المبكر[١].

فالقرآن حسب دائرة المعارف الإسلاميّة هو عبارة عن:

- كتاب بشري من صنع النبيّ محمّد.
- ملفّق من مصادر متعدّدة.
- محرّف فقد فُقدت منه آيات ثم أعاد المسلمون صياغته[٢].

ثانيًا: تعريف القرآن الكريم في دائرة المعارف البريطانية (Encyclopaedia Britannica)

طرحت هذه الموسوعة عناوين عدّة عن القرآن: تعريف القرآن، شكل القرآن ومضمونه، محتوياته، مصير الإنسان، أصول القرآن طبقًا للمسلمين، أصوله طبقًا للمستشرقين، التفسير والتراجم. وسنركّز البحث على العنوان الأول وهو تعريف القرآن الكريم.

جاء تعريف القرآن في دائرة المعارف البريطانية: القرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ويعده المؤمنون كلمة الحق من ربهم، وأنّه كتاب أوحي به إلى النبيّ وجمع في كتاب بعد مماته ويعتقدون أنّه كتاب أزلي وأنّه أوجد في اللوح المحفوظ ومن المحتمل أنّ كلمة قرآن مشتقة من كلمة قرأ وهي كلمة سريانية في أصلها وفي القراءة كانت تستعمل في الكنيسة السريانية. والقرآن ينظر إليه المسلمون بوصفه مرجعًا أساسًا للفصل في المسائل التي تتعلّق بالأمور التشريعية والأمور الدينية، ولا يقبل بأيّ حال من الأحوال الطعن في ما يقول. كما أنّ اللغة العربيّة التي صيغ بها تعد بأنّها لا يمكن

---

[١]- انظر: دائرة المعارف الإسلاميّة، ج٢، مادَّة (أصول)، ص٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٣؛ ج١٢، مادَّة (سورة)، ص٣٥٨؛ وانظر كذلك: Ency., of Islam. Vol. 4 Article KORAN, – P.1065, 1071.

[٢]- لمزيد من الاطّلاع، انظر: الحميّد، القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلاميّة، ص٣٨ وما بعدها؛ عبَّاس، قضايا قرآنيَّة في الموسوعة البريطانيَّة نقد مطاعن وردّ شبهات، ص٢٣-٢٩.

التفوق عليها في نقائها وجمالها وأسلوبها الرائع، وأنّه لا مجال لتقليده، حيث إنّ هذا هو الجنون بعينه.

في هذا التعريف يوجد نقاط عدّة؛ هي:

١. ما يتعلّق بجمع القرآن

ورد في الموسوعة: «وجمع في كتاب بعد مماته».

ومن المعلوم أنّ الآيات القرآنيّة كانت تنزل على قلب النبيّ وكان صلى الله عليه وآله يقرؤها على أصحابه، وأصحابه ولشدّة شغفهم وتعلّقهم بالقرآن يتلقّونها بالحفظ، ومن المعروف بين الباحثين أنّ هناك ظاهرة على زمن الرسول أُطلق عليها اسم «كُتّاب الوحي» وأنّ القرآن الكريم كتب في زمنه ﷺ وأنّ قضية الجمع للمصحف ليست بمعنى الكتابة.

٢. ما يتعلّق بالإتيان بمثله

وفي آخر التعريف: «وأنّه لا مجال لتقليده، حيث إنّ هذا هو الجنون بعينه».

والصحيح أنّ القرآن الكريم هو معجزة الرسول الخالدة؛ كما قال تعالى: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ (الطور: ٣٤)، وقال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (هود: ١٣)، وقال تعالى: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (يونس: ٣٨)، ولكل مرحلة من مراحل التحدي طبيعتها وظروفها، وآخر مرحلة طرحها القرآن هي الإتيان بسورة واحدة من مثله من دون تحديد نوع السورة وحجمها، وعلى كل حال لم يأتوا بشيء من مثله وإلى الآن لا العرب القدماء ولا غيرهم قدروا على ذلك، فلم يتمكن أحد إلى هذه اللحظة من محاكاة القرآن، وعلى قاعدة لو كان لبان، فإنّ عدم الإتيان بمثله سببه عجزهم عن

ذلك، وسيأتي الكلام بحث إعجاز القرآن عند المستشرقين[١].

٣. معنى كلمة قرآن

ورد في التعريف: «كلمة قرآن مشتقة من كلمة قرأ وهي كلمة سريانية في أصلها وفي القراءة كانت تستعمل في الكنيسة السريانية».

والصحيح أنّه لا يوجد في القرآن كلمة غير عربية، فلو كان ثمّة كلمات غير عربيّة في القرآن لاتهموا القرآن الكريم بالكذب، ولقالوا: كيف يصف نفسه بأنّه قرآن عربي مبين، وفيه كلمات أعجمية، مع العلم أن الله عز وجل في ما يربو عن عشرة آيات يشدد ويؤكّد على أنّه قرآن عربي مبين، بل نراه يصرح وينفي كونه أعجميًا بالمجموع، وينفي أن يكون بعض آياته عربيًا والبعض الآخر أعجميًا، وهذا ما نجده واضحًا وصريحًا في سورة فصلت في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ**﴾ (فُصِّلت: ٤٤). فهل يعقل أن العرب الفصحاء لم تمر على مسامعهم كلمات في القرآن غير عربيّة ولم يلتفتوا إليها ولم يحتجوا بها في مقام الرد، والصحيح أنّهم لو وجدوا كلمة واحدة غير عربيّة لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها، ولوصلت إلينا هذه الردود والتشكيكات.

إنّ هنالك عند العرب كلمات معربة، أي إنّها جاءت إلى العرب من لغات أخرى، ولم يتلفظوا بها كما هي، وإنما عرّبوها ونطقوا بها، أي لم يستعملوها كما وردتهم، وسبب ذلك أنّهم عرب لهم لغتهم الخاصة ويتفاخرون بها، ولا يرضون بأي دخيل وغريب يدخل فيها، ومن هذه الكلمات هي كلمة (قريان) وغيرها، فلم نجد ولم ينقل أن العرب استعملت هذه الكلمة وغيرها بحسب أصلها، وإنما عرّبوها إلى (قرآن)، وظاهرة التعريب في كلام العرب ظاهرة مقررة عند أهل العربية؛ والتعريب ليس أخذًا للكلمة من اللغات الأخرى كما هي ووضعها في اللغة العربية، بل التعريب هو: أن تصاغ اللفظة الأعجمية بالوزن العربي، فتصبح عربيّة بعد وضعها على وزان الألفاظ

[١]- انظر: عبّاس، قضايا قرآنيّة في الموسوعة البريطانيّة، ص٢٣-٢٥.

العربية، فيتدخلون في بنية الكلمة بزيادة أو نقيصة حتى تكون على طبق الوزن العربي الفصيح. وسيأتي الرد على سريانية القرآن الكريم أو آراميّته.

ثالثًا: تعريف القرآن في موسوعة قصّة الحضارة

ملخّص ما جاء في الموسوعة[١]:

- القرآن يتألّف كما يتألف الكتاب المقدس كتاب اليهود والمسيحيّين من أجزاء جمع بعضها إلى بعض.
- القرآن يختلف عن التوارة في أنّه كله نطق به رجل واحد.
- القرآن لم يجمع في كتاب واحد في حياة النبيّ وأنّه كان مكتوبًا في أشياء مختلفة ومتفاوتة ولم يكن مرتبًا ترتيبًا زمنيًّا أو منطقيًّا...
- لمّا كانت ألفاظ القرآن خالية من الحركات فقد اختلف بعض القرّاء في تفسير بعضها واختلفت نصوصها.
- من شأن الظروف التي أحاطت بالقرآن أنْ تعرّضه للتكرار وعدم الانسجام فكل فقرة تؤدي إلى غرض واضح مفهوم ولكننا لسنا واثقين من أنّ محمّدا كان يريد جمع هذه الأجزاء كلها في كتاب واحد، فقد كان كثير منها حديثًا لرجل واحد بعينه في وقت بعينه ويصعب فهمه دون معرفة واسعة بتاريخ ذلك الوقت وتقاليد أهله.
- عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وهي مرتبة حسب طولها، لا بحسب نزولها.
- إذا كانت قصار السور بوجه عام أقدم عهدًا من طوالها؛ فإنّ للقرآن تاريخ مقلوب. فالسور المدنية وهي التي يبدأ بها الكتاب، وهي عملية في

---

[١]- انظر: ديورانت، قصّة الحضارة، ج١٣، ص٤٨-٥٢.

أغراضها، عادية في أسلوبها. أما السور المكية فهي شعرية روحية وبها ينتهي الكتاب. وخليق بنا أن نبدأ بقراءته من نهايته.

- جميع السور ما عدا فاتحة الكتاب حديث من الله أو جبريل إلى النبيّ أو أتباعه أو أعدائه، وتلك هي الطريقة التي سار عليها أنبياء بني إسرائيل، وهي التي نراها في كثير من فقرات أسفار موسى الخمسة. وكان محمّد يعتقد أنّه ما من قانون أخلاقي يمكن أن يقع في النفوس، وأن يطاع طاعة تكفل للمجتمع النظام والقوة؛ إلا إذا آمن الناس أنّه منزل من عند الله، وهذه الطريقة تتفق مع الأسلوب الحماسي الفخم ومع البلاغة اللذين يسموان في بعض الأحيان عن أقوال النبيّ أشعيا. وهو غني بالتشبيهات والاستعارات القوية الواضحة والعبارات الخلابة التي لا توائم ذوق الغربيين[١].

[١]- انظر: أبو حسّان، «القرآن الكريم في موسوعة قصّة الحضارة عرض ونقد لما كتبه ول ديوارنت بعنوان شكل القرآن»، ص٤٩-٥٧.

الأفكار الرئيسة:

- عرّف المستشرقون القرآن بأنّه كتاب المحمّديين المقدّس، وضعه النبيّ من عند نفسه، اتّهم فيه اليهود بأنّهم حرَّفوا التوراة، وأنّهم يكتمون ما أنزل الله به من البينات والهدى، واتّهم فيه النصارى بأنّهم حرَّفوا الإنجيل، وأنّهم حرَّفوا الآيات الشاهدة على صدقه، وقد جمعه من مصادر سريانية ويهوديّة وغيرهما من المصادر القديمة.

- القرآن حسب تعريف دائرة المعارف الإسلاميّة هو عبارة عن:

• كتاب بشري من صنع النبيّ محمّد.

• ملفّق من مصادر متعدّدة.

• محرّف فقد فُقدت منه آيات ثم أعاد المسلمون صياغته.

- أوردت دائرة المعارف البريطانية تعريفًا للقرآن تضمّن نقاط عدّة؛ هي:

• ما يتعلّق بجمع القرآن: «وجمع في كتاب بعد مماته».

• ما يتعلّق بالإتيان بمثله: «وأنّه لا مجال لتقليده، حيث إنّ هذا هو الجنون بعينه».

• معنى كلمة قرآن: «كلمة قرآن مشتقة من كلمة قرأ وهي كلمة سريانية في أصلها وفي القراءة كانت تستعمل في الكنيسة السريانية».

- تعريف القرآن في موسوعة قصّة الحضارة:

• يتألّف كما يتألف الكتاب المقدس من أجزاء جمع بعضها إلى بعض.

• يختلف عن التوارة في أنّه كله نطق به رجل واحد.

• لم يجمع في كتاب واحد في حياة النبيّ، ولم يكن مرتبًا ترتيبًا زمنيًّا أو منطقيًّا...

- ألفاظه خالية من الحركات وقد اختلف بعض القرّاء في تفسير بعضها واختلفت نصوصها.
- تعرّضه للتكرار وعدم الانسجام.
- عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وهي مرتبة حسب طولها، لا بحسب نزولها.
- إذا كانت قصار السور بوجه عام أقدم عهدًا من طوالها؛ فإنّ للقرآن تاريخ مقلوب.

فكّر وأجب:

١. بيّن تعريف القرآن في دائرة المعارف الإسلاميّة، مع الملاحظات عليه.

٢. ما هو التعريف الذي أوردته دائرة المعارف البريطانية للقرآن؟ وما هي الملاحظات عليه؟

٣. اذكر التعريف الذي أوردته موسوعة قصّة الحضارة للقرآن، مع بيان الملاحظات عليه.

٤. قوّم بأسلوبك هذه التعاريف بملاحظة التعريف المعتمد للقرآن الكريم.

الدرس الثاني

مصدر القرآن عند المستشرقين
دعوى بشريّة مصدر القرآن

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يطّلع على اهتمام المستشرقين بالبحث عن مصدر القرآن.

٢. يتعرّف على بعض دعاوى المستشرقين في مصدر القرآن؛ لجهة بشريّته.

٣. يطّلع على ضعف دعوى بشريّة مصدر القرآن ومغالطاتها وأخطائها.

٤. يمتلك القدرة على ردّ هذه الدعوى وإبطالها.

مدخل

قبل عرض آراء المستشرقين في مصدر القرآن وتفنيدها، لا بدّ من الالتفات إلى أنّ القرآن الكريم يقرّر حقّانيّة رسالة النبيّ ﷺ، وأنّ أوّل دلائل النبوة وأعظمها وأظهرها هو القرآن الكريم المنزل على قلب الرسول الأمين ﷺ بلسان عربيّ مبين تحدّى الله به الأولين والآخرين أن يأتوا بسورة من مثل سوره، فعجزوا وإلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة، ٢٣-٢٤). فالله تعالى أنزل القرآن على النبيّ ليكون دالاًّ على صدق الرسول في دعوة الرسالة والتبليغ عنه سبحانه وبمقتضى هذا أنزله يحمل في أسلوبه ومعانيه، وتشريعه ومعارفه عناصر الإعجاز، وقد أمر الله رسوله أن يتحدّى به القوم، فتحدَّاهم وأظهر عجزهم، فتمّت بذلك الحجّة عليهم.

وإذا تأملنا في بعض آيات القرآن نجد أنّ هذه الدعوى كانت في عصر النبوة؛ فقد حكى القرآن عن موقف الكفار منه (أي من القرآن الكريم نفسه) بقوله: ﴿**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ (سبأ: ٤٣)، وبقولهم الذي حكاه -أيضًا- عنهم من أنّ هذا الكتاب أعانه عليه الآخرون، وأنّه أساطير الأولين: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ (الفرقان: ٤-٥).

كما حكى القرآن موقفهم وتخبّطهم في هذا المجال، فتارة قالوا هو أضغاث أحلام

وافتراه شاعر[١]، وتارة شكّكوا بأنّ من نُزِّل عليه القرآن ليس أهلاً لذلك[٢]، وتارة أقرّوا بصدق المنَزّل وأهلية المنَزّل عليه؛ ولكنّهم أنكروا كيفيّة إنزاله[٣]، وتارة طلبوا قرآنًا غير هذا القرآن[٤]، إلى غير ذلك من مواقفهم المختلفة والمضطربة والتي تدل على انعدام المنطق عندهم.

وأمّا موقف أهل الكتاب، فهو يختلف عن موقف الكفار؛ فهؤلاء -حسب ما يحكي القرآن عنهم- عرفوا الحق؛ ولكنهم أنكروه أو أخفوه كما قال -تعالى-: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٨٩).

أوّلًا: اهتمام المستشرقين بالبحث عن مصدر القرآن الكريم

عند مراجعة الأبحاث والدراسات التي كتبها المستشرقون عن مصدر القران الكريم نجد أنّ موقفهم متّفق في الأغلب على مسألة واحدة، وهي: نفي أي علاقة بين هذا الكتاب والسماء، أيْ التعامل مع القرآن على أنّه نتاج بشريّ وليس كتابًا سماويًّا. تهدف هذه الدراسة في النتيجة إلى التشكيك بحجّيّة القرآن. والمستشرقون في هذا الاتجاه يسلكون مسارين متكاملين:

- إرجاع القرآن إلى مصادر شتى من خارج مصدريّة الوحي الإلهيّ.

- التشكيك في صحة النص القرآني وموثوقيّته ورميه بالتحريف.

وفي هذا الموضوع أُلّفت العديد من الكتب والبحوث، منها:

- «المدخل إلى القرآن»، لـ«بلاشير الفرنسيّ»، ونشر في باريس ١٩٤٧م.

- «المدخل إلى القرآن»، لـ«د. بل»، ونشر في إدنبره عام ١٩٥٤م.

---

[١]- انظر: سورة الأنبياء، الآية ٥.

[٢]- انظر: سورة الزخرف، الآية ٣١.

[٣]- انظر: سورة الفرقان، الآية ٣٢.

[٤]- انظر: سورة يونس، الآية ١٥.

- «المصادر الأصلية للقرآن»، للمنصر البورتستانتي «سانت كلير تِسدَل».
- «مصـادر القصص الأصلية في القرآن وقصص الأنبياء»، لـ«سـايدر سكاي»، باريس ١٩٣٢م.
- «مصادر تاريخ القرآن»، لـ«آرثر جفري».
- «تاريخ القرآن»، لـ«بوتيه»، طبع في باريس ١٩٠٤م.
- «التطور التاريخي للقرآن»، لـ«إدوارد سيل»، مدراس الهند ١٨٩٨م.
- تاريخ النصّ القرآنيّ، لـ«إجناس جولدتسهر»، جوتنجن ١٨٦٠م.
- «تاريخ النصّ القرآنيّ»، لـ«تيودور نولدكه».

ثانيًا: بعض دعاوى المستشرقين في مصدر القرآن

من الواضح أنّ المستشرقين وجّهوا سهام نقدهم للقرآن؛ لأنَّه المعجزة الخالدة للدين الإسلاميّ، وبتضعيفهم لهذا الكتاب يكونون قد قضوا -حسب زعمهم- على الدين الإسلاميّ؛ لذا ركّزوا جهودهم في بعض البحوث القرآنيّة، خاصة بحث «مصدر القرآن الكريم»؛ لأنَّه من خلال التشكيك بوحيانيّة القرآن والقول بأنَّه من صُنع البشر، يتوصَّل هؤلاء -حسب زعمهم- إلى إبطال أصل الدين الإسلاميّ.

دعوى بشريّة القرآن الكريم

١. بيان دعوى بشريّة القرآن

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذه الشبهة، أيْ نسبة القرآن إلى النبيّ من أقدم الشبهات التي أثارها العرب في عهد النبوة، كما أشار لذلك القرآن الكريم في قوله: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (النحل:

١٠١)؛ أي إنّك متقوِّل على الله تعالى. وكما قال أيضًا: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا**﴾ (الفرقان: ٤)، إلى غيرها من الآيات.

فما ذهب إليه بعض المستشرقين من أنّ مصدر القرآن الكريم هو محمّدﷺ ليس بجديد، وأنَّه قد ألّفه بلغته الخاصة، ولذلك كان يغيّر في القرآن ويبدّل فيه حسب هواه، وهذا يدلّ على أن «القرآن ليس من عند الله تعالى»[١]، كما قال المستشرق هـ.ج ويلز: «محمّد هو الذي صنع القرآن»[٢]، وكما قال يوليوس فلهاوزن: «القرآن من عند محمّد ومن تأليفه»[٣].

وقال المستشرق الإنكليزيّ «جورج سيل»: «ومما لا شك فيه ولا ينبغي أن يختلف فيه اثنان أنّ محمّدًا هو في الحقيقة مصنف القرآن وأوّل واضعيه، وإن كان لا يبعد أن غيره أعانه عليه كما اتهمته العرب، ولكنهم لشدّة اختلافهم في تعيين الأشخاص الذين زعموا انهم كانوا يعينونه وَهَت حجّتهم، وعجزوا عن إثبات دعواهم، ولعلّ ذلك لأنّ محمّدا كان أشدّ احتياطًا من أن يترك سبيلاً لكشف الأمر»[٤].

على كل حال «المتتبّع لموقف جموع المستشرقين من القران الكريم يجد أن محصلة العقيدة الاستشراقية في نهاية الأمر تجزم بأن القران الكريم من كلام محمّد وأنه يمثّل ثمرة معاناة محمد النفسيّة، ويعكس الصراع والتطوّر النفسي له»[٥].

٢. الردّ على دعوى بشريّة القرآن

- إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نفسه نجده ينفي وبشكل قاطع أن يتمكّن النبيّﷺ من تغيير ولو حرفٍ واحد من القرآن، قال -تعالى-: ﴿**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا**

[١]- دائرة المعارف الإسلاميّة، م.س، ج٤، ص٢٤٤.

[٢]- ويلز، معالم تاريخ الإنسانيَّة، ص٦٢٦.

[٣]- انظر: لوبون، حضارة العرب، ص١١١.

[٤]- سال، مقالة في الإسلام، ص١١٦.

[٥]- أبو ليلة، القرآن من المنظور الاستشراقيّ، ص٩٣.

بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْت بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (يونس: ١٥)، وقال -تعالى: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ**﴾ (الحاقّة: ٤٤-٤٦).

- لو كان القرآن من عند النبيّ، كما زعم المجتمع الجاهلي قبل زعم هؤلاء، لكان العرب استجابوا لدعوى التحدي، بل لاستطاع العرب أن يأتوا بمثله، مع حرصهم الشديد على معارضته، ولما حار العرب بأمره وتخبّطت آراؤهم فيه، وذلك باعتبار أن القرآن من صُنع محمّدﷺ فمن الممكن الإتيان بمثله، ولكن القرآن تحدَّاهم بذلك، قال -تعالى-: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ (الطور: ٣٣-٣٤).

- لو كان القرآن الكريم من كلام محمّد للزم أن يكون النبيّ قارئًا وكاتبًا وعالماً بتفاصيل المنهج القرآني في العقيدة، والأخلاق، والتشريع، و... وأن يكون على معرفة دقيقة بأخبار السابقين وقصصهم؛ من أنبياء وغيرهم، والله تعالى يقول: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ (العنكبوت: ٤٨).

- ما يكتبه البشر يحمل الطابع البشري وينعكس بشكل واضح على الأسلوب والمضمون، وهذا ما لا نجده لا في أسلوب القرآن ولا في مضمونه، فالبمقارنة بين القرآن والسنّة النبويّة يتّضح الفرق بين الأسلوب الإلهي والأسلوب البشري، فلو كان القرآن من عند محمّدﷺ كما زعموا لوجدنا تشابهًا بين القرآن وبين كلام محمّدﷺ، وبما أنّه لا يوجد تشابه بينهما، فيثبت أنّ القرآن ليس من عند محمّدﷺ بل هو من عند الله تعالى.

الأفكار الرئيسة:

- عند مراجعة الأبحاث والدراسات التي كتبها المستشرقون عن مصدر القرآن الكريم نجد أنّ موقفهم متّفق في الأغلب على مسألة واحدة، وهي: نفي أي علاقة بين هذا الكتاب والسماء، أيْ التعامل مع القرآن على أنَّه نتاج بشريّ وليس كتابًا سماويًّا.

- سلك المستشرقون في بحثهم لمصادر القرآن مسارين متكاملين؛ هما:

• إرجاع القرآن إلى مصادر شتى من خارج مصدريّة الوحي الإلهيّ.

• التشكيك في صحة النص القرآني وموثوقيّته ورميه بالتحريف.

- بعض دعاوى المستشرقين في مصدر القرآن: دعوى بشريّة القرآن الكريم.

- إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نفسه نجده ينفي وبشكل قاطع أن يتمكّن النبيّ ﷺ من تغيير ولو حرفٍ واحد من القرآن. ولو كان القرآن من عند النبيّ، لكان العرب استجابوا لدعوى التحدي، بل لاستطاع العرب أن يأتوا بمثله، وللزم أن يكون النبيّ قارئًا وكاتبًا وعالماً بتفاصيل المنهج القرآني في العقيدة، والأخلاق، والتشريع، و... ولكان ما يكتبه البشر يحمل الطابع البشري وينعكس بشكل واضح على الأسلوب والمضمون، وهذا ما لا نجده لا في أسلوب القرآن ولا في مضمونه، بالمقارنة بين القرآن والسنة النبوية.

فكِّر وأَجِب:

١. لماذا اهتمّ المستشرقون بدراسة مصدر القرآن الكريم؟ وما هي دوافعهم؟

٢. ما هو منهج المستشرقين في دراسة مصدر القرآن الكريم.

٣. إشرح المراد من دعوى «بشريّة القرآن» التي طرحها المستشرقون؟

٤. وكيف يمكن مناقشة دعوى «بشريّة القرآن» ونقدها؟

الدرس الثالث

مصدر القرآن في دراسات المستشرقين :
(البيئة الجاهليّة أو من الحنيفيّة الإبراهيميّة)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على دعاوى المستشرقين في مصدر القرآن؛ لجهة استقائه من البيئة الجاهليّة.

٢. يتعرّف على دعاوى المستشرقين في مصدر القرآن؛ لجهة استقائه من الحنيفيّة الإبراهيميّة.

٣. يطّلع على ضعف هذه الدعاوى ومغالطاتها وأخطائها.

٤. يمتلك القدرة على ردّ هذه الدعاوى وإبطالها.

أوّلًا: دعوى استقاء القرآن من البيئة الجاهلية الوثنية

١. بيان دعوى استقاء القرآن من البيئة الجاهليّة

أنّ محمّداً ﷺ استقى معلوماته التي وضعها في القرآن من البيئة التي عاش فيها، وذلك بدليل التشابه. والمقصود من التشابه، هو التشابه المزعوم بين مقاطع من الشعر الجاهلي وبعض الآيات القرآنيّة[١]، بالإضافة إلى التشابه بين القوانين والتشريعات والطقوس القرآنيّة وما كان سائدًا في المجتمع الوثني العربي[٢] حيث زعموا أن محمّداً ﷺ استقى هذه الأمور من وسطه الوثني ووضعها في القرآن.

ويذهب شاخت إلى أنّ الشريعة الإسلاميّة: تشتمل على عناصر من شرائع العرب في الجاهلية، وعناصر عديدة مأخوذة من شعوب البلاد التي فتحها المسلمون[٣].

ويقول أيضًا: إنّ ما نسمّيه قانون العقوبات ينتمي إلى باب رد المظالم، وهو باب ليجمع بين القانون المدني وقانون العقوبات، وقد احتفظ به التشريع الإسلاميّ من القانون الذي كان سائدًا أيام الجاهلي[٤].

ويقول فنسنك (**Wensinck**): تحت مادّة «أصل الحج في الاسلام»: «لم تكن نظرة النبيّ إلى الحج واحدة على الدوام، فلا بد أنّه اشترك كثيراً في مناسكه وهو حدث، أمّا بعد دعوته فقد كانت عنايته قليلة أول الأمر بالحج. فلم يرد ذكر الحج في السور القديمة. ولا يبدو من المصادر الأخرى أن النبيّ اتّخذ خطّةً محدّدة حيال هذه العادة وثنية الأصل»[٥].

---

[١]- انظر: تِسدَل، سنكلير، مصادر الإسلام، ص٩. نقلاً عن: موقع نور الحياة.

[٢]- انظر: تِسدَل، مصادر الإسلام، ص٦ وما بعدها؛ مقدِّمة القرآن لريتشارد بل، نقلاً عن: عوض، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، م.س ج١، ص٤٠٧؛ درّاز، المدخل إلى القرآن الكريم، ص١٢٩ وما بعدها.

[٣]- انظر: شاخت؛ بوزورث، تراث الإسلام، ج٢، ص٨٥.

[٤]- انظر: م.ن، ج٢، ص٩٢.

[٥]- دائرة المعارف الإسلاميَّة، م.س، ج٧، ص٣٠١.

٢. الردّ على دعوى استقاء القرآن من بيئة الجاهليّة

وللردّ على هذه الشبهة الأفضل أن نفصّل العناوين التي تعرضوا لها في هذا المجال:

- **ادّعاء أنّ التوحيد من الوسط الوثني**[١]

إنّ الباحث عندما يقارن دعوى الإسلام التوحيدية مع ما كانت عليه شبه الجزيرة العربيّة آنذاك من شرك ووثنية، وبالإضافة إلى ما قام به النبيّ صلى الله عليه وآله عندما أمر الإمام علي عليه السلام بتحطيم الأصنام عند فتح مكة، وبالإضافة إلى الآيات الكثيرة في القرآن الداعية إلى التوحيد والنابذة للشرك وعبادة الأصنام، يقطع أنّ دعوى النبيّ للوحدانية لم يكن بتأثير الوسط الوثني كما زعم المستشرقون بل هي صدى للدعوة الأولى دعوة إبراهيم عليه السلام، لأنّ أصلهما واحد. والتاريخ يشهد بذلك.

والقرآن الكريم -كما قلنا- مليء بالآيات القرآنيّة الداعية إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، منها: قوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾ (البيِّنة: ٥)، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ (النحل: ٥١).

وكذلك وضّح القرآن هذه القضية في دعوة إبراهيم عليه السلام كما أنّه كان داعية إلى هذا التوحيد. قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (النحل: ١٢٠).

- **الشعائر الإسلاميّة والجاهليّة**

ادّعى المستشرقون أنّ هناك تشابهًا بين الشعائر الإسلاميّة والوسط الجاهلي كالحج مثلاً، فالسعي، والطواف، وتقبيل الحجر الأسود، وغير ذلك هي عادات وطقوس جاهلية.

والصحيح أنّ الجزيرة العربيّة نبتت فيها دعوة إبراهيم وابنه إسماعيل -عليهما السلام-

---

[١]- انظر: تِسدَل، مصادر الإسلام، م.س، ص٦.

ولكن العرب هم الذين غيروها بالشركيات والوثنيات ومع هذا فإنّه بقي في هذا الوسط الوثني شيء من تلك الديانة الحنيفية.

كما أن الشرائع الإلهية التي نزلت على إبراهيم وإسماعيل ومحمّد ـ عليهم السلام ـ أصلها واحد وهي منزلة من عند الله عزّ وجلّ؛ لأنّهم جميعًا رسله لأقوامهم فالصلاة والصيام والزكاة والحج وسائر العبادات ممّا شرعه الله عزّ وجلّ في كل الديانات؛ سواء ديانة إبراهيم أو ديانة محمّد أو غيرهما من أنبياء الله عليهم السلام.

فالمسلمون يقفون في حجهم على جبل عرفات، واليهود يقفون في حجهم على جبل سيناء، والنصارى يحجون إلى بيت المقدس في فلسطين، فهل يعني هذا أن الديانات الثلاث أخذت شعيرة الحج من الوسط الجاهلي الوثني! والمستشرقون يعرفون أن اليهوديّة والنصرانية سابقة للوثنية في الجزيرة العربيّة فلا يبقى إلا أن يكون المصدر لكل ذلك هو الله عزّ وجلّ.

- **القرآن والشعر الجاهلي**

وزعم بعض المستشرقين أمثال «تسدال» و«شيخو» و«شبرنجر» أن من مصادر القرآن الكريم: الشعر الجاهلي. فقد توافقت بعض الآيات القرآنيّة مع مقاطع من شعر أمية بن أبي الصلت وامرئ القيس؛ ما يدلّ في زعمهم على أنّ القرآن الكريم قد اقتبس من قصائد الشعراء الجاهليين؛ كالمعلقات[١].

فادّعوا أن هناك تشابه واضح بين شعر أمية بن أبي الصلت وبين آيات من سورة القمر وسورة الملك، وهناك تشابه أيضًا بين أبيات امرئ القيس مع سورة القمر.

وأبيات أمية المقصودة بالتوافق:

ويوم موعدهم أن يحـــشروا زمرًايوم التغابن إذ لا ينفع الحذر

مستوسقين مع الداعي كأنّهم رجل الجراد زفته الـــريح منتشر

وأبرزوا بصـــعيد مستـــوجرز وأنـــزل والمـــيزان والـــزبر

[١]- انظر: تسدال، مصادر الإسلام، ص٨-١٠؛ نولدكه، تاريخ القرآن، ج١، ص١٩.

إلى آخر ما نُسب إليه من أبيات.

وأمّا أبيات امرئ القيس التي ذكرها «تسدال» متوافقة مع آيات من سورة القمر فمطلعها:

دنت الساعة وانشـــق القمر عن غزال صاد قلبي ونفر

أحور قد حرت في أوصـــافه ناعـس الطرف بعينه حور

ويمكن تسجيل ملاحظات عدّة على زعمهم؛ وهي:

- قضية التلفيق في الشعر ونسبتها للقدماء من الشعراء أمر لا يستطيع أحد إنكاره وقد فعل هذا حمّاد الراوية وخلف الأحمر[١] فما الذي يمنع أن يكون هذا الشعر ملفّقًا على العصر الجاهلي وعلى شعرائه؟!

- أمية بن أبي الصلت توفي سنة ٩هـ[٢] أي أنّه كان معاصرًا للنبي، واستمر في قرض الشعر طوال ما يقرب من ثماني سنوات بعد هجرة النبيّ ومن ثمّ يمكن القول إن أميّة أخذ من القرآن لا أنّ النبيّ اقتبس من أميّة، لذا يكون من التعسّف الادّعاء بأنّ هذا الشعر كان سابقًا للقرآن من الناحية التاريخية.

أمّا أبيات امرئ القيس فلم تثبت عند أحد من الناحية التاريخية إلا عند المستشرقين والأبيات المزعومة تتحدّث عن وصف الحبيبة الموعودة باللقاء وفيها يتغزّل الشاعر بمحبوبته فقصده من (الساعة) ساعة موعد اللقاء، ويقصد (بانشقاق القمر) ظهور وجه محبوبته من وسط سواد شعرها أو ظلام الليل. فلو سلّمنا صحّة نسبة هذه الأبيات إلى امرئ القيس فوجود هذه الألفاظ المستعملة في غير ما استعملت له في القرآن

[١]- انظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج١، ص١٧٥-١٧٦؛ الأصفهانيّ، الأغاني، ج٥، ص ١٦٣.

[٢]- انظر: الكريطي، معجم الشعراء الجاهليّين والمخضرمين، ص١٥٢.

الكريم لا يقتضي الأخذ والاقتباس. فالقرآن الكريم قد نزل بلغات العرب وأساليبهم والقرآن عربي وأسلوبه عربي وقد استعملت هذه الألفاظ قبل نزول القرآن وبعده ولم يدّع أحد من معاصريه أنّ القرآن مقتبس من شعر الشعراء أو خطب الخطباء أو كلام الكهّان مع معرفتهم بكل ذلك. ولو ثبت شيء من ذلك لرفعت قريش عقيرتها بإبطال دعوى محمّد صلى الله عليه وآله[١].

ثانيًا: دعوى استقاء القرآن من الحنيفيّة الإبراهيّميّة

١. بيان دعوى استقاء القرآن من الحنيفيّة

ذهب بعض المستشرقين ومنهم تسدال ومستر كانون (سل) وغيرهما إلى أن الحنفية ورجالها قبل البعثة المحمّدية هم أحد مصادر القرآن بدليل وجود توافق وتشابه بين أحكام القرآن وهداياته وبين ما كان يدعو إليه الحنفاء؛ مثل:

- الدعوة لإفراد الله بوحدانيته سبحانه وتعالى.
- رفض عبادة الأصنام.
- الوعد بالجنان.
- الوعيد بالعقاب في جهنم.
- اختصاص المولى بأسماء: الرحمن، الرب، الغفور.
- منع وأد البنات، والإقرار بالبعث والنشور والحساب.

---

[١]- لمزيدٍ من التفاصيل في ردّ هذه الشبهة، انظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، ج١، ص٢٤٠-٢٦٣.

٢. الردّ على دعوى استقاء القرآن من الحنيفيّة

أ. ما المراد بالحنفاء؟

كلمة (حنيف) عربيّة الأصل وهي بمعنى الميل والحنف اعوجاج في الرجل إلى الداخل والحنيف: المائل إلى الدين المستقيم[١] قال الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (آل عمران: ٦٧).

أما الحنفاء إذا ذكروا في مضمار البحث التاريخي فهم أعداد متفرّقون من الناس مالوا عن الوثنية وعبادة الأصنام إلى التوحيد ولم يكونوا تحت شريعة واحدة بل كان ظهورهم في أماكن مختلفة، متأثرين بمبادئ التوحيد التي حملتها إليهم اليهودية والنصرانية. وظهروا في الجزيرة العربيّة امتدادًا لدعوة أبينا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، فبقوا محافظين على شيء من تراث إبراهيم عليه السلام من دعوة للوحدانية، ونبذ لعبادة الأصنام، والإقرار بالبعث والنشور، والحشر وتبشير المؤمنين بالجنة، وتخويف الكافرين من النار، والابتعاد عن الخمر، ووأد البنات، وسيّئ الأخلاق[٢].

ب. ردّ الدعوى

إنّ الناظر بأدنى تأمّل في القرآن الكريم وما أتى به هؤلاء الحنفاء يرى البون الشاسع بينهما، حيث يرى بساطة ما دعوا إليه، ويرى مقابله قرآنًا معجزًا في لغته وأسلوبه قد عجز العرب جميعًا عن مضاهاته مع فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم. ثمّ إنّ هؤلاء الحنفاء كانوا هم أنفسهم يخبرون الناس بقرب بعثة الرسول صلى الله عليه وآله.

يقول الشيخ محمّد رشيد رضا: ومن هنا يتبيّن الفرق بين نبوة كاملة تامة، وشرع متكامل، وقرآن معجز عظيم وبين بقايا دين طمس نوره بين حطام الجاهلية وأوحال

[١]- انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادّة حنف.

[٢]- انظر: رضوان: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، م.س، ج١، ص٢٦٥.

الشرك والوثنية، فالقرآن بما حواه من لغة رفيعة المستوى، وأسلوب محكم بديع وبما فيه من فصاحة وبلاغة خارقة، وحكم بالغة، وأمثال محكمة، وذكر لأحوال الماضين من أنبياء وأمم وأنباء المستقبل، وعلاقة الإنسان بخالقه وعلاقته بغيره، والتشريع العظيم الشأن الذي صار موضوع بحث الأئمّة المجتهدين، والعلماء الأعلام لا يكون مصدره اجتماع «زيد بن عمرو» برسول الله صلى الله عليه وآله مصادفة في حراء أو في الطريق[١] ولكنها الرسالة التي بعث بها أكرم رسول وهو محمّد من عند الله عز وجل. فوافق نوره بقايا النور الإلهي الضارب في أعماق التاريخ لإبراهيم عليه السلام.

---

[١]- رضا، محمّد رشيد، حياة محمّد، ص٥٦-٥٧. نقلاً عن: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، م.س، ج١، ص٢٦٩.

الأفكار الرئيسة:

- من دعاوى المستشرقين في مصدر القرآن: دعوى استقاء القرآن من البيئة الجاهلية الوثنية، ومن الحنيفيّة الإبراهيميّة.

- بطلان ادّعاء أنّ التوحيد من الوسط الوثني.

- القرآن الكريم نزل بلغات العرب وأساليبهم والقرآن عربي وأسلوبه عربي وقد استعملت هذه الألفاظ قبل نزول القرآن وبعده ولم يدّع أحد من معاصريه أنّ القرآن مقتبس من شعر الشعراء أو خطب الخطباء أو كلام الكهّان مع معرفتهم بكل ذلك. ولو ثبت شيء من ذلك لرفعت قريش عقيرتها بإبطال دعوى محمّد ﷺ.

- ذهب بعض المستشرقين إلى أن الحنفية ورجالها قبل البعثة المحمّدية هم أحد مصادر القرآن بدليل وجود توافق وتشابه بين أحكام القرآن وهداياته وبين ما كان يدعو إليه الحنفاء.

- الناظر بأدنى تأمل في القرآن الكريم وما أتى به هؤلاء الحنفاء يرى البون الشاسع بينهما، حيث يرى بساطة ما دعوا إليه، ويرى مقابله قرآنًا معجزاً في لغته وأسلوبه قد عجز العرب جميعًا عن مضاهاته مع فصاحتهم وطلاقة ألسنتهم، ثمّ إنّ هؤلاء الحنفاء كانوا هم أنفسهم يخبرون الناس بقرب بعثة الرسول.

فكِّر وأَجِب:

١. ما هي دعوى «استقاء القرآن من البيئة الجاهليّة» التي طرحها المستشرقون؟

٢. ناقش هذه الدعوى، وبيّن ما هي الردود عليها؟

٣. بيّن دعوى «استقاء القرآن من الحنيفيّة الإبراهيميّة» التي طرحها المستشرقون.

٤. ناقش هذه الدعوى، مع إيراد الردود عليها.

الدرس الرابع

مصدر القرآن في دراسات المستشرقين :
(من الصابئة، النصارى واليهود)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على دعاوى المستشرقين في مصدر القرآن؛ لجهة استقائه من الصابئة.
٢. يتعرّف على دعاوى المستشرقين في مصدر القرآن؛ لجهة استقائه من النصارى واليهود.
٣. يطّلع على ضعف هذه الدعاوى ومغالطاتها وأخطائها.
٤. يمتلك القدرة على ردّ هذه الدعاوى وإبطالها.

أوّلًا: دعوى استقاء القرآن من الصابئة

١. بيان الدعوى

اعتبر المستشرقون الصابئة مصدرًا من مصادر القرآن الكريم؛ وذلك للتشابه بينهما وبين ما جاء في القرآن من عقائد وعبادات ونسك؛ منها:

- التشابه بين الصابئة والإسلام في الصلاة.
- التشابه في الصوم وارتقاب انتهائه وارتقاب الأعياد ببعض الكواكب.
- التشابه في الحج والتلبية وتقديم القرابين.

٢. ردّ الدعوى

يمكن ردّ دعوى أنّ الصابئة من مصادر القرآن بالآتي:

- الواقع أنّ الصابئة من أكثر الفرق صعوبة في الحكم عليها حيث إنها تلتقي مع كثير من الديانات السماوية وغير السماوية سواء في العقائد أو في العبادات أو غير ذلك من أجل هذا اختلفت أحكام الناس عليهم منذ القِدَم. فعندما نراجع آراء الباحثين عن الصابئة نجدها لا تتفق على تحديد هوية لهؤلاء فمن قائل: إنهم قوم لا دين لهم، ومن قائل: هم أهل دين من الأديان كانوا في جزيرة العرب، ومن قائل: هم عبدة الملائكة، ومن قائل: هم فرقة من أهم الكتاب، ومن قائل: هم قوم يشبه دينهم دين النصارى؛ لكنّ قبلتهم نحو الجنوب، ومن قال: إنّهم وثنيون فذلك لعبادتهم الأصنام والكواكب والملائكة وتقديمهم القرابين لها، ومن قال: هم من اليهود فذلك لموافقتهم اليهود في طريقة الذبح وحرق القرابين، ومن قال: هم فرقة من النصارى... إلى غير ذلك من الأقوال. فأي صابئة نقصد؟ حتى نزعم أنّ تعاليمها تشبه تعاليم الإسلام والقرآن.
- عند دراسة التشابه المدّعى بين طقوس الصابئة وبين العبادات والشعائر الإسلاميّة

نجد اختلافًا واضحًا في هذا المجال ومجرد التشابه في بعض الصلوات لا يعني أنّ القرآن أحد مصادره الصابئة. فقد ذكر أن صلواتهم سبعة وبعض الباحثين قالوا ثلاثة، وكيفية صلاتهم تختلف عن صلاة المسلمين.

- أمّا صومهم فهو لا يشبه صوم المسلمين فالصوم من العبادات التي عرفتها الصابئّة الحرانيون وهي عندهم ثلاثين ليلة من الليل إلى شروق الشمس، أما الصابئة المندائيّون الحاليّون يحرمّون الصيام في طقوسهم الدينية. وهم يمتنعون عن أكل اللحوم المباحة لهم (٣٦) يومًا، متفرقة على طول السنة، على نحو امتناع النصارى عنها.

- أعيادهم تكون بمراقبة خمسة نجوم في السماء وهي: (الجدي، الزهرة، زحل، القمر، والشمس). بينما الأعياد الإسلاميّة تثبت بمراقبة القمر فقط[١].

على كل حال هناك أقوال متعددة في طبيعة الصابئة وهناك اختلافات واضحة وجلية بين طقوس الصابئة وطقوس المسلمين فلا يصح على الإطلاق اعتبار الصابئة أحد مصادر القرآن الكريم؛ لأنّ هناك فرقًا كبيرًا بين الإسلام وبين الصابئة في الاعتقادات والعبادات والأحكام والسلوك.

ثانيًا: دعوى استقاء القرآن من النصارى

١. بيان الدعوى

قالوا إنّ خمسة وسبعين في المائة من آيات القرآن مقتبسة من الكتاب المقدس للنصارى (العهد الجديد) وفي هذا يقول القسّ أنيس شروش: «إنّ هناك نصوصًا عديدة من مقاطع العهد الجديد قد استعارها القرآن واقتبسها من الكتاب المقدس؛ فهناك مثلاً حوالي (١٣٠) مقطعًا في القرآن مستوحاة من سفر المزامير».

واستدلوا أيضًا بأنّ الرسول كان قد استعان ببحيرا الراهب، ونسطور في كتابة بعض آيات القرآن!!

[١]- انظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، م.س، ج١، ص٢٧٠-٢٨١.

وزعم تسدال أنّ النصرانية كانت أحد المصادر التي أخذ منها محمّد وأدخلها في قرآنه، واستشهد تسدال على ذلك ببعض القصص وبعض القضايا الأخرى؛ منها:

- قصة أصحاب الكهف.
- قصة مريم عليها السلام.
- قصة طفولة المسيح.

٢. ردّ الدعوى

يمكن ردّ دعوى أنّ النصرانيّة من مصادر القرآن بالآتي:

- ما معنى الاقتباس؟

الفكرة التي يروّجها هؤلاء هي أنّ القرآن اقتبس معلوماته ومعارفه أو نسخهما عن اليهود والنصارى، أي عن الكتاب المقدّس؛ لأنّه هو مصدر الديانة اليهوديّة والنصرانيّة.

وحقيقة (الاقتباس) التامّ[١] هي: نقل فكرة ما، إمّا نقلاً كليًا أو نقلاً جزئيًا، بحيث لا يزيد الناقل المقتبس شيئًا؛ أمّا إذا زاد الناقل وأضاف وعدّل بعض الأفكار وصحّحها، فإنّ هذا لا يسمّى اقتباسًا.

- مجرّد الاتفاق لا يؤدّي إلى الاقتباس!

من حقّنا أن نسأل: هل يعتبر مجرّد الاتفاق على وقوع قصة ما، كقصّة النبيّ آدم والسيدة حواء، أو قصة النبيّ موسى أو أي قصة أخرى، ونقل أحداثها ومجرياتها، اقتباسًا ونقلاً؟ وهذا لا يمنع من التشابه بين بعض نصوص الأنجيل أو التوراة والقرآن الكريم.

---

[١]- هناك أنواع عدَّة من الاقتباس ليست مقصودة في هذا البحث، بل الاقتباس المراد هو أشبه بمصطلح النسخ، وهو ما يصطلح عليه الاقتباس المباشر: وهو النقل بشكلٍ حرفيٍّ من المصدر، عن طريق استخدام علامتَي الاقتباس مع الإشارة إلى صاحب النصِّ الأصليّ، بوضع رقمٍ بجانب النصّ بعد علامة الاقتباس الثانية، وكتابة اسم المصدر أسفل الصفحة أو في صفحة معيَّنة خاصَّة.

ويمكن ادّعاء ذلك لو فرضنا أنّ القرآن الكريم لم يأت بجديد؛ وكان بعض ما فيه أو أكثره نسخة عن الكتاب المقدس، ولكن من الواضح أنّ القرآن قد أضاف وعدَّل وصحَّح كثيراً من الأحكام والوقائع، فكيف يصحّ والحال كذلك أن يسمى هذا اقتباسًا؟ ولبيان ذلك نعرض أنموذجًا ممّا ذكر في الإنجيل والقرآن؛ وهو بشارة زكريا بـيحيى عليهما السلام ليتبينّ معنا مدى الاختلاف بينهما، وهناك عشرات النماذج تشبه هذا الأنموذج لا يسع المقام لذكرها.

وفي النصّ الإنجيلي وردت البشارة على الشكل الآتي: «لم يكن لهما يعنى زكريا وامرأته ولد. إذ كانت اليصابات يعني امرأة زكريا عاقرًا. وكان كلاهما متقدمين في أيامهما، فبينما هو يكهن في نوبة غرفته أمام الله حسب عادة الكهنوت، أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلّي خارجًا وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفًا عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا؛ لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك اليصابات ستلد لك ولدًا وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج. وكثيرون سيفخرون بولادته؛ لأنّه يكون عظيمًا أمام الرب. وخمرًا ومسكرًا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ بروح القدس، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء. والعصاة إلى فكر الأبرار، لكي يهيء للرب شعبًا مستعدًا. فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها؟! فأجاب الملاك وقال: أنا جبرائيل الواقف قدام الله. وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتًا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا؛ لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل. فكان يومئ إليهم، وبقي صامتًا...»[1].

وأمّا بشارة زكريا بيحيى بحسب النصّ القرآن؛ فهي:

قال تعالى: ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ**

---

[1]- إنجيل لوقا، الإصحاح الأوَّل: (٧-٢٢).

الدُّعَاءِ... قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (آل عمران: ٣٨-٤١).

وقال تعالى: **﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا... وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾** (مريم: ٢-١٥).

إنّ المقارنة بين نصّ الإنجيل لهذه الواقعة وبين النصّ القرآنيّ، تظهر الفوارق الآتية:

- في سورة «آل عمران» تقدم على قصة بشارة زكريا بيحيى، قصة نذر امرأة عمران ما في بطنها خالصًا لله، في حين أنّه لم يرد ذكر لهذا في النصّ الإنجيلي.
- النص القرآني أخبر أن امرأة عمران ولدت أنثى؛ وكانت ترجو أن يكون المولود ذكرًا، وهذا أيضًا لم يأتِ له ذكر في النص الإنجيلي.
- ذَكَر النص القرآنيّ كفالة زكريا للمولودة «مريم» وأخبر عن وجود رزقها عندها، وبيَّن أن مصدر هذا الرزق هو الله. وهذا بدوره لم يرد ذكره في النص الإنجيلي.
- ربط النص القرآني بين قصة الدعاء بمولود لزكرياء، وبين قصة مولودة امرأة عمران. وهذا لا وجود له في النص الإنجيلي.
- ذَكَر النص القرآني دعاء زكريا، في حين أنّنا لا نجد ذكرًا لذلك في النص الإنجيلي.
- تناول النصّ القرآني ما رتّبه زكريا على هبة الله له وليًا، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب. بينما لم يرد ذكر لهذا في النص الإنجيلي.
- بيَّن النصّ القرآنيّ أن السبب الذي حمل زكريا على دعاء ربه، هو خوفه الموالي من ورائه. والنص الإنجيلي خالٍ من هذا تمامًا.
- صرَّح النص القرآني بأنّ زكريا أوحى لقومه، بأنْ يسبحوا بكرة وعشيًا. ولا وجود لهذا في النص الإنجيلي.

- ذَكَر النص القرآني الثناء على المولود «يحيى» وبيَّن أنّه بارّ بوالديه، يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حيًا. ولا مقابل لهذا الثناء في النص الإنجيلي.

وأيضًا القرآن قام بمهمّة تصحيح الأخطاء التي وردت في النص الإنجيلي، وبيان هذا وِفْقَ الآتي:

- أنّ النص الإنجيلي جعل الصمت الذي قام به زكريا عقوبة له من الملاك. بينما الصمت -بحسب النص القرآنيّ- كان تكريمًا لزكرياعليه‌السلام من الله، وهذا ممّا يتناسب مع خصائص الأنبياء والرسل.

- النص الإنجيلي يحدّد مدّة الصمت بخروج زكريا من الهيكل إلى يوم أن ولد يحيى. في حين أنّ النص القرآن يصحح هذا الخطأ، ويذكر أن مدته كانت ثلاثة أيام بلياليهن، بعد الخروج من المحراب.

- النص الإنجيلي يجعل البشارة على لسان ملاك واحد، بينما النص القرآن يجعل البشارة على لسان جمع من الملائكة.

- النص الإنجيلي جعل التسمية بـ«يحيى» -«يوحنا» بحسب النص الإنجيلي- من اختيار زكريا، غير أنّ الملاك قد تنبأ بها. في حين أنّ النص القرآنيّ صحح هذا الخطأ، وبيَّن أن التسمية كانت من وحي الله إلى زكريا.

وعلى ضوء هذه المقارنة، يتضح لنا، أنّ القرآن قد أدى في تعقّبه للنص الإنجيلي، مهمتين أساسيّتين؛ هما:

- **الأولى:** تصوير الواقعة تصويرًا أدقّ تفصيلاً، وأجدر تصديقًا.

- **الثانية:** تصحيح الأخطاء الواردة في النص الإنجيلي المقارن.

لقد أوضحت هذه المقارنة أنّ القرآن لم يقتبس جزءًا من الواقعة، فضلاً عن أن يقتبس الواقعة كلها؛ وإنّما صور الواقعة تصويرًا دقيقًا، فسجل كل حقائقها، وبيَّن كل دقائقها. وعرضها عرضًا جديدًا، وربط بينها وبين وقائع محددة، كانت كالسبب الموحد لها، والناظم لعقدها.

ثالثًا: دعوى استقاء القرآن من اليهود

١. بيان الدعوى

زعم تسدال، وأندريه، ولامنز، وجولد تسيهر، وغيرهم أنّ اليهوديّة مصدر من مصادر الإسلام والقرآن واستدلوا على ذلك بما يلي:

- تشابه القرآن واليهوديّة في القصص؛ مثل قصة ابني آدم وقصة إبراهيم.
- التشابه في بعض القضايا العقدية والتشريعية والحث على مكارم الأخلاق.

ولعلّ من أبرز الكتب -كما تقدّم- التي أكدت هذه الفكرة هو كتاب «أبراهام جايجر»، بعنوان: «ماذا أخذ القرآن عن اليهوديّة»؟ ومن الاستشراق المعاصر (مصادر يهوديّة في القرآن) لمؤلِّفه شالوم زاوي الذي يعد من مؤلفات الاستشراق الإسرائيلي المهمّة في هذا المجال.

وبالطريقة نفسها التي حاول بها بعض المستشرقين إثبات أنّ بعض المعارف القرآنيّة ترجع إلى أصول نصرانية وأنّ محمّدا اقتبس نصوص القرآن الكريم من الإنجيل، نجدهم يحاولون إثبات أنّ بعض المعارف القرآنيّة ترجع إلى أصول يهوديّة أي إلى التوراة.

٢. ردّ الدعوى

منهجية الإجابة على هذه الشبهة هي منهجيّة الشبهة السابقة نفسها؛ أي من خلال المقارنة بين نصوص التوراة ونصوص القرآن الكريم.

فعلى سبيل المثال، إنّ فرضيات كتاب (مصادر يهوديّة في القرآن) انحصرت في ردّه القرآن لمصادر يهوديّة، وذلك على مستويين أساسيين، وهما: ١- قصص القرآن. ٢- لغة القرآن. وقد تعرضنا لهذا الموضوع في الأبحاث السابقة.

الأفكار الرئيسة:

- اعتبر المستشرقون الصابئة مصدرًا من مصادر القرآن الكريم؛ وذلك للتشابه بينهما وبين ما جاء في القرآن من عقائد وعبادات ونسك.
- عند دراسة التشابه المدّعى بين طقوس الصابئة وبين العبادات والشعائر الإسلاميّة نجد اختلافًا واضحًا في هذا المجال ومجرد التشابه في بعض الصلوات لا يعني أنّ القرآن أحد مصادره الصابئة. وأمّا صومهم فهو لا يشبه صوم المسلمين...
- ادّعى المستشرقون أنّ خمسة وسبعين في المائة من آيات القرآن مقتبسة من الكتاب المقدس للنصارى (العهد الجديد).
- مجرّد الاتفاق لا يؤدّي إلى الاقتباس، والقرآن أدى في تعقّبه للنص الإنجيلي، مهمتين أساسيّتين؛ هما:
  - الأولى: تصوير الواقعة تصويرًا أدقّ تفصيلاً، وأجدر تصديقًا.
  - الثانية: تصحيح الأخطاء الواردة في النص الإنجيلي المقارن.
- زعم المستشرقون أنّ اليهوديّة مصدر من مصادر الإسلام والقرآن واستدلوا على ذلك بالتشابه بينهما. والرد عليه هو ما تقدّم في الردّ على الدعاوي السابقة.

فكّر وأَجِب:

١. ما هي دعوى «استقاء القرآن من الصابئة» التي طرحها المستشرقون؟ وما هي الردود عليها؟

٢. بيّن دعوى «استقاء القرآن النصرانيّة» التي طرحها المستشرقون، مع إيراد الردود عليها.

٣. أوضح دعوى «استقاء القرآن من اليهوديّة» التي طرحها المستشرقون، مع بيان الردود عليها.

٤. إشرح خلفيات وأهداف المستشرقين في نسبة استقاء القرآن من هذه المصادر.

الدرس الخامس

التشكيك في موثوقيّة النصّ القرآنيّ عند المستشرقين
الزيادة على النصّ القرآني

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يشرح دوافع المستشرقين للتشكيك في موثوقيّة النصّ القرآنيّ.

٢. يناقش أهم الدوافع للتشكيك في موثوقيّة النصّ القرآنيّ.

٣. يطّلع على شبهة المستشرقين في الزيادة على النصّ القرآني.

٤. يفنّد هذه الشبهة وينقدها.

أوّلًا: تشكيك المستشرقين بموثوقيّة النصّ القرآني

من لوازم تشكيك المستشرقين في المصدر الإلهي، الطعن في موثوقية النص القرآني ورمي القرآن بأنّه نصّ محرَّف نقيصة أو زيادة، على الرغم من الاتّفاق بين الشيعة والسنّة على أنّ القرآن الكريم المُنزَل على الرسول الخاتمﷺ قد وَصل إلينا دون أيِّ نقصٍ أو تحريف.

وقد حَشد الأعلام عدَدًا من الأدلَّة التي تدلّ على عدم وقوع التحريف، كآية الحفظ؛ وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر: ٩)، وآية نفي الباطل وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ (فصلت: ٤١-٤٢)، ورواية الثقلين؛ وهي قولهﷺ: «**... إني تَارِك فِيكمْ أَمْرَينِ أن أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا - كتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وأَهْلَ بَيتِي عِتْرَتي أَيها النَاسُ اسْمَعُوا وقَدْ بَلَّغْتُ انكم سَتَرِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ فَأَسْأَلُكمْ عمَا فَعَلْتُمْ فِي الثَّقَلَينِ، وَالثَّقَلان كتَابُ اللَّهِ جَلَّ ذِكرُهُ وَأَهْلُ بَيتِي...**»[١]، وما دلَّ على جواز قراءة أيّ سورةٍ في الصلاة، وأخبار عرض الروايات على القرآن كقوله: «**كلُّ حديثٍ لا يُوافق كتاب الله فهو زخرف**»[٢]، وحجيَّة ظواهر القرآن وغير ذلك[٣].

ويعتبر نولدكه من أوائل الذين فتحوا باب التشكيك في موثقية النص القرآني، ففي كتابه تاريخ القرآن يعقد فصلاً بعنوان: (الوحي الذي نزل على محمّد ولم يحفظ في القرآن) والذي يبدو فيه قائلاً بالتحريف تلميحًا، ونجد تصريحًا بذلك في مادة قرآن في

[١]- الكلينيّ، الكافي، ج١، ص٢٩٤.

[٢]- م.ن، ج.ن، ص٦٩.

[٣]- انظر: معرفت، صيانة القرآن من التحريف، ص١٢٦-١٢٧.

دائرة المعارف الإسلاميّة: «إنّه ممّا لا شك فيه أنّ هناك فقرات من القرآن ضاعت... وأنّ القرآن غير كامل الأجزاء»[١]. كما حاول «اجنتس جولد تسيهر»، و«ريجي بلاشير»، و«ريتشارد بل» أن يشكّكوا في صحّة القرآن من خلال نسبة التحريف إليه؛ كما فعل «ريتشارد بل»، حيث قال: «لو أنّ شخصًا سأل ما الضّمان القائم على أنّ القرآن الذي تمّ جمعه في عهد عثمان تسجيل صحيح للتنزيلات كما تمّ تلقّيها وإعلانها بواسطة محمّد؟!..»[٢]. وبعضهم صّرح بذلك كـ»جولد تسيهر» في مقدّمة كتابه مذاهب التفسير الإسلاميّ حيث قال: «فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافًا عقديًا على أنّه نص منزل أو موحى به، يقدّم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثباتّ، كما نجد في نص القرآن»[٣].

وقد ردّ هّؤلاء أسباب هذا الاختلاف والاضطراب لأمور عدّة؛ منها:

١. الاعتماد في حفظ القرآن على صدور الصحابة.

٢. الكتابة بوسائل بدائية يصعب المحافظة عليها.

٣. نسيان شيء من القرآن استنادًا للنصوص العامّة من القرآن والسنّة التي ذكرت هذا الأمر.

٤. وجود منسوخ التلاوة.

٥. اختلاف مصاحف الصحابة في عدد السوّر والآيات ووجوه القراءات والاختلاف في الرسّم.

---

[١]- نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ج٢، ص٩٣.

[٢]- بل، مقدِّمة القرآن، ص٥٠.

[٣]- جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلاميّ، ص٤.

٦. النقصان والزيادة في القرآن الكريم للمصلحة[١].

ومن جملة الموارد التي وقعت تحت أيدي هؤلاء المستشرقين واستندوا إليها للدلالة على وقوع تحريف في القرآن الكريم هو حذف سورتي الخلع والحفد، وآيات الرجم، وبعض الآيات من سورة الأحزاب، وسورة النور، وضياع جملة من الآيات القرآنيّة في معركة اليمامة وغير ذلك.

ثانيًا: دوافع التشكيك بموثوقيّة النصّ القرآنيّ عند المستشرقين

مع وجود هذا الإجماع بين المسلمين؛ ما هي دوافع القول بتحريف القرآن الكريم عند المستشرقين؟

١. قياس القرآن على الكتب السماويّة السابقة

حين يتكلّم المستشرقون عن تاريخ القرآن يقصدون بذلك إظهار أنّ القرآن مثل كتب أهل الكتاب له تاريخ من التغيير والتبديل، وأنّ يد التحريف والتبديل دخلت إليه، حتى أنّ هناك بونًا بين ما ينسب إلى الكتاب وما بين أيدينا من نسخته[٢].

ولعلَّ من مناشئ القول بتحريف القرآن اعتقاد علماء سائر الأديان بتحريف الكتب المقدّسة لسائر الأديان، فقد قامت عقيدتهم على أنّ الأناجيل الأربعة دوِّنَت من قِبل الحواريّين الأربعة، فبَعد الذي جرى على المسيح من أحداث، قام هؤلاء بتدوين رحلات المسيح وحياته ونصائحه. إلى حدّ أنّنا نجد بين الأناجيل الأربعة تناقضًا وتهافتًا.

كما نَجد ذلك أيضًا في الدِّيانة اليهوديّة، فليس لدى اليهود كتابًا خاصًا معروفًا بأنّه

[١]- انظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، م.س، ج١، ص٤٠٨.

[٢]- انظر: أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص٢٨٥.

الكتاب المُنزَل على موسى، بل ما لديهم اليوم هو ما قام بعضٌ بتدوينه طبقًا لميوله الخاصّة في وصف الظروف المحيطة.

١. الأهداف التبشيريّة والسياسيّة

فبعض المستشرقين كان دافعه لدراسة الشرق أن يَدفع المسلمين إلى إساءة الظنِّ بدينهم وبعقيدتهم. فقد سعى هؤلاء ومن خلال اختلاق بعض الشُّبهات على الإسلام والقرآن، لإضعاف إيمان المسلمين بدينهم؛ بهدف توفير الظروف الملائمة للقبول بالدِّيانة المسيحيّة دينًا بديلاً عن الإسلام[١].

كما أنّ خوف الاستعمار والدول الغربيّة من قوة المسلمين جعلتهم يشنون حروبًا طابعها ثقافي وعلمي حسب الظاهر، وهدفها الواقعي ضرب القوة الإسلاميّة، وأفضل طريقة لذلك هي تضعيف المصادر الإسلاميّة وعلى رأسها القرآن الكريم، وأفضل طريقة لتضعيف القرآن هي القول بتحريفه.

ولذا سعَت الدول المستعمِرة والقوى العالميّة الكبرى، حيث رأت في التعاليم القرآنيّة سدًا منيعًا أمام وصولها إلى أهدافها ومصالحها، إلى تربية فكرة تحريف القرآن في أذهان المسلمين، وبهذا انصبَّ جهدهم على هدم أساس الإسلام المتمثِّل بالقرآن الكريم.

٢. وجود بعض الروايات الضعيفة في تحريف القرآن الكريم

وقد نُقلت هذه الروايات في كتب الفريقين، ولكن لم يقبلها أكابر علماء السنة والشيعة.

ولكن على الرغم من الإجماع بين علماء المسلمين على عدم تحريف القرآن ورفضهم للروايات الموجودة في كتب الأحاديث أو حملها على التحريف المعنوي

---

[١]- انظر: الصغير، دراسات قرآنيّة، ص١٥.

وغير ذلك من ردود تفصيلية ومطولة في كتبهم المختلفة، نجد بعض المستشرقين؛ أمثال (جولد تسيهر) يعتمدون على الروايات الضعيفة والموضوعة، ويرون أنّ الشيعة يَعتقدون بأنّ في المصحف العثماني زيادات وإضافات وتغييرات على أصل القرآن المنزل على النبيّ صلى الله عليه وآله. ويذكرون بأنّ لدى الشيعة من الروايات ما يدلّ على أنّ القرآن المنزَل على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أطول وأكثر تفصيلاً من القرآن الحاليّ، كسورة الأحزاب والتي تحوي الآن ثلاث وسبعون آية، ولكنَّها على أساس النصِّ السابق تُعادل سورة البقرة، وكسورة النور التي تحتوي في النصِّ الحاليّ على أربع وستون آية، ولكنَّها كانت سابقًا تزيد على مائة آية، وكسورة الحجر التي تحتوي على تسعٍ وتسعونَ آية، ولكنَّها كانت سابقًا تزيد على مائة وتسعين آية![1].

ثالثًا: الردّ على شبهات المستشرقين

يمكن تقسيم شبهات المستشرقين في ادّعاءهم تحريف القرآن الكريم وتشكيكهم في موثوقيّة النصّ القرآني إلى قسمين اثنين، هما: شبهة الزيادة في القرآن، وشبهة النقيصة من القرآن، وسوف نعرض الشبهة الأولى في هذا الدرس، على أن نستكمل الشبهة الثانية في الدرس اللاحق.

١. شبهة الزيادة في القرآن الكريم والردّ عليها

أ. بيان الشبهة

يقصد المستشرقون من الزيادة في القرآن أنّ بعض القرآن؛ كبعض السور أو بعض الآيات ليست من القرآن، بل هي من الزيادات التي زادها بعض الصحابة أو غيرهم على القرآن الكريم. ومن الأمور التي تمسّكوا بها نذكر الآتي:

- قالوا: إنّ القرآن الكريم قد زيد فيه ما ليس منه بدليل ما ورد أن عبدالله ابن

[١]- انظر: جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلاميّ، م.س، ص٢٩٣-٢٩٤.

مسعود كان لا يكتب الفاتحة والمعوذتين في مصحفه. يقول: (مونتجمري وات) أن (عبد الله بن مسعود) لم يدوّن المعوذتين في مصحفه، وكان يرى أنّهما ليستا من القرآن[١].

- ينقل (ريجي بلاشير) أنّ من بين متكلمي المعتزلة من استنكف -نظرًا لإيمانه بمفهوم الإله الواحد العادل والرحيم- عن قبول بعض اللعن والتجريح الموجود في القرآن بالنسبة لبعض الأعداء الشخصيّين للنبيّ ﷺ، وذلك لأنّهم كانوا يرون ذلك منافيًا لعظمة الوحي. وبعض الخوارج وهم أتباع عبد الكريم بن عجرد ينكرون كون سورة يوسف من القرآن؛ لأنّه لا يُمكن القول بصحّة وجود قصّة عشقٍ كجزءٍ من القرآن. ويستنتج (بلاشير) من ذلك أن القرآن الكريم قد تعرض لإضافات محض بشرية في هذا المجال[٢].

- ذهب بعض المستشرقين أمثال (كازانوفا) إلى أنّ الآية ١٤٤ من سورة آل عمران؛ وهي قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ هي من كلام أبي بكر، وأنّ الآية ١٢٥ من سورة البقرة، ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ هي من كلام عمر بن الخطاب[٣].

فهذه النماذج وغيرها تدل -بحسب زعمهم- على وجود الزيادة في القرآن الكريم!

---

[١]- انظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، م.س، ص٤٠٨.

[٢]- انظر: الشهرستانيّ، الملل والنحل، ج١، ص١٢٨.

[٣]- انظر: عناية، شبهات حول القرآن وتفنيدها، ص٤٣.

ب. الردّ على الشبهة

أمّا الردود على هذه الشبهة؛ فهي:

- **في إبطال أصل فكرة الزيادة في القرآن**

يقول السيد الخوئي (قده): «التحريف بالزيادة؛ بمعنى أنّ بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل. والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين، بل هو مما عُلم بطلانه بالضرورة»[١].

وقال النووي: «أجمع المسلمون على أنّ المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأنّ من جحد شيئًا منه كفر. وما نُقل عن ابن مسعود في الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيحٍ عنه»[٢].

- **في ما يتعلق بخلوّ مصحف ابن مسعود من الفاتحة أو المعوذتين**

يقول ابن قتيِّبة: «وأمّا إسقاطه الفاتحة من مصحفه فليس لجهله بأنّها من القرآن، كيف وهو أشدّ الصحابة عناية بالقرآن، ولم يزل يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله يؤمّ بها، ويقول: لا صلاة إلاّ بسورة الحمد، وهي السبع المثاني وأمّ الكتاب. لكنّه ذهب في ما يظنّ أهل النظر (المحقّقون) إلى أنّ القرآن إنّما كتب وجمع بين اللوحين (الدفّتين) مخافة الشكّ والنسيان والزيادة والنقصان، ورأى أنّ ذلك مأمون على سورة الحمد، فلمّا أمن عليها العلّة التي من أجلها كتب المصحف، ترك كتابتها، وهو يعلم أنّها من القرآن»[٣]. فإسقاطه سورة الفاتحة، لا اعتقادًا أنّها ليست من القرآن، بل لأنّ الثبت في المصحف كان قيدًا للسور دون الضياع.

---

[١]- الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن، ص٢٠٠.

[٢]- النووي، المجموع شرح المهذّب، ج٣، ص٣٩٦.

[٣]- الدينوري، تأويل مشكل القرآن، ص٤٨-٤٩.

ونُقل في الروايات أنّ ابن مسعود كان يحكّ المعوذتين من المصاحف، ويقول: لا تخلطوا بالقرآن ما ليس منه، إنّهما ليستا من كتاب الله، إنما أمر النبيّ ويقول: لا تخلطوا بالقرآن ما ليس منه، إنّهما ليستا من كتاب الله، إنّما أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يتعوّذ بهما... وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما في صلاته[١].

هذا.. وقد أنكر بعضهم صحّة هذه النسبة إلى ابن مسعود، كالرازي وابن حزم -في ما نقل عنهما ابن حجر- وردّ عليهما بصحّة إسناد الرواية قال: والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل. بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل[٢].

- **في ما يتعلّق بدعوى أنّ في القرآن الكريم آيات هي من أقوال الصحابة**

ويردّها:

• هذه الدعوى لا يقبلها العلماء من أهل السنّة والشيعة، وحملوا بعض الإضافات التي نقلت عن الصحابي ابن مسعود على أنّها إضافات تفسيرية؛ وهو منهج ابن مسعود في تعليم القرآن؛ فقد كان من عادة بعض الصحابة -ولا سيّما عبد الله بن مسعود- أنّهم يكتبون في مصاحفهم تفسيراً لبعض الآيات، ولا يميّزونها عن الآيات، اعتماداً منهم على أنّ لفظ الآية معروف ومحفوظ. ونجد أيضًا في روايات أهل البيت عليهم السلام بعض الإضافات التي حُملت على التفسير أيضًا، أو أنّها من باب بيان المصداق الأبرز للآية، لا أنّ الآية نزلت باللفظ الفلاني المخالف للنص المتواتر الموجود بين أيدي المسلمين. فقد جاء في تفسير القمي بسند صحيح: «أنّ ابن سنان قرأ على الإمام الصادق عليه السلام: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...**﴾ (آل عمران: ١١٠). فقال عليه السلام: خير أمّة، تقتلون أمير المؤمنين،

[١]- انظر: العسقلانيّ، فتح الباري بشرح صحيح البخَّاري، ج٨، ص٥٧١؛ السيوطي، الدرّ المنثور في التفسير المأثور، ج٦، ص٤١٦.

[٢]- انظر: العسقلانيّ، فتح الباري بشرح صحيح البخَّاري، م.س، ص٥٧١.

والحسن، والحسين بن علي عليهم السلام؟! فقال القاري: جعلت فداك، كيف نزلت؟ قال: نزلت: كنتم خير أئمّة أخرجت للناس، ألا ترى مدح الله لهم: ﴿...**تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...**﴾ (آل عمران: ١١٠)».

والمراد بنزولها كذلك: أنّ هذا التفسير لكلمة: «الأمّة»، بكلمة «الأئمّة»، قد نزل من عند الله سبحانه. حتى ليصحّ أن نضع هذه بدل تلك، على سبيل التفسير، لا لتصبح هذه هي القرآن المنزَل!... أو فقل: إنّ كلمة «الأمّة» هكذا نزلت، مرادًا بها هذا المعنى، وهو «الأئمة»، دون سواه...[١].

- أمّا في ما يتعلّق بشبهة تأليف آية من كلام أبي بكر؛ فقد زعموا أنّ قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ...**﴾ هي من كلام أبي بكر ردّ بها على عمر عندما أنكر وفاة الرسول صلى الله عليه وآله!

إنّ مجرد تلاوة أبي بكر لهذه الآية في ردّه على عمر، وتهدئة الناس لا يعني مطلقًا، أنّها من كلام أبي بكر وقد تفوّه بها، أو قالها، وذلك من جهتين:

الأولى: أنّ جميع الصحابة، ومنهم أبو بكر يحفظونها، ويعلمون أنّها من القرآن، وأنّها كلام الله تعالى، وترتيبها في سورة آل عمران، ونزلت قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ببضع سنين.

الثانية: أنّ الكثير الكثير من الصحابة يعلمون سبب نزولها، ومكان، وتاريخ نزولها. وقد ورد في الروايات أنّ الآية: نزلت في غزوة أحد، عتابًا من الله تعالى على الصحابة، لفرارهم من القتال. حيث إنّه عندما أصيب المسلمون في غزوة أُحُد، وكسرت رباعية الرسول صلى الله عليه وآله وشجّ وجهه، وشاع بين المقاتلين أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قُتل[٢].

---

[١]- انظر: مرتضى، مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة، السؤال رقم ٣٩٤.

[٢]- انظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٣، ص٥٥٩-٥٦٠.

أمّا بالنسبة للآية المنسوبة إلى عمر فقد حملها علماء أهل السنّة على أنّها من باب الاقتراح على رسول الله، حيث قال عمر للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزل قول الله تعالى: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾، فالآية وافقت اقتراح عمر، لا أنّ الآية من كلامه، وقد ورد في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، في النوع العاشر: في ما نزل من القرآن على لسان بعض الصحابة. قال السيوطي فيه: «هو في الحقيقة نوع من أسباب النزول، والأصل في موافقات عمر، وقد أفردها بالتصنيف جماعة»[١]. وممّن أفردوا لذلك السيوطي نفسه في كتابه «قطف الثمر في موافقات عمر» وذكر الفرق بين سبب النزول والموافقة، في أنّ الموافقة ما نزل من القرآن لقول الصحابي، بينما سبب النزول بيان لما قال الصحابي أو فعله أو سأله[٢].

[١]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص٧٠.

[٢]- انظر: السيوطي، قطف الثمر في موافقات عمر، ص٩٠.

الأفكار الرئيسة:

- من لوازم تشكيك المستشرقين في المصدر الإلهي، الطعن في موثوقية النص القرآني ورمي القرآن بأنّه نصّ محرَّف نقيصة أو زيادة.

- اتّفق المسلمون شيعة وسنّة على أنّ القرآن الكريم المُنزَل على الرسول الخاتمﷺ وَصل إلينا دون أيِّ نقصٍ أو تحريف. وقد حَشد الأعلام منهم عدَدًا من الأدلَّة التي تدلّ على عدم وقوع التحريف.

- يعتبر «تيودور نولدكه» من أوائل الذين فتحوا باب التشكيك في موثقية النص القرآني. كما حاول «اجنتس جولد تسيهر»، و«ريجي بلاشير»، و«ريتشارد بل» أن يشكّكوا في صحّة القرآن من خلال نسبة التحريف إليه.

- من جملة الموارد التي وقعت تحت أيدي هؤلاء المستشرقين واستندوا إليها للدلالة على وقوع تحريف في القرآن الكريم هو حذف سورتي الخلع والحفد، وآيات الرجم، وبعض الآيات من سورة الأحزاب، وسورة النور، وضياع جملة من الآيات القرآنيّة في معركة اليمامة وغير ذلك.

- دوافع التشكيك بموثوقيّة النصّ القرآنيّ عند المستشرقين؛ هي: قياس القرآن على الكتب السماويّة السابقة، والأهداف التبشيريّة والسياسيّة، ووجود بعض الروايات الضعيفة في تحريف القرآن الكريم.

- يمكن تقسيم شبهات المستشرقين في ادّعاءهم تحريف القرآن الكريم وتشكيكهم في موثوقيّة النصّ القرآني إلى قسمين اثنين، هما: شبهة الزيادة في القرآن، وشبهة النقيصة من القرآن.

- يقصد المستشرقون من الزيادة في القرآن أنّ بعض القرآن؛ كبعض السور

أو بعض الآيات ليست من القرآن، بل هي من الزيادات التي زادها بعض الصحابة أو غيرهم على القرآن الكريم.

- ردّت هذه الشبهة بـإبطال أصل فكرة الزيادة في القرآن، وبتوجيه ما ورد من خلوّ مصحف ابن مسعود من الفاتحة أو المعوذتين، وبردّ دعوى أنّ في القرآن الكريم آيات هي من أقوال الصحابة.

فكِّروأَجِب:

١. ما هي خلفيّات ودوافع المستشرقين للتشكيك في موثوقيّة النصّ القرآني؟

٢. تكلّم عن دعوى المستشرقين نقصان النصّ القرآني؛ مفنِّدًا إيّاها.

٣. كيف نوجّه ما استندوا إليه من خلوّ مصحف ابن مسعود من الفاتحة أو المعوذتين.

٤. بيّن دعوى المستشرقين «أنّ في القرآن الكريم آيات هي من أقوال الصحابة»؛ مفنِّدًا إيّاها.

الدرس السادس

التشكيك في موثوقيّة النصّ القرآنيّ عند المستشرقين: نقصان النصّ القرآني

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يطّلع على أبرز شبهات المستشرقين في نقصان النصّ القرآني.

٢. يستطيع تفنيد هذه الشبهات ودحضها.

٣. يقارن بين مصحف الإمام علي عليه السلام مع بقية المصاحف في النصّ القرآني واختلافه عنها في ترتيب النزول.

ذهب بعض المستشرقين واستنادًا منهم إلى بعض الشواهد التاريخيّة واعتمادًا على بعض الروايات الضعيفة والموضوعة إلى القول بوجود نقصٍ في القرآن الحالي. وقد تمسَّكوا لإثبات هذا النوع من التحريف بمجموعة من الشُبهات نذكر منها:

أوّلًا: دعوى وجود سورتي الخلع والحفد في مصحف «أُبي بن كعب»

١. بيان الشبهة

زعموا أنّ القرآن نقص منه بعض السور مستدلين على ذلك بكتابة بعض الصحابة؛ كأبي بن كعب، بعض السور التي لم تكتب في القرآن الحالي؛ ويقصدون بذلك سورتي الخلع والحفد[١].

وهذا نصّ سورة الخلع المزعومة: «اَللّٰهُمّ انا نَسْتَعِيْنُك وَنَسْتَغْفِرُكَ ونُثْني عَلَيْكَ اَلْخَيْرَ ولا نَكْفُرُكَ ونَخْلَعُ ونَــتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُك».

وهذا نصّ سورة الحفد المزعومة: «اَللّٰهُمّ إيَّاكَ نَعْبُدُ ولَكَ نُصَلِّي ونَسْجُدُ وَإِلَيْكَ نَسْعَى ونَحْفِدُ نَرْجُو رَحْمَتَكْ ونَخْشَى عَذَابَكَ اَلْجَد أن عَذَابَكَ بِالكُفَّارِ مُلْحِقٌ».

٢. ردّ الشبهة

لم يقبل علماء أهل السنّة هذه الدعوى، واعتبر بعضهم أنّ ما نُسب إلى بعض الصحابة لم يُنسب بعنوان أنّهما من القرآن، بل قد يكونا من القنوت في الصلاة، وعلماء الإمامية أيضًا رفضوا ذلك أيضًا؛ فكون سورتي الخلع والحفد من القرآن أمر مرفوض بالإجماع.

ومن أسباب ذلك الرفض:

أ. عدم ملائمة مضمون هاتين السورتين وانسجامه مع ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه، فالركاكة واضحة عليهما ولا يصحّ نسبتهما إلى أدباء العرب وشعرائهم، فكيف بالقرآن الكريم المعجز في بلاغته وفصاحته!

---

[١]- انظر: نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٨؛ جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلاميّ، م.س، ص٢.

ب. إنّ في بعض الروايات التي روت هاتين السورتين المزعومتين، قد يفهم منها أنّهما من أدعية الصلاة؛ أي من القنوت[١].

ومن أسباب عد ملائمة السورتين المزعومتين لأسلوب القرآن الكريم نذكر الآتي:

- الملاحظات المتعلّقة بكلمة «اللهم» التي أفتتحت بها سورتي «الحفد والخلع»:

- وردت كلمة «اللهم» في القرآن خمس مرات لم تأتِ أي منها في بداية أيّ سورة بتاتًا[٢].

- لا تفتتح السور القرآنيّة بمناداة الله تعالى، بل بمناداة البشر: «يا أيها الناس»، «يا أيها الذين آمنوا»، «يا أيها المـزَّمِّل».

- لم تأتِ كلمة «اللهم» في أيّ سورة إلا وسبقتها كلمة تدلّ على «القول» لفظًا أو معنىً.

- لم يرِد بعد النداء بكلمة «اللهم» في القرآن أي ضمير، أو «أن» الناسخة.

- - بعض الكلمات والصيغ المستعملة لم ترد ولو مرّة واحدة في القرآن الكريم:

- لا يوجد في القرآن كلّه الفعل: «نُصَلِّي».

- لا وجود لفعل «يحفد» في القرآن في أي زمن من الأزمان أو أيّ صيغة من الصيغ. الموجود كلمة «حَفَدَة» وهم أبناء الأبناء، وهذا شيء مختلف عمّا نحن فيه.

- ليس في القرآن كلّه كلمة «خَلْع» التي تدور عليها السورة المدّعاة وعُنْونَتْ بها، بل ليس فيه من ذات المادة إلا فعل الأمر: «اخلع»: ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ**

---

[١]- انظر: البلاغي، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٢٣-٢٤.

[٢]- انظر: سورة آل عمران، الآية ٢٦؛ سورة المائدة، الآية ١١٤؛ سورة الأنفال، الآية ٣٢؛ سورة يونس، الآية ١٠؛ سورة الزمر، الآية ٤٦.

نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه: ١٢).

- لا يتقدَّم حرف الجر على الفعل الدال على الصلاة: «ولَكَ نُصَلِّي»، بل المشاهد أنّه إذا كان هناك حرف جر فإنّه يأتي بعد الفعل، أو تُذْكَر الصلاة مطلقة دون حرف جر أصلاً[١].

- كلمة «عذاب» قد تكررت في القرآن المجيد بضع مئات من المرات: نكرةً ومعرَّفةً بـ«أل» ومضافةً، فلم يتصادف أن جاءت مضافة إلى «كاف الخطاب» قط كما هو وَضْعها هنا. ولم يتفق أيضًا أن اقترنت الاستعانة بالاستغفار في القرآن قط كما هو الأمر في الجملة التي نحن أمامها: «نستعينك ونستغفرك.. وهناك ملاحظات أخرى أعرضنا عن ذكرها خشية الإطالة.

ثانيًا: دعوى نقصان سورتي النورين والولاية

١. بيان الشبهة

أشار نولدكه إلى وجود هاتين السورتين عند الشيعة في كتاب تاريخ القرآن؛ نقلاً عن كتاب «دبستان مذاهب»[٢].

وذكر غولدتسيهر هذا الأمر بشيء من التفصيل؛ حيث قال: «وهم في الحق لا يأتون بالأجزاء الناقصة من النص، وبدلاً من ذلك جاءوا بسور ناقصة بالكلية من القرآن العثماني، أخفتها الجماعة التي كلّفها عثمان بكتابته، عن سوء نية، في زعمهم، إذ هي تشتمل على تمجيد لعليّ، وقد نشر جارسان دي تاسي **(Garcin de Tassy)** وميرزا كاظم بك، لأول مرّة، في المجلة الآسيوية **(Journal Asiatique ١٨٤٢)**، صورة من هذه السور المتداولة في دوائر الشيعة.

وحديثًا وجدت في مكتبة بانكيبور (بالهند) نسخة من القرآن تشتمل، فضلاً عن

---

[١]- انظر: سورة القيامة، الآية ٣١؛ سورة الأعلى، الآية ١٥؛ سورة العلق، الآية ١٠؛ سورة التوبة، الآية ٨٤، سورة النساء، الآية ١٠٢؛ سورة الأحزاب، الآية ٥٦؛ سورة التوبة، الآية ١٠٣؛ سورة الكوثر، الآية ٢.

[٢]- انظر: نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ص١٤٤.

هذه السورة، على سورة «النورين» (٤١ آية)، وسورة أخرى شيعية أيضًا (ذات سبع آيات)، وهي سورة الولاية، أي الموالاة لعليّ والأئمّة، كما تشتمل على تفسيرات مذهبية كثيرة في بقية السور المشتركة".

وكل هذه الزيادات الشيعية نشرها كلير تسدال **(W. st. Clair Tisdall)** باللغة الإنجليزيّة[١].

وذلك يدلّ على استمرار افتراض الشيعة حصول نقص غير قليل في نصّ القرآن العثماني بالنسبة إلى المصحف الأصلي الصحيح[٢].

وممّا جاء في سورة النورين: «بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم * نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم * إن الذين يعرفون بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات نعيم * والذين كفروا من بعدما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفونه في الجحيم... إلى أخر السورة المزعومة». وادّعوا أنّ عدد آيات هذه السورة ٤٢ أو ٤٣ آية.

وممّا جاء في سورة الولاية: «بسم الله الرحمن الرحيم * يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبيّ والولي اللذين بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم * نبي وولي بعضهما من بعض وأنا العليم الخبير * إن الذين يوفون بعهد الله لهم جنات النعيم * والذين إذا تليت عليهم آياتنا كانوا بآياتنا مكذبين *...».

٢. ردّ الشبهة

لا يعتقد أيّ من الشيعة أنّ هذه السور مشمولة في القرآن، ولكنْ ادُّعِيَ أنّها بالفعل جزء أصيل من القرآن وأدرجوها في نسختهم من القرآن (في ما أطلق عليه اسم القرآن الشيعي). ومع ذلك، فإنّ الشيعة يرفضون ذلك؛ باعتباره افتراء لا أساس له؛ يهدف

[١]- انظر: تسدال، «إضافات الشيعة إلى القرآن»، ص٢٢٧-٢٤١.

[٢]- انظر: جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلاميّ، م.س، ص٢٩٤-٢٩٥.

إلى اتهام الشيعة بالاعتقاد بفساد القرآن، ولا يوجد شيء اسمه القرآن الشيعي!

ولا تحتوي أيّ نسخة من القرآن الكريم على هاتين السورتين، وليس هناك ذكر لهما في أي من المخطوطات القديمة للقرآن وكتب الحديث. ويقال إنّ مؤلّف النصّ كان فارسيًا وفقًا لبعض الأكاديميين[١].

ويعتقد الأكاديميون الغربيون، مثل: فون جرونيبوم، أنّ النص هو تزوير واضح، على الرغم من أنّ الكثير منهم اعتبروا أنّ إدخال النصّين هو من عمل الزرادشتيين، وليس الشيعة[٢].

ولا يوجد أيّ ذِكْر لهاتين السورتين المزعوتين في أي من مصادر الإمامية؛ كالكتب الأربعة، أو الكتب القديمة؛ ككتاب سُليم بن قيس، أو غيرها من المصادر.

وإنّ مصدر المستشرقين ومرجعهم، وكذلك الآخرين عن سورتي النورين والولاية، ليس سوى كتاب «دبستان مذاهب»، ونسخة من القرآن يقال إنّها مكتوبة في القرن السابع عشر الميلادي، ولم يقدّم أحد أي مصدر ومستند آخر لهما. وقد يضاف أيضًا فصل الخطاب للمحدّث النوري، وتذكرة الأئمّة لمحمّد باقر اللاهيجي.

والظاهر أنّ المصدر الأساس لسورة النورين أو سورة الولاية ليس سوى كتاب «دبستان مذاهب» والذي يعود إلى القرن الحادي عشر الهجري، وتذكرة الأئمّة الذي جاء بعد حوالي القرن منه استقى منه هذه الفكرة، أمّا النسخة المجهولة التي عثر عليها في بلاد الهند في القرن السابع عشر الميلادي، وادعى كلير تسدال بأنّ هذه السورة موجودة فيها، فثمة احتمال قوي عندما نلاحظ تاريخ كتابة هذه النسخة أن تكون مأخوذة من كتاب «دبستان مذاهب» نفسه أيضًا، وبالتالي فقبل هذا الكتاب ليس ثمة مصدر أو مستند يرجع إليه في ما يخصّ سورة النورين. أمّا سورة الولاية، فلم يعثر عليها إلاّ في تلك النسخة المجهولة من القرآن في القرن السابع عشر الميلادي.

[١]- الكشميري، دبستان المذاهب، ص٥٣٣-٥٣٤.

[٢]- «مذكرة لدراسة القرآن الشيعيّ»، ص٢٨٢.

وعليه، فلا يوجد أي أثر عن هاتين السورتين في أي مصدر من مصادر الشيعة على الإطلاق كما أشرنا[١].

أمّا كتاب دبستان المذاهب الذي هو المصدر الأساس لسورة النورين المزعومة فهو» كتاب فارسي في المذاهب والملل المختلفة، وهو مجهول المؤلف. الكتاب عرض للمذاهب الدينيّة المنتشرة في الهند في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي وفي ختامه درس عن الفلاسفة المشائين وأتباع الأفلاطونية المحدثة[٢]. اكتشفه وليم جونز -حسب قول بدوي- سنة ١٧٨٧م[٣].

أمّا كتاب تذكرة الأئمّة فقد عدّه بعض الباحثين اشتباهًا من كتب العلامة المجلسي؛ وذلك لوجود تشابه بين اسم كتاب للمجلسي؛ وهو «تذكرة الأئمّة» والكتاب المذكور، وكون المؤلّف معاصر للعلامة المجلسي. ولكنّ الصحيح أنّ الكتاب هو لمحمّد باقر اللاهيجي. وقال الشيخ آغا بزرگ الطهراني عن كتاب «تذكرة الأئمّة»: «(تذكرة الأئمة) في تواريخ الأئمّة المعصومين عليهم السلام من ولادتهم ووفياتهم وبيان سائر حالاتهم وما يتعلّق بذلك، للمولى محمّد باقر بن محمّد تقي اللاهيجي، فارسي... فرغ من تأليفه في (١٠٨٥)، حكى شيخنا في الفيض القدسي، تصريح صاحب الرياض بأنّ مؤلفه كان معاصرًا للعلاّمة المجلسي مشاركًا معه في الاسم واسم الأب، وكان مائلاً إلى التصوّف، ومع هذا التصريح من صاحب الرياض وهو تلميذ العلاّمة المجلسي وخرّيت الصناعة، فتكون نسبة الكتاب إلى المجلسي توهّم منشؤه الاشتراك الاسمي...»[٤].

[١]- انظر: المحمّديّ، سلامة القرآن من التحريف وتفنيد الافتراءات على الشيعة الإماميَّة، ص٣٨٩-٤٠٧.

[٢]- انظر: طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص٦٤١-٦٤٢.

[٣]- انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٢٠٩.

[٤]- الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٤، ص٢٦.

وبالنتيجة: السورة فكرة وهميّة اخترعها بعض المستشرقين أو غيرهم ونسبوها إلى الشيعة أو إلى ما يسمّونه «القرآن الشيعي السرّيّ»[١]، مع أنّه حتى «المحدّث النوري» في كتابه «فصل الخطاب» قال عن السورة المزعومة: «لم أجد لها أثرًا في كتب الشيعة».

اختلاف مصحف الإمام علي عليه السلام مع باقي المصاحف

ينقل (جولد تسيهر) في كتابه (مذاهب التفسير الإسلاميّ) بعض الروايات التي تدلُّ على أنّ لدى العلويِّين قرآنًا مدوّنًا بحسب ترتيب نزوله، وأنّ هذا القرآن قد كتَبَه علي عليه السلام بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله مراعيًا فيه ترتيب النزول، وهذا الترتيب مخالفٌ للترتيب العثماني. وهذا القرآن يشتمل على سبعة أجزاء[٢].

واعتبر نولدكه أنّ الإمامية يؤمنون بالمصحف الحالي أي «المصحف الذي جمعه عثمان» بشكل مؤقت، وأنّ المصحف الحقيقي يظهر عند ظهور الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف[٣].

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ كلام نولدكه متداخل مع كلام جولدتسيهر عن مصحف علي عليه السلام مع باقي مصاحف الصحابة.

ولكنّ الصحيح أنّ أوجه الاختلاف بين مصحف أمير المؤمنين ومصاحف الصحابة؛ كمصحف أبي بن كعب، ومصحف ابن مسعود، وغيرهما، قد تكون في أمور أخرى لا تؤدّي إلى تحريف القرآن الكريم بالزيادة والنقيصة:

- الاختلاف في الترتيب والتأليف، وذهب إليه جماعة، يقول العلامة

---

[١]- لمزيدٍ من الاطّلاع على موضوع القرآن الشيعيّ، انظر: ناجي، الإمام عليّ وإشكاليَّة جمع القرآن ودراسات المستشرقين، الفصل الرابع: المستشرقون وإشكاليَّة (قرآن الشيعة)، ص١٤٥-١٧٩.

[٢]- انظر: معرفت، صيانة القرآن من التحريف، م.س، ص٢٩٦-٢٩٧.

[٣]- انظر: نولدكه، تفسير القرآن، م.س، ج٢، ص٣٢٣.

الطباطبائي: «إنّ جمعهعليه السلام القرآن وحمله إليهم وعرضه عليهم لا يدلّ على مخالفة ما جمعه لما جمعوه في شيء من الحقائق الدينيّة الأصليّة أو الفرعية، إلاّ أن يكون في شيء من ترتيب السور أو الآيات من السور التي نزل نجومًا، بحيث لا يرجع إلى مخالفة في بعض الحقائق الدينيّة. ولو كان كذلك لعارضهم بالاحتجاج ودافع فيه ولم يقنع بمجرد إعراضهم عمّا جمعه واستغنائهم عنه، كما روي عنهعليه السلام في موارد شتَّى، ولم ينقل عنهعليه السلام في ما روي من احتجاجاته أنّه قرأ في أمر ولايته ولا غيرها آية أو سورة تدلّ على ذلك، وجّبهم على إسقاطها أو تحريفها»[١].

- الاختلاف بالزيادة والنقصان من جهة الأحاديث القدسيّة، بأن يكون مصحف الإمامعليه السلام مشتملاً عليها، ومصحفهم خاليًا عنها، كما ذهب إليه شيخ المحدّثين الصدوق[٢].

- الاختلاف بالزيادة والنقصان من جهة التأويل والتفسير، بأن يكون مصحفهعليه السلام مشتملاً على تأويل الآيات وتفسيرها، والمصحف الموجود خالٍ عن ذلك، كما ذهب إلى ذلك جماعة[٣].

[١]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١٢، ص١١٩.

[٢]- انظر: الصدوق، الاعتقادات في دين الإماميَّة، ص٨٦.

[٣]- انظر: الفيض الكاشانيّ، التفسير الصافي، ج١، ص٤٦؛ علم اليقين، ص١٣٠؛ الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص١٩٧.

الأفكار الرئيسة:

- زعم بعض المستشرقين أنّ القرآن نقص منه بعض السور مستدلّين على ذلك بكتابة بعض الصحابة؛ كأبي بن كعب، بعض السور التي لم تكتب في القرآن الحالي؛ كسورَتيَ الخلع والحفد.

- لم يقبل علماء أهل السنّة هذه الدعوى، واعتبر بعضهم أنّ ما نُسب إلى بعض الصحابة لم يُنسب بعنوان أنّهما من القرآن، بل قد يكونا من القنوت في الصلاة، وكذلك علماء الإمامية أيضًا رفضوا ذلك؛ فكون سورتي الخلع والحفد من القرآن أمر مرفوض بالإجماع.

- من أسباب ذلك الرفض: عدم ملائمة مضمون هاتين السورتين وانسجامه مع ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه! وفي بعض الروايات التي روت هاتين السورتين المزعومتين، قد يفهم منها أنّهما من أدعية الصلاة.

- ادّعى بعض المستشرقين نقصان سورتي النورين والولاية، ونسبهما إلى المصحف الموجود عند الشيعة!

- لا يعتقد أيّ من الشيعة أنّ هذه السور مشمولة في القرآن، وهم يرفضون ذلك؛ باعتباره افتراء لا أساس له من الصحّة، يهدف إلى اتهام الشيعة بالاعتقاد بفساد القرآن، ولا يوجد شيء اسمه القرآن الشيعي!

- لا تحتوي أيّ نسخة من القرآن الكريم على هاتين السورتين، وليس هناك ذكر لهما في أي من المخطوطات القديمة للقرآن وكتب الحديث. ولا يوجد أيّ ذِكْر لهما في أي من مصادر الإمامية؛ كالكتب الأربعة، أو الكتب القديمة، أو غيرها من المصادر.

- أوجه الاختلاف بين مصحف أمير المؤمنين ومصاحف الصحابة؛ كمصحف

أبي بن كعب، ومصحف ابن مسعود، وغيرهما، قد تكون في أمور أخرى لا تؤدّي إلى تحريف القرآن الكريم بالزيادة والنقيصة؛ كالاختلاف في الترتيب والتأليف، والاختلاف بالزيادة والنقصان من جهة الأحاديث القدسيّة، والاختلاف بالزيادة والنقصان من جهة التأويل والتفسير...

فكِّروأَجِب:

١. بيّن دعوى المستشرقين نقصان القرآن لسورتي الخلع والحفد، مع ردّها ودحضها.

٢. تكلّم عن دعوى المستشرقين نقصان سورتي النورين والولاية، مع ردّها ودحضها.

٣. ما هو واقع الاختلاف بين مصحف الإمام علي عليه السلام ومصاحف الصحابة؟ وكيف استغلّ المستشرقون هذا الاختلاف؟

٤. بيّن كيف نناقش وننقد ما طرحه المستشرقون في الاختلاف بين مصحف الإمام علي عليه السلام ومصاحف الصحابة.

الدرس السابع

الوحي في دراسات المستشرقين

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يعرف معنى الوحي.

٢. يتعرّف إلى المراد من الوحي في نظر العلماء المسلمين.

٣. يفهم مقولة المستشرقين أنّ الوحي حالة باطنيّة عند النبي صلى الله عليه وآله.

٤. يبيّن خلفية دعوى المستشرقين أنّ القرآن من صنع محمّد بتأثيرات خارجيّة.

أوّلًا: الوحي في نظر العلماء المسلمين

الوحي ظاهرة تحدث للأنبياء عليهم السلام وهي عبارة عن علاقة لا مرئية ومعنوية بين نبي من الأنبياء وعالم الغيب، ويتحقّق من خلالها تبيان الرسالة الإلهية، والوحي بهذا المعنى مختص بالأنبياء عليهم السلام. ويحتاج الوحي إلى واسطة في بعض الأحيان (مثل واسطة الملائكة كالملَكِ جبرائيل)، ويستغني عن الواسطة في أحيان أخرى؛ وهو ما يطلق عليه العلماء اسم (الوحي المباشر)، ويختلف المعنى الاصطلاحي للوحي عن معنيَي الإلهام والتحديث.

عرّف شيخ الطائفة الطوسي الوحي بأنّه: «البيان الذي ليس بإيضاح، نحو الإشارة والدلالة، لأنّ كلام المَلَك كان للرسول صلى الله عليه وآله على هذا الوجه»[١]. وفي موضع آخر قال إنّ: «الإيحاء إلقاء المعنى في النفس على وجه يخفى، وهو ما يجيء به من دون أن يرى ذلك غيره من الخلق»[٢].

ويتّضح من خلال التحديدين السابقين أنّهما ناظران إلى أكثر أنحاء الوحي ورودًا في القرآن الكريم، وهو طريق وحي القرآن الكريم نفسه، عبر إرسال مَلَك، وهو جبرائيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله: **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾** (الشعراء: ١٩٣-١٩٤).

وحدّد العلامة الطباطبائي الوحي بأنّه: «إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قُصِدَ إفهامه»[٣]، ويشمل هذا التحديد كلّ أنحاء الوحي، فيدخل فيه الوحي المباشر (بلا واسطة) والوحي غير المباشر (كالوحي بواسطة مَلَك).

---

[١]- الطوسّي، التبيان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٤٢.

[٢]- م.ن، ص.ن.

[٣]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١٢، ص٤٩٢.

ثانيًا: الوحي النبوي في نظر المستشرقين

ورد في (موجز دائرة المعارف الإسلاميّة)[١]: بعنوان: محمّد ﷺ والقرآن:

- لا توجد إشارة قط إلى مصدر الوحي أو صيغة المتكلم في السور والآيات التي يظهر أنّها أقدم ما نزل من القرآن.

- يبدو من بعض الآيات أنّ محمّدا هو المتحدّث.

- من غير المستبعد أن يكون محمّد في بعض الأحيان يكتب بنفسه ما يوحى إليه[٢].

وهناك آراء متعددة عن الوحي المحمّدي أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثين رأيًا ولكن يمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

١. اتّهام الصادق الأمين بالكذب

عرض المستشرقون جملة من الشبهات على الوحي وعند مراجعة كلامهم فإنّ أكثرهم يؤكّدون فكرة واحدة؛ وهي أنّ «القرآن من صنع النبيّ محمّد»؛ أي الاتّهام المباشر للرسول ﷺ -والعياذ بالله- بالكذب وأنّه افترى القرآن من عند نفسه، ونسبه إلى الله تعالى.

ومن هذه الأقوال نذكر:

يقول مونتغري وات: «إنّ محمّدا لم يكن يؤمن بما كان يوحى إليه وأنّه لم يتلقَّ

[١]- نُشرت هذه الموسوعة نشرة أولى في باريس عام ١٩١٣م، ثم نشرت ثانية وبإضافات جديدة وكثيرة عام ١٩٨٦م، وكتب فيها كتّاب من العرب والمسلمين، وتُرجِم جزءٌ منها إلى اللغة العربيّة في الثلاثينات من القرن الماضي، وأضيفت إلى الترجمة تعليقات وتصويبات. ثمَّ تُرجمت الطبعة الثانية من الموسوعة إلى العربيّة وظهرت باسم «موجز دائرة المعارف الإسلاميّة»، وصدرت طبعتها الأولى في الشارقة (تحرير: م. ت. هوتسما؛ ت. و. أرنولد؛ ر. باسيت؛ ر. هارتمان، تاريخ النشر: ١٩٩٨/١/١م، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، الطبعة الأولى، عدد الصفحات: ١٠٥١٨ صفحة، وعدد المجلّدات ٣٣).

[٢]- انظر: هوتسما، م.ت؛ وآخرون، موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ج٢٥، ص٧٦٦٥-٧٦٦٦.

الوحي من مصدر خارجي عنه، بل إنّه ألّف الآيات عن قصد ثم أعلنها للناس بصورة خدعهم بها وجعلهم يتبعونه فضمن لنفسه بذلك من يرضي طموحه...»[١].

ويقول ماكدونالد: «القرآن ليس من عند الله»[٢].

وقريب منه قول ويلز: «محمّد هو الذي صنع القرآن»[٣].

وغيرها من الأقوال التي تؤكّد الفكرة نفسها.

٢. الوحي حالة باطنيّة عند الرسول صلى الله عليه وآله

وقد عبّروا عن هذه المقولة الباطلة بتعبيرات شتّى:

- الوحي حالة نفسية (الوحي النفسي).
- الوحي انفعال عاطفي (نوبات انفعالية).
- الوحي تنويم ذاتي.
- الوحي تجربة ذهنية.
- الوحي حالة مرضية؛ كالصرع الهستيري.
- الوحي نوع من الهوس المرَضي.

يقول جولد تسيهر عن النبي محمّد صلى الله عليه وآله أنّه «خلال النصف الأوّل من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارًا أخذ يجترها في قرارة نفسه وهو منطوٍ في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة التي يلمح

[١]- وات، محمّد في المدينة، ص٤٩٦.

[٢]- دائرة المعارف الإسلاميَّة، م.س، بحث التعريف بكلمة الله، ج٤، ص٢٤٤.

[٣]- ويلز، معالم تاريخ الإنسانيَّة، ج٣، ص٦٢٦.

فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينيّة والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين»[١].

- عبقرية محمّد، هي التي مكنته من وضع القرآن على هذه الهيئة.

- إنّ محمّدا ليس رسولاً من عند الله، وإنّما هو رجل ذكي أتى بنوادر الأعمال الإنسانية، ثم انتحل صفة الرسالة والرسول.

- مناجاة روح الخداع والحماسة التي لا تقطن السماء، وإنّما تسكن عقلَ النبيّ.

- نبوة الرسول ليست وحيًا، وإنّما هي فكرة بشرية تتطور في نفس صاحبها.

٣. القرآن ليس وحيًا أصلاً، بل هو من صنع محمّد بتأثيرات خارجية؛ فهو:

- من إملاءات الكهنة والمنجمين.

- جمعه من البيئة المكية.

- من الديانة اليهوديّة والنصرانية والبيئة الجاهلية.

ويذهب بروكلمان إلى أنّ القرآن ناتج عن أمرين؛ الأول: الأفكار التي كوّنها النبيّ، والثاني: ما استقاه من الديانتين اليهوديّة والنصرانية. فيقول في هذا المجال: «لم يكن عالمه الفكري من إبداعه الخاص إلا جزءًا صغيراً فقد انبثق في الدرجة الأولى عن اليهوديّة والنصرانية»[٢].

ويقول: جرجس سال: «اجتمع في جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة الأسماء لجأوا إليها هربًا من اضطهاد القياصرة فأدخل محمّد كثيراً من عقائدهم في دينه، أمّا اليهود الذين كانوا أذلّاء لا يعتد بهم فقد قويت شوكتهم في بلاد العرب حيث

[١]- جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، م.س، ص١٣.

[٢]- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميَّة، ص٦٩.

لجأ كثير منهم على أثر خراب بيت المقدس وهوّدوا كثيراً من ملوك العرب، ولذا كان محمّد في بادئ أمره يداريهم حتى أنّه أخذ عنهم كثيراً من مقالاتهم ورسومهم تألّفًا لهم لعلهم يشايعونه»[١].

- أخذه من غيره، وهذا الغير مختلف فيه بين أفراد وجماعات؛ كاليهود والنصارى أو بعض المؤمنين من أهل الكتاب.

ينقل المستشرق الروسي أليكس -مشكّكًا- قصة أنّ النبيّ أخذ من الراهب بحيرا أثناء سفره إلى الشام «أنّ محمّدا كان في البداية تلميذًا للراهب النسطوري سرجيوس بحيرا، زاعمين أنّه تلقّى منه بعض المعلومات الأساسيّة من التوراة والإنجيل»[٢].

وبعضهم ذهب إلى أنّ النبي قد تعلّم من ورقة بن نوفل. يقول مونتغري وات: «كانت خديجة ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل بن أسد وهو رجل متديّن اعتنق أخيراً المسيحيّة، ولا شكّ أنّ خديجة قد وقعت تحت تأثيره ويمكن أن يكون محمّد قد أخذ شيئًا من حماسه وآرائه»[٣].

٤. القرآن شعر أو سحر

- كلام عربي نَظَمه محمّد شعرًا.

- القرآن ما هو إلا سحر من كلامه.

يقول مونتيه: «إنّ أسلوب القرآن أسلوب شعري مقفى، غير أنّ هذا الأسلوب الشعري ينحصر في السور المكية، خصوصًا القديمة جدًّا منها، دون السور المدنيّة (...) المقطع الشعري يتبعه تقسيم منظم، فهو مجموعة أبيات في نظام محدد، تحدث بروابطها ورجوعها انطباعًا لطيفًا في الأذن»[٤].

---

[١]- سال، مقالة في الإسلام، ص٧٢-٧٣.

[٢]- جورافسكي، الإسلام والمسيحيَّة، ص٦١.

[٣]- وات، محمّد في مكَّة، ص٧٤-٧٥.

[٤]- نقلاً عن: نصري، «موقف المستشرقين من لغة القرآن الكريم».

ويرى «ريجس بلاشير» أنّ لغة القرآن تشبه لغة الشعر العربي الأصيل في إيقاعه وحركاته وسجعه وقافيته[١].

ويقول: المستشرق البلجيكي «هنري لامانس»: «إنّ كل آية تنتهي بسجع يقوم مقام القافية، هذه القافية من جنس خاص تسمى السجع، كانت سابقًا مستعملة عند الكهّان الوثنيين العرب، وكانت مستعملة بحرّيّة أكثر وبتسامح في البحور العروضية»[٢].

٥. القرآن صياغة جديدة للكتب المقدسة

ادّعى بعض المستشرقين أنّ القرآن صياغة عربيّة جديدة لما ورد في التوراة والإنجيل، وليس وحيًا من عند الله تعالى.[٣]

يقول «مكسيم رودنسون» في كتابه محمّد: «إنّ قصص القرآن ما هي إلا ترديد لما تعلّمه محمّد وسرقه من الأديان السابقة، ومن الكتب اليهوديّة»[٤].

ويرى «ريتشارد بل» مؤلّف كتاب (مقدمة القرآن): «إنّ النبيّ قد اعتمد في كتابه القرآن على الكتاب المقدّس، وخاصة على العهد القديم في قسم القصص...»[٥].

[١]- انظر: نصري، «موقف المستشرقين من لغة القرآن الكريم».

[٢]- انظر: م.ن.

[٣]- انظر: محمّد، آراء المستشرقين حول الوحي، ص٢٨-٣١.

[٤]- رودنسون، محمّد، ص١٥١.

[٥]- زقزوق، الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ، ص١٠٢.

الأفكار الرئيسة:

- الوحي ظاهرة تحدث للأنبياء عليهم السلام وهي عبارة عن علاقة لا مرئية ومعنوية بين نبي من الأنبياء وعالم الغيب، ويتحقّق من خلالها تبيان الرسالة الإلهية، والوحي بهذا المعنى مختص بالأنبياء عليهم السلام.

- هناك آراء متعددة عند المستشرقين عن الوحي المحمّدي أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثين رأيًا.

- اتّهم بعض المستشرقون النبي صلى الله عليه وآله بافتراء القرآن من عند نفسه.

- ادّعى بعض المستشرقين أنّ الوحي حالة باطنيّة عند الرسول صلى الله عليه وآله، وقد عبرّوا عن هذه المقولة الباطلة بتعبيرات شتّى:

- الوحي حالة نفسية (الوحي النفسي).
- الوحي انفعال عاطفي (نوبات انفعالية).
- الوحي تنويم ذاتي.
- الوحي تجربة ذهنية.
- الوحي حالة مرضية؛ كالصرع الهستيري.
- الوحي نوع من الهوس المرَضي.

- يرى بعض المستشرقين أنّ القرآن ليس وحيًا أصلاً، بل هو من صنع محمّد بتأثيرات خارجية؛ فهو: من إملاءات الكهنة والمنجمين، جمعه من البيئة المكية، ومن الديانة اليهوديّة والنصرانية والبيئة الجاهلية.

- يرى بعض المستشرقين أنّ القرآن هو كلام عربي نَظَمه محمّد شعرًا، وما هو إلا سحر من كلامه.

- ادّعى بعض المستشرقين أنّ القرآن صياغة عربيّة جديدة لما ورد في التوراة والإنجيل، وليس وحيًا من عند الله تعالى.

فكِّر وأَجِب:

١. اشرح معنى الوحي.

٢. ما هي خصائص نظرة العلماء المسلمين للوحي؟

٣. ما هي نظرة المستشرقين للوحي؟

٤. ما هي آراء المستشرقين في الوحي.

٥. هل يوجد من رفض فكرة الوحي من المستشرقين، بيّن ذلك.

الدرس الثامن

دعاوى بطلان الوحي عند المستشرقين

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على ادّعاء المستشرقين بطلان الوحي وافتراء النبي للقرآن.

٢. يتمكّن من تفنيد ادّعاء بطلان الوحي وينقده.

٣. يتعرّف على شبهة تفسير المستشرقين الوحي بالتفسيرات المادّيّة.

٤. يفنِّد شبهة تفسير الوحي بالتفسيرات المادّيّة ويبطلها.

طوائف الشبهات المثُارة على الوحي

يمكن تصنيف الشبهات المثُارة على الوحي إلى أربع طوائف أساسيّة، وسوف نتناول الطائفتين الأوليين منها في هذا الدرس، على أن نستكمل الطوائف الأخرى في الدرسين اللاحقين.

أوّلًا: الطائفة الأولى: ادّعاء بطلان الوحي وافتراء النبي للقرآن!

١. بيان هذا الادّعاء

ادّعى بعض المستشرقين بطلان الوحي ونفي الرسالة عن الرسول الخاتم؛ بتكذيبهم الرسول، واتّهامه بأنّه افترى القرآن من عند نفسه!

ولو سألت هؤلاء كيف تمكّن محمّدﷺ من صنع القرآن، مع اعترافكم بأنّ أسلوب القرآن في أعلى درجات البلاغة، والفصاحة وقوة التعبير، بالإضافة إلى تناوله الكثير من قضايا العلوم والمعارف الكونية وغيرها التي لم يكن لها وجود في عصر النبيّﷺ ؟!

لرأيتهم يصتنعون جملة من الأجوبة في هذا المجال؛ منها: أنّ محمّداﷺ كان عنده عبقرية خارقة، أو كان ساحرًا، أو كان شاعرًا، أو جمعه من البيئة المكية، وغير ذلك من الأجوبة المتقدمة!

٢. الردّ على هذا الادّعاء

أ. الردّ على شبهة أنّ القرآن من عند نفسه

وهذه الشبهة قد ردّ عليها جملة من المستشرقين المنصفين. قال إدوارد مونتيه:

«كان محمّد نبيًّا بالمعنى الذي يعرفه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافع عن عقيدة خالصة لا صلة لها بالوثنية»[١].

كما تصدّت المستشرقة الإيطالية لورا للأقلام المغرضة ودافعت عن الرسول ﷺ بتفنيد الأكاذيب التي كانت تشاع عنه في القرون الوسطى[٢].

والموقف نفسه نجده عند المستشرق السويسري حنّا الذي قال: «بقدر ما نرى صفة محمّد الحقيقيّة بعين البصيرة والتروي في المصادر التاريخية الصحيحة... وقد جاء بشرع لا يسعنا أن نتهمه فيه»[٣].

ويقول المستشرق كارل: «لقد أخطأ من قال إنّ نبي العرب دجّال أو ساحر؛ لأنّه لم يفهم مبدأه السامي، أنّ محمّدا ﷺ جدير بالتقدير، ومبدأَه حري بالاتباع، ليس لنا أن نحكم قبل أن نعلم، وأنّ محمّدا خير رجل جاء إلى العالم بدين الهدى والكمال، كما أنّنا لا نرى أنّ الديانة الإسلاميّة بعيدة عن الديانة المسيحيّة»[٤].

وممّن دحض هذه المزاعم: المستشرق الروسي جان ميكائيليس (١٧١٧-١٧٩١م)، وكذلك المستشرق الفرنسي دينيه، كما اعترف بصدق رسالته وتأكيد نزول الوحي إليه كل من: توماس كارليل، ولامارتين ماري لوي دي، والكونت كاستري، والباحث الأوروبي سنكس، والفيلسوف الروسي تولستوي، والبروفيسور ليك، والإنجليزي توماس آرنولد.

هؤلاء وغيرهم من المستشرقين المنصفين كانت لهم اعترافات بنُزول الوحي على

[١]- الشيباني، الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، ص١١٧.

[٢]- انظر: م.ن، ص٣٨٨.

[٣]- م.ن، ص٣٩٤.

[٤]- م.ن، ص٣٩٤.

النبيّ صلى الله عليه وآله، وصرحوا بصدقه صلى الله عليه وآله بعد دراسة عميقة، بعدل وإنصاف[١].

ومن الملاحظات التي يمكن إيرادها في هذا المجال نذكر الآتي:

- لو كان القرآن من صنعه صلى الله عليه وآله لماذا كان ذلك بعد (٤٠) سنة من عمره؟ ولماذا حصلت الدعوة بهذه الطريقة، ولماذا سكت كلّ هذه المدّة؟

- لو كان القرآن عملاً أدبيًا للنبي لماذا لا نجد اشتراكًا بينه وبين الأدب الجاهلي، اللهم إلا في اللغة العربية، فلا الأفكار هي نفسها، ولا الأسلوب، ولا المنهج، ولا أي شيء آخر.

- لو كان القرآن صنع النبيّ لماذا تختلف أحاديث النبيّ -وبشكل واضح- من ناحية الأسلوب والروح والألفاظ والتراكيب عن القرآن الكريم؟

- لو كان الوحي القرآني من عنديّاته ومن إبداعاته؛ لجعله يوافق هواه، ولو كان من إنشائه، فلماذا لم يضمّنه أحاديثه؟ ولماذا لم يسرد فيه قصّة حياته؟ و...

- القرآن نفسه ينفي أن يكون من صنع البشر وتأليفهم، وإنّما هو كلام الله المنـزل على رسوله؛ وذلك لأسباب عدّة:

• من ناحية أسلوبه البليغ المعجز المغاير لأسلوب الرسول.

• من ناحية ما تضمّنه القرآن من إشارات علمية دقيقة، ونبوءات غيبية، وأخبار القرون الماضية، وأمور التشريع، وغير ذلك من العلوم والمعارف...

• القرآن لا يعكس شخصية الرسول في أفراحه وأحزانه، فقد توفيّ عمّه وزوجه

---

[١]- انظر: محمّد، آراء المستشرقين حول الوحي، م.س، ص٣٤-٣٥.

في عام واحد فحزن عليهما حزنًا شديدًا، ومع ذلك لم نرَ في القرآن أي إشارة إلى ذلك.

٢. رد القرآن على هذا الادّعاء

إنّ هذا الادّعاء الذي أثاره المستشرقون ما هو إلا ترديد للادّعاءات القديمة التي أثارها المجتمع الجاهلي آنذاك في نفي الوحي وإنكار النبوة، والرد عليهم هو نفسه الرد على آراء المستشرقين، باعتبار أنّ هذه الآراء ما هي إلا صدى لتلك الادّعاءات.

قالوا: إنّ القرآن سحر، ومحمّد ساحر، فحكى الله ذلك عنهم بقوله: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ (الصافات: ١٤-١٥)، وبقوله تعالى: ﴿**وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ (ص: ٤).

وقالوا: إنّ القرآن شعر ومحمّد شاعر، قال تعالى: ﴿**بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ**﴾ (الأنبياء: ٥)، وقوله: ﴿**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ**﴾ (الصافات: ٣٦).

وقالوا عنه: إنّه مجنون، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦)، فرد الله عليهم بقوله: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الحاقة: ٤٠-٤٣)، ﴿**وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ**﴾ (التكوير: ٢٢).

ثانيًا: الطائفة الثانية: شبهة تفسير الوحي بالتفسيرات المادّيّة

١. بيان هذه الشبهة

تصوّر أصحاب التيار المادي أنّ الأنبياء (بعثوا) ولم (يبعثوا) بتأثير وضغط الحاجة الفكرية والنفسية والاقتصادية التي عانى منها أفراد مجتمعاتهم، وقد كان أولئك الأنبياء مرهفي الإحساس، شديدي الذكاء، قادرين على استغلال تلك الحاجة في النفوس بتحريك أصحابها وقيادتهم. ويرون أنّ دعوة الأنبياء جاءت نتيجة عاطفتهم الإنسانية أو ميلهم نحو الإصلاح.

يقول توماس كارليل أثناء مدحه للنبي محمّدﷺ: «القرآن لو تبصرون ما هو إلا جمرات ذاكيات قذفت بها نفس رجل كبير السن بعد أن أوقدتها الأفكار الطوال في الخلوات الصامتات، وكانت الخواطر تتراكم عليه بأسرع من لمح البصر وتتزاحم في صدره (...) وقد أتخيل روح محمّد الحادّة الناريّة، وهي تتململ طول الليل الساهر يطفوبها الوجد ويرسب، وتدور بها دوّامات الفكر، حتى إذا أسفرت لها بارقة رأي حسبته نورًا هبط عليها من السماء وكل عزم مقدّس يهم به يخاله جبريل ووحيه»[١].

٢. ردّ هذه الشبهة

لا شكّ أنّ هناك فروقًا واضحة بين الأنبياء والمصلحين؛ فالنبيّ: إنسان حرّ من بني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، فهم جاؤوا بأفكار جديدة تخالف ما كان عليه ثقافة أقوامهم، وأتوا بقيم أخلاقيّة واجتماعيّة غير متأثرة بما كانت عليه أممهم؛ ما يدّل على ربانية ما جاؤوا به من علم أو كتاب.

ولقد ظهر لكلّ منصف أنّ ما دعا إليه الرسول من الشعائر العبادية والقيم الأخلاقية،

---

[١]- كارليل، الأبطال، ص٨٥-٨٦.

وقواعد السلوك لم يكن نابعًا من بيئته، بل كان غريبًا عن ثقافتهم مباينًا لأعرافهم، كما قرّره جعفر بن أبي طالب، أمام ملك الحبشة، مظهرًا المفارقة بين مظاهر الواقع، ومعطيات الوحي، قال: «أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ و... حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ...»[١].

فوصف لنا الحالة التي كانوا يعيشونها، ثم بَيَّنَ صفات النبيّ الموحى إليه، ثم بين ما أمرهم به مما يخالف ما كانوا عليه، وما نهاهم عنه من الأوزار، ثم عدد أمور الإسلام الأخرى.

فدّل هذا على أن الوحي يأتي إلى الرسول من قِبَلِ الله؛ لإعادة الناس إلى فطرهم الأصلية التي انصرفوا عنها بفعل عوامل كثيرة اقترفوها مع عامل الزمن[٢].

---

[١]- الطبري، دلائل الإمامة، ص١٢.

[٢]- انظر: محمّد، آراء المستشرقين حول الوحي، م.س، ص٦٥-٦٧.

الأفكار الرئيسة:

- ادّعى بعض المستشرقين بطلان الوحي ونفي الرسالة عن الرسول الخاتم؛ بتكذيبهم الرسول، واتّهامه بأنّه افترى القرآن من عند نفسه!

- وهذه الشبهة قد ردّ عليها جملة من المستشرقين المنصفين؛ كإدوارد مونتيه، والمستشرقة الإيطالية لورا، والمستشرق السويسري حنّا، ...

- كما يمكن إيراد جملة من الملاحظات على هذا الادّعاء تنفي أن يكون القرآن من صنع النبي صلى الله عليه وآله!؛ بالاعتماد على القرآن والروايات والمعطيات التاريخية واللغويّة والعقل.

- إنّ هذه الشبهات التي أثارها المستشرقون ما هي إلا ترديد للشبهات القديمة التي أثارها المجتمع الجاهلي آنذاك في نفي الوحي وإنكار النبوة، والرد عليهم هو نفسه الرد على آراء المستشرقين، باعتبار أنّ هذه الآراء ما هي إلا صدى لتلك الشبهات.

- تصوّر أصحاب التيار المادي أنّ الأنبياء (بعثوا) ولم (يبعثوا) بتأثير وضغط الحاجة الفكرية والنفسية والاقتصادية التي عانى منها أفراد مجتمعاتهم، وقد كان أولئك الأنبياء مرهفي الإحساس، شديدي الذكاء، قادرين على استغلال تلك الحاجة في النفوس بتحريك أصحابها وقيادتهم. ويرون أنّ دعوة الأنبياء جاءت نتيجة عاطفتهم الإنسانية أو ميلهم نحو الإصلاح.

- لا شكّ أنّ هناك فروقًا واضحة بين الأنبياء والمصلحين؛ فالنبيّ: إنسان حرّ من بني آدم أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه، فهم جاؤوا بأفكار جديدة تخالف ما كان عليه ثقافة أقوامهم، وأتوا بقيم أخلاقية واجتماعية غير متأثرة بما كانت عليه أممهم؛ ما يدّل على ربانية ما جاؤوا به من علم أو كتاب.

فكِّر وأَجِب:

١. إشرح المقصود من شبهة المستشرقين في «بطلان الوحي وافتراء النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه للقرآن».

٢. ناقش وفنّد وإبطال شبهة المستشرقين في «بطلان الوحي وافتراء النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه للقرآن».

٣. ما هي شبهة تفسير الوحي بالتفسيرات المادّيّة؟

٤. كيف نفنّد شبهة تفسير الوحي بالتفسيرات المادّيّة ويبطلها.

الدرس التاسع

مناقشة دعاوى بطلان الوحي عند المستشرقين ونقدها

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على ادّعاء المستشرقين إنكار الوحي وتلقي النبيﷺ له من عند غيره تعالى.

٢. يفنِّد ادّعاء المستشرقين ويبطله بالرجوع إلى القرآن والسنّة.

٣. يفنِّد ادّعاء المستشرقين ويبطله بالرجوع إلى العقل والتاريخ.

من طوائف الشبهات المثارة على الوحي

الطائفة الثالثة: ادّعاء إنكار الوحي واتّهامهﷺ بأنّه تلقّاه من عند غيره تعالى!

أوّلًا: بيان هذا الادّعاء

يتفق أصحاب هذا الادّعاء على أنّ القرآن الكريم هو من صُنع الآخر، فمحمّد تلقّاه من الآخرين، طبعًا اختلفوا في مرجع هذا التلقّي، فقالوا إنّه الأديان السابقة، أو المجتمع الوثني، وغير ذلك وقد تقدّمت الإشارة إلى هذه الأمور، ومن بين التُهم قالوا إنّ محمّدا كان يعلّمه بشر، وهم في ذلك أنكروا الوحي وأرجعوا القرآن إلى بشر آخرين غير شخص النبيّ، ومن الأسماء التي طرحوها في المجال نذكر الآتي:

- الحداد الرومي.
- بحيرا النصراني.
- ورقة بن نوفل القرشي.

وفي تفسير قوله تعالى من سورة الفرقان: ﴿**وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ**﴾. ذكر المفسّرون جملة من الأسماء في هذا المجال.

قال العلامة الطباطبائي: «وقد ورد في بعض الآثار أن القوم الآخرين هم عداس مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي، وجبر مولى عامر، كانوا من أهل الكتاب يقرءون التوراة أسلموا وكان النبيّﷺ يتعهدهم فقيل ما قيل»[١].

والمستشرقون لم يأتوا بشيء جديد وما يقولونه إنّما هو صدى لما كان يردّده أسلافهم من المشركين وأهل الكتاب أثناء نزول الوحي. ولكن هؤلاء لكي يعطوا هذا

[١]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١٥، ص١٨٠.

الكلام نوعًا من المصداقية، قالوا إنّ محمّدا قد تعلّمه من بشر، وحدّدوا له صنفين:

- **الأوّل:** أن يكون من سكان مكة، وذلك ليتمكّنوا من ادّعاء الملاقاة بينه وبين النبيّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

- **الثاني:** أن لا يكون من أبناء جلدتهم، فقالوا إنّه تعلّم القرآن من حداد رومي. قيل: بلعام، وقيل: يعيش، وقيل: جبر، وقيل: يسار، وغير ذلك المهم أنّ النبيّ حسب ادعاءهم تعلّم القرآن منه[1].

والقرآن الكريم ردّ على هذه الفرية؛ بقوله: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ (النحل: ١٠٣).

ثانيًا: الردود على هذا الادّعاء

١. تقرير الجواب عن الشبهة استنادًا للآية

لا بدّ من الالتفات أوّلًا إلى أنّ تمام الجواب عن الشبهة ليس فقط في هذه الآية، بل إلى تمام الآيتين التي بعدها؛ أي الآيتين ١٠٤ و١٠٥؛ لأنّه قد يقال حتى لو افترضنا أنّ من علّمه القرآن هو أعجمي، فمن المحتمل أن يعلّمه المعاني، والنبيّ يصوغها ويسبكها بعباراته وألفاظه العربية.

ولذا تمام الجواب مأخوذ من الآيات الثلاث من سورة النحل، أي الآية ١٠٣ المتقدمة وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ (النحل، ١٠٤-١٠٥).

فالجواب هو الآتي:

أنّ اتّهام النبيّ بأنّ هناك بشر يعلّمه القرآن الكريم لا يخلو من احتمالين:

---

[١]- انظر: الشيرازيّ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج٩، ص١٥٩.

- **الاحتمال الأوّل:** أنّه يعلّمه القرآن بلفظه، فالقرآن كلام الرومي لا كلام الله.

وجوابه: أنّ هذا الرجل لسانه أعجمي، وهذا القرآن عربي مبين. وهذا ما أفادته الآية ١٠٣ من سورة النحل.

- **الاحتمال الثاني:** كان يعلّمه معاني القرآن واللفظ من النبيّ، ثمّ النبيّ ينسبه إلى الله افتراء عليه.

والجواب عنه:

- أنّ الذي يتضمّنه القرآن معارف حقّة لا يرتاب ذو لبّ فيها وتضطر العقول إلى قبولها قد هدى الله النبيّ إليها فهو مؤمن بآيات الله إذ لو لم يكن مؤمنًا لم يهده الله، والله لا يهدى من لا يؤمن بآياته. وهذا ما أفادته الآية ١٠٤ من سورة النحل.

- وإذ كان مؤمنًا بآيات الله فهو لا يفتري على الله الكذب؛ فإنّه لا يفتري عليه إلا من لا يؤمن بآياته، فليس هذا القرآن بمفترى، ولا مأخوذًا من بشر، ولا منسوبًا إلى الله سبحانه كذبًا. وهذا ما أفادته الآية ١٠٥ من سورة النحل.

والمعنى: إنّ الذين لا يؤمنون بآيات الله ويكفرون بها لا يهديهم الله إليه وإلى معارفه الحقّة الظاهرة ولهم عذاب أليم والنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مؤمن بآيات الله لأنّه مهدي بهداية الله؛ وإنّما يفتري الكذب وينسبه إلى الله الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون المستمرون على الكذب. وأمّا مثل النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ المؤمن بآيات الله فإنّه لا يفتري الكذب ولا يكذب، فالآيتان كنايتان عن أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مهدي بهداية الله مؤمن بآياته ومثله لا يفتري ولا يكذب[1].

«فإذا كان قوم من الذين كانوا أحرص الناس على خصومته، وأدراهم بأسفاره، وأحصاهم لأحواله، عجزوا أن يقدموا أي صلة علمية بينه وبين أهل العلم في عصره،

---

[١]- انظر: الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، ج١٢، ص٣٤٨-٣٤٩.

فما بال المستشرقين وأذنابهم من الملحدين يبحثون عن تلك الصلة بعد مضي أربعة عشر قرنًا وربع من الزمان؟ فلو وُجِدت لأثبتها سلفهم، وكَفَوهم عناء البحث، فليريحوا أنفسهم وليشتغلوا بغير هذه الشبهات»[١].

٢. أمّيّة النبيّ تنفي تعلّمه من بشر

يقول توماس كاريل: «ثمّ علينا أن لا ننسى شيئًا وهو أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله لم يتلقّ درسًا عن أستاذ أبدًا، ويظهر لي أنّ الحقيقة هي أنّ محمّداً عليه السلام لم يكن يعرف الخطّ والقراءة، وكل ما تعلّمه هو عيشة الصحراء وأحوالها. وعجيب والله أميّة محمّد صلى الله عليه وآله، نعم إنّه لم يعرف من العالم ولا من علومه إلا ما تيسّر له أو يبصره بنفسه أو يصل إلى سمعه»[٢].

ويقول هنري كاستري: «ثبت إذن أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله لم يقرأ كتابًا مقدّسًا، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدّم عليه»[٣].

لقد حاول المستشرقون إثبات عدم أميّة النبيّ؛ لإثبات تعلّمه الكتاب المقدّس من الآخرين.

والمعروف أنّ النبيّ أمّيّ؛ بمعنى لا يقرأ ولا يكتب. وهذا هو الرأي المعروف عند علماء أهل السنّة وعند جملة من علماء الإمامية. وهناك رأي آخر عند بعض العلماء وهو أنّ النبيّ كان يقرأ ويكتب، ولكنه لم يمارس القراءة والكتابة أصلاً، طبعًا وهناك أدلّة متعددة على ذلك. وعلى كلا الأمرين؛ فهذا لا يثبت ما ادّعاه المستشرقون.

لأنّه حتى لو ثبتت قدرة النبيّ صلى الله عليه وآله على القراءة والكتابة؛ فإنّ ذلك لا يقلّل من إعجاز القرآن؛ لأنّه لا يتطرّق الاحتمال إلى أنّ ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله من نظم عجيب وكلام بليغ هو من عند الأقوام السابقة أو من الأديان السالفة، بل الكلّ أدرك أنّ ما

---

[١]- انظر: درّاز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، ص٦٧-٨٣.

[٢]- انظر: الطنطاوي، «الإسلام والمستشرقون». نقلاً عن: محمّد، آراء المستشرقين حول الوحي، م.س، ص٣٠١.

[٣]- م.ن، ص٣٠٣.

جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله هو شيء جديد يختلف عمّا سمعوه سابقًا من كلام السابقين والذي يؤكّد هذا المعنى أنّ القرآن تحدى الجميع بأنّ يأتوا بمثله، وكان بإمكانهم وبكلّ سهولة أن يقولوا إنّ ما نسمعه من كلام محمّد صلى الله عليه وآله هو نفس الموجود في الكتب السماوية السابقة، وهذا سيؤدي إلى انهيار دعوى النبيّ، ويؤكّد عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن. ومن هذه الجهة لا موضوعيّة لكون النبيّ يقرأ ويكتب أو لا، فعجزهم عن ذلك يكفي لأن يكون القرآن الكريم هو كلام يفوق كلّ كلام سابق أو لاحق.

٣. تلّقي النبيّ من بحيرا وورقة

فقولهم: إنّ محمّدا اتصل بـ(بحيرا) فأملى عليه معلومات، ثمّ لمّا رجع إلى مكّة تبنّاها وزعم أنّها من عند الله.

فردّه واضح؛ لأنّ إلقاءه ذلك كان محدودًا وبحضور زعماء قريش، وكان عمر النبيّ اثني عشر عامًا، فطبيعة اللّقاء تنفي أن يكون قد حصل تعلّم لمحمّد صلى الله عليه وآله من بحيرا؛ لأنّه لقاء قصير عابر لا يكفي للدرس والتحصيل، وسنّ النبيّ إذ ذاك صغيرة لا تؤهِّله للتلقّي، ولا توجد رواية تذكر ذلك التعليم، ثم إنّ اللقاء حضره عدد من رجال القافلة، فلم يذكروا شيئًا من ذلك، وقد كانوا أحرص الناس على إحباطها بعد إعلانها.[١]

أمّا دعوى تعلّمه من ورقة بن نوفل فإنّه لم يثبت تاريخيًا أنّ ورقة كان يدعو إلى النصرانية، وأنّ جميع الروايات الصحيحة أكّدت عدم اتصال الرسول بورقة إلا بعد مجيء الوحي إليه، وعدم وجود أي صلة سابقة بين محمّد صلى الله عليه وآله وورقة.

ثمّ إنّ موقف ورقة من ذلك اللّقاء كان موقف المستفسر لما حصل مع الرسوّل في غار حراء، فلمّا سمع ما وقع للنبي صلّى الله عليه [وآله] وسلم آمن به وشهد على صدقه، ووعده أنّه سينصره نصرًا مؤزّرًا، بعد أن أخبره أن قومه سيؤذونه ويخرجونه، ثمّ لم يلبث ورقة أن توفىّ وفتر الوحي[٢].

---

[١]- انظر: محمّد، آراء المستشرقين حول الوحي، م.س، ص٥٠.

[٢]- انظر: عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنّة نقض مزاعم المستشرقين، ص٩١-٩٤.

فلو سلّمنا أنّ هناك لقاء بين النبيّ وورقة، لكنّ ذلك لا يكفي للتعليم؛ أي ليأخذ النبيّ منه القرآن والتعاليم الإسلاميّة، والمشكلة الحقيقية هي في أصل قصّة ورقة بن نوفل!

فمن راجع هذه القصّة في المجاميع الروائية؛ كالبخاري، ومسلم، وغيرهما وكتب التفسير كابن كثير، والطبري، و.. يجد أنّ بعض علماء أهل السنّة يقبلون قصة ورقة بن نوفل في بداية الوحي، بل بعضهم يدافع عن ذلك بحجّة أنّ الرواية أخرجها الشيخان، ويطرحون تصوّرات خطيرة جدًا لا يمكن القبول بها على الإطلاق، تمس شخص النبيّ، بل أصل الوحي، منها: تصوّر خوف النبيّ ورعبه من الوحي أو تحديدًا من الملاك جبرائيل، ثمّ بعد ذلك لجأ إلى ورقة بن نوفل باقتراح من السيدة خديجة(عليها السلام) ليهدّئ له من روعه وشدة خوفه! ولندقّق ونتأمّل بعض المقاطع الخطيرة:

روى عروة بن الزبير، عن عائشة: «إنّه نزل جبرئيل بغار حراء على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان حينها يتعبَّد في ذلك الموقع، فنزل عليه جبرئيل وقال له: يا محمّد، اقرأ. قال: ما أنا بقارىء. فأخذه، وغطَّه، حتى بلغ منه الجهد، وفي رواية: حتى كاد أن يموت، فلما أشرف على الموت أطلقه. ثم قال له: يا محمّد، اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. فأخذه، وغطَّه، وضمَّه ضمًا شديدًا، حتى بلغ منه الجهد، وحتى كادت روحه أن تزهق، ثم أطلقه. ثم قال له: يا محمّد، اقرأ، اقرأ باسم ربِّك الذي خلق -فتلا عليه الآيات-...

• فنزل محمّد صلى الله عليه وآله من الجبل، وذهب إلى بيت السيدة خديجة مرهوبًا، مرعوبًا، مضطربًا، خائفًا، وقال: زمِّلوني زمِّلوني[١].

• وبعد أن هدَأ عنه الرَّوع والخوف، أخبر خديجة بالأمر، وقال: أخشى أنّه قد اعتراني مسٌّ من الشيطان... فهدّأتْ خديجةُ من رَوعه...[٢].

---

[١]- انظر: البخَّاري، صحيح البخَّاري، ج١، ص٣؛ ج٦، ص٨٨؛ ابن الحجَّاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، ج١، ص٩٧؛ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦، ص٢٣٣.

[٢]- انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٩٥؛ المقريزي، إمتاع الأسماع بما للنبيّ صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة المتاع، ج٣، ص٢٦.

• ثم قال: لأطرحــنَّ نفسي منه، فلأقتلـنَّها، ولأستريحـن. وفي رواية، أو روايات عديدة: ولألقيـنَّ نفسي من أعالي الجبال، وأقتلها[١].

• لم تكتفِ خديجة بما فعلت بل أخذته إلى ورقة بن نوفل!! فهدّأ ورقةُ من روعه، وقال: إنّ الذي يأتيك هو الناموس الأكبر الذي كان يأتي النبيّ موسى[٢].

• فاطمئنَ قليلاً، لكنّه لا يكاد يطمئن إلا ويعاوده التردُّد، والشكّ، والرهبة، والرعب، والخوف! وتُؤكد الروايات الواردة من طرقهم أنّه لم يطمئن بذلك في أول الأمر، بل بادر إلى قتل نفسه، فذهب إلى الجبال؛ يريد أن يلقي بنفسه من أعاليها -كما تؤكِّد رواياتهم-، وكان كلَّما أراد أن يُلقي بنفسه تجلَّى له جبرئيل، وقال له: إنّك لرسول. فيهدأ، ثم يُعاوده الشك، وهكذا مرارًا[٣].

• ومن الوسائل التي اعتمدتْها السيدة خديجة -كما يروون- بطلبٍ من ورقة بن نوفل، حيث قال لها: إذا جاءه الذي يأتيه، فليجلس على شقِّك الأيمن، ثم الشق الأيسر، ثم في حجرك. ففعلت ذلك، فلما جاءه الملَك، جلس عند جانبها الأيمن، فلم يذهب الملَك.. ثم قام وجلس عند قدمها اليسرى، فلم يذهب الملَك... ثم أدخل رأسه من تحت جيبها، وألصق جلده بجلدها، وكشفت هي عن خمارها وشعرها، فرحل الملَك. فقالت ما هذا بشيطان وأنّه الملَك؛ إذ لو لم يكن هو الملَك، لما رحل عندما كشفتُ خماري...[٤].

---

[١]- انظر: الذهبيّ، تاريخ الإسلام، ج١، ص١٣١؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، م.س، ج١١، ص١٩٧؛ الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، ج٢، ص٤٩؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٦٣، ص١٣ وغيرها.

[٢]- انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م.س، ج٦٣، ص١٣؛ الذهبيّ، تاريخ الإسلام، م.س، ج١، ص١٣٢؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، م.س، ج٣، ص٢٧.

[٣]- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، م.س، ج٦٣، ص١٣؛ الذهبيّ، تاريخ الإسلام، م.س، ج١، ص١٣١؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، م.س، ج٣، ص٢٦؛ ابن إسحاق، السيرة النبويَّة محمّدﷺ (المعروف بسيرة ابن اسحاق)، ج٢، ص١٠١.

[٤]- ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٢٢؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، م.س، ج١١، ص١٩٨؛ ابن كثير، السيرة النبويَّة، ج١، ص٤١٠.

إلى هنا نبينا الأعظم محمّد -والعياذ بالله-: كان مضطربًا، مرعوبًا، لا يعرف ما الذي يحصل معه إلى أن هدأت خديجة من روعه، ولم تكتف خديجة بذلك بل أخذته إلى ورقة بن نوفل النصراني، ثم فكّر محمّد بالانتحار، ثم طرح ورقة بن نوفل تلك الطريقة المخجلة والمؤسفة التي نراها في كتب المسلمين لمعرفة الوحي...!!!

في الحقيقة هذه الروايات وأمثالها هي أسوأ ممّا ذهب إليه المستشرقون، بل بعض هذه الروايات تمسّك بها هؤلاء لتأيد أوهامهم في شأن الوحي.

وينبغي على الباحثين من الفريقين أن يرفضوا هكذا نوع من الروايات سواء وجدت في كتب أهل السنّة أم الشيعة، لأنّ لها لوازم خطيرة على المعتقد الإسلاميّ، وعلى شخص الرسول الكريم، ولذا المعروف بين علماء المسلمين أنّ كل رواية فيها إساءة إلى شخص النبيّ أو تنافي المعتقدات المسلَّم بها والمجمَع عليها تُرفَض ولا يُعمَل بها.

ولذا إذا رجعنا إلى هدي الإمام المعصوم عليه السلام فهو يرفض هذه الفكرة الخطيرة ويعطينا قاعدة في هذا المجال؛ وهي: أنّ الله تعالى لا يبعث نبي من الأنبياء حتى ينزل عليه السكينة والوقار.

عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اَللَّهِ عليه السلام كَيْفَ لَمْ يَخَفْ رَسُولُ اَللَّهِ صلى الله عليه وآله فِيمَا يَأْتِيه مِنْ قِبَلِ اَللَّه أن يَكُونَ ذَلِكَ مِمَّا يَنْزَغُ بِه اَلشَّيْطَان قَالَ: فَقَالَ: «**إِنّ اَللَّهَ إِذَا اتَّخَذَ عَبْدًا رَسُولاً أَنزَلَ عَلَيْهِ اَلسَّكِينَةَ وَاَلْوَقَارَ، فَكَان [اَلَّذِي] يَأْتِيهِ مِنْ قِبَلِ اَللَّهِ مِثْلُ اَلَّذِي يَرَاهُ بِعَيْنِهِ**»[١].

وعَنْه عَلَيْه السَّلاَمُ -أيضًا-: في قَوْل اَللَّه عَزَّ وجَلَّ: ﴿**إِنّ اَللَّه وَمَلاَئكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبيّ يٰا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، فَقَالَ: **قَالَ أَثْنُوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا لَهُ.** فَقُلْتُ كَيْفَ عَلِمَتِ اَلرُّسُلُ أَنّها رُسُلٌ. قَالَ: **كُشِفَ عَنْهَا اَلْغِطَاءُ**[٢].

---

[١]- العيَّاشي، تفسير العيَّاشي، ج٢، ص٢٠١.

[٢]- البرقي، المحاسن، ج٢، ص٣٢٨.

الأفكار الرئيسة:

- أنكر بعض المستشرقين الوحي واتّهموا النبيﷺ بأنّه تلقّاه من عند غيره تعالى! واختلفوا في مرجع هذا التلقّي، فقالوا إنّه الأديان السابقة، أو المجتمع الوثني، وغير ذلك. ومن الأسماء التي طرحوها: الحداد الرومي، بحيرا النصراني، وورقة بن نوفل القرشي.

- المستشرقون لم يأتوا بشيء جديد وما يقولونه إنّما هو صدى لما كان يردّده أسلافهم من المشركين وأهل الكتاب أثناء نزول الوحي. ولكن هؤلاء لكي يعطوا هذا الكلام نوعًا من المصداقية، قالوا إنّ محمّدا قد تعلّمه من بشر، وحدّدوا له صنفين: الأول: أن يكون من سكان مكة، الثاني: أن لا يكون من أبناء جلدتهم.

- ردّ القرآن الكريم هذه الفرية في سورة النحل (الآيات١٠٣-١٠٥).

- أمّيّة النبيّ تنفي تعلّمه من بشر.

- لقاء النبيﷺ ببحيرا الراهب كان محدودًا وبحضور زعماء قريش، وكان عمر النبيّ اثني عشر عامًا، فطبيعة اللّقاء تنفي أن يكون قد حصل تعلّم لمحمّدﷺ من بحيرا؛ لأنّه لقاء قصير عابر لا يكفي للدرس والتحصيل...

- دعوى تعلّم النبيﷺ من ورقة بن نوفل، فلم يثبت تاريخيًا أنّ ورقة كان يدعو إلى النصرانية، وأنّ جميع الروايات الصحيحة أكّدت عدم اتصال الرسول بورقة إلا بعد مجيء الوحي إليه، وعدم وجود أي صلة سابقة بين محمّدﷺ وورقة. فلو سلّمنا أنّ هناك لقاء بين النبيّ وورقة، لكنّ ذلك لا يكفي للتعليم؛ أي ليأخذ النبيّ منه القرآن والتعاليم الإسلاميّة...

فكِّر وأَجِب:

١. بيِّن ادّعاء بعض المستشرقين إنكار الوحي واتّهام النبيﷺ بأنّه تلقّاه من عند غيره تعالى! مع تحديد مرجعيّة هذا التلقّي بنظرهم.

٢. تكلّم عن ادّعاء بعض المستشرقين تلقّي النبيﷺ الوحي من الراهب بحيرا؛ مفنِّدًا ومبطلاً إيّاها.

٣. تحدّث عن ادّعاء بعض المستشرقين تلقّي النبيﷺ الوحي من ورقة بن نوفل؛ مع تفنيده وإبطاله.

٤. بيِّن كيف نستدل من القرآن والسنة على بطلان دعوى المستشرقين في تلقّي الوحي من عند غيره تعالى.

الدرس العاشر

شبهة وصف الوحي بالظواهر النفسيّة

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على شبهة وصف المستشرقين الوحي بالظواهر النفسيّة.

٢. يفنِّد شبهة وصف الوحي بالظواهر النفسيّة بالدلائل التأريخيّة.

٣. يناقش ويرد شبهة وصف الوحي بالظواهر النفسيّة بالمحتوى الداخلي للظاهرة القرآنيّة.

٤. يرد شبهة وصف الوحي بالظواهر النفسيّة بموقف النبيّ من الظاهرة القرآنيّة.

من طوائف الشبهات المُثارة على الوحي

الطائفة الرابعة: شبهة وصف الوحي بالظواهر النفسيّة

أوّلًا: بيان الشبهة

ادّعى بعض المستشرقين «أنّ القرآن فيض من خاطر محمّد أو انطباع لإلهامه، أي أنّه ناتج عن تأمّلاته الشخصيّة، وخواطره الفكريّة وسبحاته الروحيّة»[١].

يقول بروكلمان: «تحقّقت عنده أنّ عقيدة مواطنيه الوثنيين فارغة فكان يعتمل في أعماقه هذا السؤال: إلى متى يمدّهم الله في ضلالهم ما دام هو قد تجلى آخر الأمم للشعوب الأخرى بواسطة أنبيائه؟ وهكذا نضجت في نفسه الفكرة أنّه مدعوّ إلى أداء رسالة النبوة»[٢].

وقد اضطربوا في تحديد حالة النبيّ النفسية التي صدر عنها القرآن، فاختلفوا في ذلك إلى أقوال متباينة[٣] وقد تقدم بيان هذه الأقوال.

يرى جوستاف لوبون أنّ التصرّفات التي تعتري الرسول إبان نزول الوحي الإلهي عليه ما هي إلا إصابته بالصرع الذي ينتابه في هـذه اللحظات، فيعتريه احتقان فغطيط، فغثيان. ويرى أنّه يجب اعتبار محمّد من فصيلة المتهوسين، فيقول في هذا الصدد: ولا أهمية لذلك فلم يكن ذو المزاج البارد من المفكرين هم الذين ينشئون الديانات، ويقودون الناس، وإنما أولو الهوس هم الذين مثلوا

---

[١]- ماضي، الوحي القرآنيّ في المنظور الاستشراقيّ ونقده، ص١٢٣.

[٢]- بروكلمان، تاريخ الشعوب، م.س، ص٣٦.

[٣]- انظر: رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، م.س، ج١، ص٣٨١.

هذا الدور، وهم الذين أقاموا الأديان، وهدموا الدول، وأثار الجموع وقادوا البشر، ولو كان العقل لا الهوس هو الذي يسود العالم لكان للتاريخ مجرى آخر[١].

١. تقرير شبهة الوحي النفسي

وخلاصة الشبهة: أنّ الوحي عبارة عن فيض وجدان النبيّ الباطني الناتج عن تفكيره بخلاص قومه من الشرك والظلم.

- **النقاط الرئيسة في الشبهة**

• أدرك بطلان ما عليه قومه.

• ابتعد عن ممارسة الظلم وارتكاب الفواحش.

• فكرّ بإصلاحهم.

• استقى معلوماته من أهل الكتاب[٢].

• اعتقد أنّه النبيّ المبشَّر به.

• أوحت له نفسه[٣].

- **صياغة الشبهة**

---

[١]- انظر: لوبون، حضارة العرب، م.س، ص١٤١ وما بعدها.

[٢]- يشير «بروكلمان» إلى أنَّ مصدر الوحي ناتج عن الأفكار التي كوَّنها النبيّ محمّدﷺ زيادة على ما استفاده من اليهوديّة والنصرانيَّة اللتين كانت لهما الأهمِّيَّة الكبرى في ولادة دينه الجديد. (انظر: بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلاميَّة، م.س، ص٦٩). ويُلاحظ -أيضًا- أنَّ المستشرق «نولدكه» يقطع بأنَّ المصدر الأساس والمكوِّن للوحي القرآنيّ هو الكتابات اليهوديّة؛ ودليله على ذلك قصص الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم، وبعض التعاليم والفروض، فيورد أمثلةً عدَّة ليثبت افتراءاته. (انظر: العقيقي، المستشرقون، م.س، ص٧٣٨-٧٣٩). وكذلك يذكر المستشرق «بلر» بعض الأمثلة التي تدلّ على الأخذ من المصادر اليهوديّة والمسيحيّة، فبالنسبة إلى مـا يتعلَّق بمصادر بعض الأفكار والتعبيرات الخاصَّة بيوم الحساب والبعث الواردة في القرآن الكريم والتقاليد الإسلاميَّة، فإنَّها قد اقتبست وبشكلٍ واضح من الكتب اليهوديّة والمسيحيَّة؛ إذ إنَّ لفظ «الساعة» و«اليوم» هي من العهد الجديد. (انظر: بِلر، مصادر الإسلام بحث في مصادر وأركان الديانة المحمّديَّة، ص٦٥).

[٣]- انظر: الحكيم، علوم القرآن، ص١٥٢-١٥٤.

إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قد أدرك بقوّة عقله الذاتية، وما يتمتّع به من نقاءٍ وصفاءٍ روحيّ ونفسيّ، بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام، وفطرته الزكيّة؛ إضافةً إلى بعض الظروف الموضوعيّة التي حالت دون أن يمارس أساليب الظلم الاجتماعي، ثم طال تفكيره من أجل إنقاذهم من ذلك الشرك القبيح، وتطهيرهم من تلك الفواحش والمنكرات.

وقد استفاد من النصارى في المعلومات وإن كان لم يقبل جميع ما وصل إليه منهم؛ كألوهيّة المسيح وأُمّه، وغير ذلك.

وكان قد سمع أنّ الله سيبعث نبيًا، وتولّد في نفسه أملٌ ورجاء في أن يكون هو ذلك النبيّ الذي آن أوانه، وأخذ يتوسّل إلى تحقيق هذا الأمل بالانقطاع لعبادة الله تعالى في خلوته في غار حراء.

وهنالك قَوِيَ إيمانه وسما وجدانه، وبعد فترة من التأمل أصبح أهلاً لهداية الناس، ثم ما زال يفكّر ويتأمّل ويتقلّب بين الآلام والآمال، حتّى أيقن أنّه هو النبيّ المنتظَر الذي يبعثه الله لهداية البشرية، وتجلّى له هذا الاعتقاد في الرؤى المناميّة، ثم قَوِيَ حتّى صار يتمثّل له الملك يلقّنه الوحي في اليقظة.

وأمّا المعلومات التي جاءته من هذا الوحي، فهي مستمدة في الأصل من تلك المعلومات، التي حصل عليها من اليهود والنصارى، وممّا هداه إليه عقله وتفكيره في التمييز بين ما يصحّ منها وما لا يصح، ولكنّها كانت تتجلّى وكأنّها وحي السماء، وخطاب الخالق عزّ وجلّ، كما كان يأتي الأنبياء؛ كموسى وعيسى عليهما السلام[١].

---

[١]- انظر: الحكيم، علوم القرآن، م.س، ص١٤٦.

ثانيًا: الردّ على شبهة الوحي النفسي

إذا أردنا أن ندرس هذه الشبهة (شبهة الوحي النفسي)، لا نجدها تصمد أمام النقد والمناقشة العلميّتَين، إذ يمكن أن يُلاحظ عليها من خلال أبعاد ثلاثة:

١. أنّ الدلائل التأريخية القطعية وطبيعة الظروف التي مرّ بها النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ تأبى التصديق بهذه النظرية وقبولها.

٢. أنّ المحتوى الداخلي للقرآن الكريم -بما يضمّ من تشريع وأخلاق وعقائد وتأريخ- لا يتّفق مع هذه النظرية في تفسير الوحي القرآني.

٣. أنّ موقف النبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ من الظاهرة القرآنيّة، يشهد بوضوحٍ على رفض تفسير الظاهرة القرآنيّة بنظريّة الوحي النفسي.

وقد أجاب الشيخ محمّد رشيد رضا في كتاب الوحي المحمّدي بالتفصيل عن هذه الشبهة، فعرض أولاً المقدمات العشرة التي رتبها (درمنغام)، ثمّ أبطل كلّ هذه المقدّمات؛ لأنّ أكثر المقدّمات التي أخذوا منها هذه النتيجة هي آراء متخيّلة، أو دعاوى باطلة، لا قضايا تاريخية ثابتة، وإذا بطلت المقدّمات بطل لزوم النتيجة لها[1].

١. الدلائل التأريخيّة تناقض نظرية الوحي النفسي:

- ما يذكرونه من تفاصيل ليس لها مصدر تأريخي معتمد من قبيل: مسألة لقاء الراهب بحيرا مع محمّد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وهو بصحبة عمّه أبي طالب، الأمر الذي يدعوهم إلى الاستنتاج وافتراض محادثات دينية وفلسفية معقدة جرت بينهما.

وتعليل اطلاعه على أخبار عاد وثمود، من أنّه كان نتيجة مروره بأرض الأحقاف،

[1]- لمزيدٍ من الاطّلاع، انظر: رضا، الوحي المحمّديّ، ص١٢٧-١٦٥.

بالرغم من أنّ هذه الأرض لا تقع على الطريق الاعتيادي لمرور القوافل التجارية، كما أنّ التأريخ لم يذكر لنا مرور النبيّ بها إلى غير ذلك من الأحداث والقضايا.

• افتراض تعلم النبيّ صلى الله عليه وآله من نصارى الشام وغيرهم لا يتفق مع واقع الحيرة والتردد في موقف المشركين من دعوة رسول الله ونسبته الرسالة إلى الوحي الإلهي، لأنّ مثل هذه العلاقة -لو كانت موجودة- لا يمكن التستر عليها أمام أعداء الدعوة من المشركين وغيرهم، الذين عاصروه وعايشوه في مجتمع ضيق وعرفوا أخباره وخبروا حياته العامة بما فيها من سفرات ورحلات.

«ولو فرض محالاً ذلك [تعلّمه من أهل الكتاب] فما هذه المعارف والعلوم؟ ومن أين هذه الحكم والحقائق؟ وممّن هذه البلاغة في البيان الذي خضعت له الرقاب وكلّت دونه الألسن الفصاح؟»[١].

• إنّه لم يعرف عن الرسول محمّد صلى الله عليه وآله أنّه كان ينتظر أن يفاجأ بالوحي، أو يأمل أن يكون هو الرسول المنتظر، لينمو ويتطور هذا الأمل في نفسه، فيصبح واقعًا نفسيًّا، بالرغم من تدوين كتب السيرة النبوية لأدق الأحداث والتفصيلات عن حياة الرسول الشخصية.

ولعلّ من القرائن التأريخية التي تشهد بكذب هذا الافتراض: هو ما ذكرته كتب السيرة من اضطراب النبيّ -في البداية- وخوفه حين فاجأه الوحي في غار حراء[٢].

[١]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١، ص٦٣.

[٢]- طبعًا نقصد من عدم المعرفة أصل عدم معرفته صلى الله عليه وآله بالوحي، وإن كانت بعض رواياتنا الشيعيّة تتحدَّث عن تمهيدٍ للوحي قبل حصول الوحي النبويّ وأنَّ النبيّ -سواء بسبب التمهيد أم غيره- لا يحصل عنده أيّ اضطرابٍ؛ ولكن هذا لا يعني أنَّه كان ينتظر الوحي ويتوقّعه؛ فالوحي ظاهرة روحيَّة تستتبع حالة من السكينة والطمأنينة، وكان مهبطه قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، أي شخصيّته الباطنيَّة بواسطة الملك جبرائيل عليه السلام أو من دونه، ومن دون مصاحبة أيّ أعراض ممَّا تناقلها أهل السنّة في كتبهم. فهذه الروايات والكتابات ولَّدت صورةً غير لائقةٍ بقداسة هذا الأمر العظيم وقدسيَّة الرسول، فقد وصفوا النبيّ حال الوحي بأوصافٍ توحي بأنَّه مصاب بمرضٍ أو حتىً بالجنون أو أنَّه لم يعرف علامات النبوَّة إلاَّ بعد استشارة السيِّدة خديجة ابن عمّها. وقد تقدَّم الردّ على هذه الفكرة.

• إنّ هذه النظرية تفرض أن يكون إعلان النبوة في اللحظة الأولى من الدعوى وأن يطرح مفاهيمه وأفكاره ومناهجه عن الكون والحياة والمجتمع بجوانبه المتعددة ودفعة واحدة، لأنّ المفروض أنّ الصورة كانت متكاملة عنده نتيجة التفكير الطويل ودراسة الكتب وأعمال الانبياء السابقين، مع أنّ التأريخ يؤكد أنّ أسلوب الدعوة وطريقتها كانا يختلفان عن ذلك تمامًا.

٢. المحتوى الداخلي للظاهرة القرآنيّة يناقض شبهة الوحي النفسي

إنّ للمحتوى الداخلي للظاهرة القرآنيّة وما تتصف به من مواصفات، ولسعة النظرية القرآنيّة وآفاقها المتعددة ومجالاتها المتشعبة، أهمية كبرى في رفض شبهة الوحي النفسي، إذ إنّ هذه المواصفات وهذا الاتساع والشمول لا يتفق مع طبيعة المصادر التي تفرضها هذه الشبهة، ويتضح ذلك عندما نلاحظ الأمور الآتية:

• أنّ الموقف العام للقرآن الكريم تجاه الديانتين اليهوديّة والمسيحيّة هو موقف المصدّق لهما والمهيمن عليهما، فقد صدّق القرآن الكريم الأصل الإلهي لهاتين الديانتين وارتباطهما بالمبدأ الأعلى، ولكنّه في الوقت نفسه جاء مهيمنًا ورقيبًا وحاكمًا على ما فيهما، ومبيّنًا لواقع ما ورد عليهما من تحريفات وبدع وضلالات.

وجاءت هذه الرقابة دقيقة شاملة، فلم تترك مفهومًا أو حكمًا أو حادثةً إلا ووضعت المقياس الصحيح له. ولا يمكن أن نتصوّر محمّدًا ﷺ وهو يأخذ عن أهل الكتاب ويراهم قد أخذوا عن الوحي الإلهي، ومع ذلك يتمكن من أن يصفهم بالجهل والتحريف والتبديل بمثل هذا اليقين والثبات، ثم يوضح الموقف الصحيح في المسائل الكبرى التي اختلفوا فيها أو خالفوا الواقع الصحيح للديانة، ثم تأتي نظريته بعد ذلك كاملة شاملة ودقيقة ليس فيها تناقض ولا اختلاف!

ولكنّ الحقيقة هي أنّ محمّدا لم يكن قد أخذ منهم شيئًا، وإنّما تلقّى كلّ ذلك عن الوحي الإلهي الذي جاء مصدّقًا لما سبقه من الوحي ومهيمنًا عليه، ومبيّنًا للانحراف والتحريف الذي أصاب الرسالات السابقة عليه.

- نجد القرآن -أيضًا- يخالف التوراة والإنجيل في بعض الأحداث التأريخية، فيذكرها بدقة متناهية ويتمسّك بها بإصرار، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يتجاهل بعضها على الأقل، تفاديًا للاصطدام بالتوراة والإنجيل[١].

- سعة التشريع الإسلاميّ وعمقه وشموله للمجالات المختلفة من الحياة، مع دقّة التفاصيل التي تناولها، والانسجام الكبير بين هذه التفصيلات.

٣. موقف النبيّ من الظاهرة القرآنيّة شاهد على رفض شبهة الوحي النفسي

إنّ موقف النبيّ محمّدﷺ من الظاهرة القرآنيّة هو من أفضل الشواهد على بطلان شبهة الوحي النفسي، فقد كان النبيّ محمّدﷺ يدرك بشكل واضح الانفصال التام بين ذاته المتلقية والذات الإلهية الملقية من أعلى.

وكان له مظاهر عديدة نذكر منها الأشكال الثلاثة الآتية:

- **الشكل الأوّل**

الصورة التي يبدو فيها النبيّ من خلال الظاهرة القرآنيّة عبدًا ضعيفًا لله سبحانه،

[١]- ففي قصة موسى يشير القرآن إلى أنَّ التي كفلت موسى هي امرأة فرعون، مع أنَّ سفر الخروج من التوراة يؤكِّد أنَّها كانت ابنته. كما أنَّ القرآن يذكر غرق فرعون بشكلٍ دقيق، ولا يتجاهل حتى مسألة نجاة بدن فرعون من الغرق مع موته وهلاكه: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس: ٩٢).
في الوقت الذي نجد التوراة تشير إلى غرق فرعون بشكلٍ مبهم، ويتكرَّر الموقف نفسه في قضيَّة العجل، حيث تذكر التوراة أنَّ الذي صنعه هو هارون، وفي قصَّة ولادة مريم للمسيحعليه السلام وغيرهما من القضايا.

يقف بين يدي مولاه يستمد منه العون ويطلب منه المغفرة ويمتثل أوامره، ونواهيه، والأمثلة القرآنيّة على ذلك كثيرة:

• فالقرآن يصور محمّداً ﷺ في صورة الإنسان المطيع الذي لا يملك لنفسه شيئًا، ويخاف ربّه إن عصاه، فيلتزم الحدود التي وضعها له ويرجو رحمته وليس من شيء يأتيه إلّا من قبل ربّه، فهو يعترف بالعجز المطلق تجاه إرادة الله أو تبديل حرف من القرآن[١].

• ثم يزداد هذا الفرق وضوحًا بين ذات الله المتكلم منزل الوحي وصفاته، وبين ذات رسوله المخاطب متلقي الوحي وصفاته في الآيات التي يعتب الله فيها على نبيّه، أو يُعلِمه فيها بعفوه عنه وغفرانه[٢].

• ويبدو لنا أيضًا: كامل الوعي للفرق بين ذاته المأمورة وذات الله الآمرة، وبوعيه الكامل هذا كان ﷺ يفرق بوضوح بين الوحي الذي ينزل عليه وبين أحاديثه الخاصة التي كان يعبر عنها بإلهام من الله.

- **الشكل الثاني**

يبدو النبيّ ﷺ في القرآن الكريم بمظهر الخائف من ضياع بعض الآيات القرآنيّة ونسيانها، الأمر الذي كان يدعوه إلى أن يعجل بقراءة القرآن، قبل أن يقضى إليه وحيه ويأخذ بترديده ويجهد نفسه وفكره من أجل أن لا يفوته شيء من ذلك[٣].

---

[١]- انظر: سورة يونس، الآيتان ١٥-١٦؛ سورة الكهف، الآية ١١٠؛ سورة الأعراف، الآية ١٨٨؛ سورة الأنعام، الآية ٥٠.

[٢]- انظر: سورة التوبة، الآية ٤٣؛ سورة الفتح، الآية ٢؛ سورة الإسراء، الآيتان ٧٣-٧٥؛ سورة الحاقّة، الآيتان ٤٤-٤٧.

[٣]- انظر: سورة طه، الآية ١١٤؛ سورة القيامة، الآيتان ١٦-١٩.

- **الشكل الثالث**

يبدو النبيّ صلى الله عليه وآله من خلال تأريخ نزول القرآن أنّه كان مقتنعًا بأنّ التّنزيل القرآني مصحوب بانمحاء إرادته الشخصية، وأنّه منسلخ عن الطبيعة البشرية حتى ما بقي له اختيار في ما ينزل إليه أو ينقطع عنه، فقد يتتابع الوحي ويحمى حتى يشعر أنّه يكثر عليه، وقد يفتر عنه بل وينقطع وهو يشعر أنّه أحوج ما يكون إليه.

وبالنتيجة: حين نلتفت إلى هذه الأشكال الثلاثة بصورها المختلفة، ونضيف إليها البعدين الآخرين السالفين، لا يبقى لدينا مجال لأي تردّد في شأن حقيقة الظاهرة القرآنيّة، وانفصالها عن الذات المحمّدية، وبطلان الوحي النفسي وما إليه من شبهات قد تثار[١].

---

[١]- لمزيدٍ من الاطّلاع، انظر: الحكيم، علوم القرآن، م.س، ص١٥٤-١٦٥.

الأفكار الرئيسة:

- ادّعى بعض المستشرقين أنّ الوحي عبارة عن فيض وجدان النبيّ الباطني الناتج عن تفكيره بخلاص قومه من الشرك والظلم. والمعلومات التي جاءته من هذا الوحي، فهي مستمدة في الأصل من تلك المعلومات، التي حصل عليها من اليهود والنصارى، وممّا هداه إليه عقله وتفكيره في التمييز بين ما يصحّ منها وما لا يصح.

- إذا أردنا أن ندرس هذه الشبهة (شبهة الوحي النفسي)، لا نجدها تصمد أمام النقد والمناقشة العلميّتَين، إذ يمكن أن يُلاحظ عليها من خلال أبعاد ثلاثة:

• أنّ الدلائل التأريخية القطعية وطبيعة الظروف التي مرّ بها النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تأبى التصديق بهذه النظرية وقبولها.

• أنّ المحتوى الداخلي للقرآن الكريم -بما يضمّ من تشريع وأخلاق وعقائد وتأريخ- لا يتّفق مع هذه النظرية في تفسير الوحي القرآني.

• أنّ موقف النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من الظاهرة القرآنيّة، يشهد بوضوحٍ على رفض تفسير الظاهرة القرآنيّة بنظريّة الوحي النفسي.

فكِّر وأَجِب:

١. ما هي شبهة الوحي النفسي؟

٢. كيف نردّ شبهة الوحي النفسي من خلال الدلائل التأريخيّة القطعيّة؟

٣. كيف نردّ شبهة الوحي النفسي من خلال المحتوى الداخلي للقرآن الكريم.

٤. بيّن كيف نرد شبهة وصف الوحي بالظواهر النفسيّة بموقف النبيّ من الظاهرة القرآنيّة.

الدرس الحادي عشر

جمع القرآن في دراسات المستشرقين (١)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على الآراء المطروحة عند المستشرقين في جمع القرآن.

٢. يطّلع على تأثّر آراء المستشرقين بما ورد في صحاح أهل السنّة وكتبهم عن جمع القرآن.

٣. يفنِّد هذه الآراء من خلال الروايات الصحيحة والشواهد التاريخيّة.

أوّلًا: الآراء في جمع القرآن الكريم عند المسلمين

١. رأي جمهور علماء أهل السنّة

إذا راجعنا إلى ما كتبه المستشرقون في بحث «جمع القرآن الكريم وتدوينه» نجد أنّ هناك مجموعة من الشبهات أثيرت على موضوع الجمع، تهدّد سلامة النصّ القرآنيّ، وتشكّك في صحّته، بل يمكن أن تؤدّي إلى الاعتقاد بتحريفه.

ومن نافلة القول: إنّ هذا البحث هو ناتج عن الأبحاث التي قام بها العلماء المسلمين في مجال جمع القرآن الكريم؛ وبالأخصّ بحث كيفيّة جمع القرآن؟ ومَن جمعه؟ والمستشرقون تأثّروا بالناتج العلمي لهذه الأبحاث، بل بنوا أغلب أفكارهم عليها.

وأثاروا شبهة التحريف ووقوع الزيادة والنقصان في سور القرآن وآياته، محتجّين بما جاء في كتب الحديث والصحاحّ والسيرة وكتب التاريخ والتفسير عن قضيّة جمع القرآن وترتيبه بعد العصر النبوي.

والغريب في هذا الأمر أنّ جملة من علماء أهل السنّة يصرّون على جمع المصحف بعد العهد النبوي، بل يعمدون إلى تأكيد صحّة هذه الروايات؛ لأنّها واردة في كتب الصحاح، وهذا الأمر قد زاد من موقف المستشرقين المشكّكين في سلامة القرآن وحفظه من التحريف، صلابةً وقوة؛ لأنّ إقرار هؤلاء العلماء ورجال الديّن بصحّة هذه الروايات -التي ليس للمشكّكين حجّة سواها للنيل من القرآن- شكّل ركيزة أساس وحجّة قويّة لهم ظاهرًا للتأكيّد على عدم حفظ القرآن ووقوع التحريف فيه، فليس هناك حجّةً أقوى من شهادة شاهد من أهلها! وبذلك أقاموا شبهاتهم، انطلاقًا من قاعدة ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم[١].

[١]- انظر: الشمري، جمع القرآن عند المستشرقين جون جلكريست أنموذجًا، ص٧.

وملخّص ما يذهب إليه هؤلاء المستشرقين؛ وهو قول أكثر علماء أهل السنّة: أنّ القرآن لم يتمّ تدوينه وجمعه في كتابٍ رسميٍّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن لدى الصحابة آنذاك كتابًا مجموعًا بين دفتين، وإن كان مكتوبًا في صحف متفرّقة[١].

وللأسف بعض الباحثين بل أغلب المتعصبينّ من الوهابيّة وغيرهم ولأسباب معروفة، ولحقد دفين على الشيعة والتشيّع، يفترون على الشيعة، ويعتبرون أنّ علماء الاستشراق تأثّروا بالشيعة في موضوع جمع المصحف، وتأثّروا بهم أيضًا في موضوع التحريف؛ كما تقدّم، في سورتي الحفد والخلع، مع أنّ هاتين السورتين المدَّعتَين لا أثر لهما في مصادر الشيعة؛ بخلاف مصادر أهل السنّة، وغير ذلك من التهم الزائفة والمزورّة، ولكن على قاعدة قلب الحقائق وإبعاد التهمّ عن علماء السلف. نأسف أن يصل مستوى البحث إلى هذا الحدّ من الإسفاف والتجنّي على الحقيقة[٢].

٢. رأي علماء الشيعة في جمع القرآن

عَنْ أَبِي عَبْدِ اَللَّهِ عليه السلام قَالَ: «**إن رَسُولَ صلى الله عليه وآله قَالَ لِعَلِيٍّ: يَا عَلِيُّ القرآن خَلْفَ فِرَاشِي فِي اَلصُّحُفِ وَاَلْحَرِيرِ وَاَلْقَرَاطِيسِ فَخُذُوهُ وَاجْمَعُوهُ وَلاَ تُضَيِّعُوهُ كَمَا ضَيَّعَتِ اَلْيَهُودُ اَلتَّوْرَاةَ فَانطَلَقَ عَلِيٌّ عليه السلام فَجَمَعَهُ فِي ثَوْبٍ أَصْفَرَ ثم خَتَمَ عَلَيْهِ فِي بَيْتِه وَقَالَ: لاَ أَرْتَدِي حَتَّى أَجْمَعَهُ فَانهُ كَانَ اَلرَّجُلُ لَيَأْتِيهِ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ بِغَيْرِ رِدَاءٍ حَتَّى جَمَعَهُ، قَالَ وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ: لَوأن اَلنَّاسَ قَرَؤوا القرآن كَمَا انزَلَ اَللَّهُ مَا اِخْتَلَفَ اِثْنَانِ**»[٣].

وهذه الرواية تدّل على أنّ الرسولّ صلى الله عليه وآله أمر بجمع القرآن والإمام علي عليه السلام هو الذي جمعه بأمر مباشر من الرسول صلى الله عليه وآله وذلك في حياته صلى الله عليه وآله؛ كما يستفاد من ظاهر الرواية. وهناك أدلّة كثيرة تفيد أنّ القرآن الكريم قد جمع في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله. وعلى ذلك اتفقت كلمة جمهور فقهاء الشيعة؛ ففي مجمع البيان، نقلاً عن السيِّد المرتضى(قدس سره)

[١]- انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، م.س، ج١، ص٢٠٤؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٩٥-٣٠٠.

[٢]- انظر: الضامر، «هل تأثَّر المستشرقون بآراء الاثني عشريَّة في تاريخ القرآن الكريم؟!». والكاتب أكَّد في هذه المقالة أنَّ الشيعة هم الأساس في هذه الأفكار.

[٣]- القمّيّ، تفسير القمِّيّ، ج٢، ص٤٥١.

أنّه قال إنّ القرآن جمع في عهد رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالشكل الذي هو اليوم بأيدينا.

وبذلك قال الشيخ الصدوق، والشيخ المفيد، وشيخ الطائفة الشيخ الطوسي قدس الله أسرارهم وغيرهم من كبار علماء الشيعة وهذا هو قول الإمامية إلى يومنا هذا[١].

فـ«القرآن الكريم جُمع في زمن الرسول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، غير أنّه لم يوضع في كتاب واحد؛ كما عليه الكتاب طيلة القرون اللاّحقة، وإنّ الترتيب الذي عليه القرآن هو نفسه الترتيب الذي أقرّه الرسول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وهذا القول تسنده روايات صحيحة، وكذلك يرجّحه العقل، لوضوح عدم مقبوليّة العقل أن يترك النبيّ محمّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الأمّة بدون أن يجمع لها كتابها الذي عليه المُعوَّل، بل هو المرجع الأساس لهم في دنياهم وآخرتهم، وغاية ما فعله الخلفاء بعد وفاة الرسول الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هو أنهم جمعوا الناس على كتابٍ واحدٍ ولسان واحدٍ»[٢].

ثانيًا: آراء المستشرقين في جمع القرآن

تعرّض لمسألة جمع القرآن جملة من المستشرقين، على رأسهم: المستشرق الفرنسي ريجي بلاشير، والمستشرق الألماني تيودور نولدكه، وأجنيتس جولدتسيهر، وكازانوفا، وغيرهم.

وبناءً على الرأي المتقدِّم لعلماء أهل السنّة ذهب كثير من المستشرقين إلى هذا القول، وعبرّوا عنه بصيغ متنوّعة:

يرى تيودور نولدكه: أنّ القرآن لا يمكن أن يكون قد جُمع في عهد النبيّ[٣].

ويذهب بلاشير إلى الاعتقاد بأنّ تاريخ القرآن وتطوّر العلوم القرآنيّة كان رهنًا بثلاثة عوامل:

---

[١]- لمزيدٍ من الاطّلاع، انظر: الكورانيّ العامليّ، تدوين القرآن الكريم، ص٤٠-٤٦؛ الزرندي، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ص١١٨-١٢٨.

[٢]- الخوئي، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص٢٥١.

[٣]- انظر: نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ص٢٥٢.

- استخدام خطّ بدائي لكتابة القرآن.

- ضياع نسخة من الوحي كتبت بإشراف شخصي من النبيّ محمّدﷺ.

- بالالتفات إلى ما تقدّم، يثبت ضعف الكتابة، وضياع النص الثابت، والاعتماد على الحفظ من الذاكرة والنقل مشافهة[١].

ويرى مونتغمري وات: أنّ القرآن جُمع رسميًا عام ٦٥٠ للميلاد[٢]؛ أي بعد مضي ثماني عشرة سنة على رحيل رسول اللهﷺ.

ويذهب آرثر جيفري إلى القول بأنّ أبا بكر هو أوّل من كتب القرآن على صحف كبيرة. ثمّ قام عثمان بنشر هذه المصاحف بغية توحيد القراءات على قراءة واحدة[٣].

وهناك آراء أخرى للمستشرقين في جمع القرآن الكريم وتدوينه يمكن أن نلخّصها بالنّقاط الآتية:

١. غموض تاريخ القرآن

يقول أ.ت ويلش: «إنّ تاريخ القرآن بعد وفاة محمّد لا يزال غير واضح، وإنّ إعداد النسخة الرسمية أو القانونية للقرآن مرّ بثالث مراحل عبر تطورّها، يصعب وضع تاريخ محدّد لكلّ منها، وإنّ الاعتقاد السائد بين المسلمين هو أنّ القرآن كان محفوظًا بطريقة شفهية، ثم كتب أثناء حياة النبيّﷺ أو بعد موته بقليل، عندما جُمع ورُتّب لأوّل مرّة بواسطة الصحابة، ثم ظهرت النسخة الأمّ أو المصحف الإمام في عهد الخليفة عثمان»[٤].

---

[١]- انظر: بلاشير، در آستانه قران، ص ١٥. نقلاً عن: زادة، «جمع القرآن من قبل النبيّﷺ والإمام عليعليه السلام من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنّة»، ص١٥.

[٢]- وات، الإسلام والمسيحيَّة في العالم المعاصر، ص١٢٨.

[٣]- انظر: السجستانيّ، كتاب المصاحف، مقدِّمة الكتاب، ص٥.

[٤]- دائرة المعارف الإسلاميّة، م.س، ص٤٠٤.

٢. عدم صحّة الروايات الواردة في الجمع

ويشكّك ويلش في الروايات الواردة في موضوع الجمع فيقول: «إنّ المسلمين قبلوا هذه الروايات على أنّها صحيحة تاريخيًا، وأنّ ما فيها حقّ لا شكّ فيه، مع أنّ هناك مشكلات صعبة تحوط بها، حيث توجد روايات أخرى في كتب الأحاديث المعتمدة تناقض موضوع هذا الحديث»[١].

أمّا المستشرقان كتاني وإسكوالليي، فيشكّكان في صحّة واقعة اليمامة التي كانت سببًا لجمع القرآن؛ قائلين: «إنّ عدد الذين استشهدوا في هذه الموقعة من الحفّاظ قليل، وهذا يعني أنّ خبر واقعة اليمامة لا يصلح أن يكون سببًا لانزعاج عمر، ودعوته لجمع القرآن، ويذكر هؤلاء أنّ عدد الذين استشهدوا من الحفّاظ كانوا اثنين فقط»[٢].

٣. ادعاء تأخّر تدوين القرآن

يرى كثير من المستشرقين أنّ الآيات القرآنيّة لم تقيّد بالكتابة تحت رقابة النبيّ محمّد فلم يضمّها ضمن مجموع كامل، بل اكتفى قبيل وفاته بالإعلان عن نهاية الوحي فقط. وإنّ كتابة بعض المقاطع من القرآن كانت بمبادرة من بعض الصحابة تدريجيًا وبوسائل بدائية ولم يتحقّق التدوين الرسمي لها إلا في عهد عثمان.

٤. ضياع فقرات من القرآن (التحريف بالنقيصة)

يرى نولدكه أنّ أجزاء من القرآن قد ضاعت، فيضع في كتابه تاريخ القرآن هذا العنوان الواضح: «الوحي الذي نزل على محمّد ولم يحفظ في القرآن» وهذا ما تبنّاه المستشرقان اللذان كتبا مادة القرآن في دائرة المعارف؛ إذ ورد فيها: «أنّه ما لا شك فيه أنّ هناك فقرات من القرآن قد ضاعت»[٣].

---

[١]- أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقيّ دراسة نقديَّة تحليليَّة، م.س، ص١٤٣.

[٢]- م.ن، ص١٥٨.

[٣]- م.ن، م.س، ص٢١٢-٢١٣.

٥. ادعاء وجود أشياء في القرآن ليست منه (التحريف بالزيادة)

يقول نولدكه في كتابه تاريخ القرآن: «إنّ فواتح السور ليست من القرآن، وإنّما هي رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأوائل قبل أن يوجد المصحف العثماني، فمثال حرف الميم كان رمزًا لصحف المغيرة، والهاء لصحف أبي هريرة، والصاد لصحف سعد بن أبي وقاص، والنون لصحف عثمان، فهي إشارة لملكية الصحف، وقد تركت في مواضعها سهوًا، ثم ألحقها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنًا»[١].

[١]- العاني، الاستشراق والدراسات القرآنيّة، م.س، ص٥٨؛ أبو ليلة، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقيّ، م.س، ص٢٣٠.

الأفكار الرئيسة:

- إذا راجعنا إلى ما كتبه المستشرقون في بحث «جمع القرآن الكريم وتدوينه» نجد أنّ هناك مجموعة من الشبهات أثيرت على موضوع الجمع، تهدّد سلامة النصّ القرآنيّ، وتشكّك في صحّته، بل يمكن أن تؤدّي إلى الاعتقاد بتحريفه.

- ملخّص ما يذهب إليه هؤلاء المستشرقين؛ وهو قول أكثر علماء أهل السنّة: أنّ القرآن لم يتمّ تدوينه وجمعه في كتابٍ رسميٍّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن لدى الصحابة آنذاك كتابًا مجموعًا بين دفتين، وإن كان مكتوبًا في صحف متفرقة[١].

- هناك أدلّة كثيرة تفيد أنّ القرآن الكريم قد جمع في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله. وعلى ذلك اتفقت كلمة جمهور فقهاء الشيعة، غير أنّه لم يوضع في كتاب واحد؛ كما عليه الكتاب طيلة القرون اللاّحقة.

- تعرّض لمسألة جمع القرآن جملة من المستشرقين، على رأسهم: المستشرق الفرنسي ريجي بلاشير، والمستشرق الألماني تيودور نولدكه، وأجنيتس جولدتسيهر، وكازانوفا، وغيرهم.

- ذهب المستشرقون في مسألة جمع القرآن إلى آراء عدّة؛ يستفاد منها: عدم جُمعه في عهد النبيّ، وغموض تاريخ القرآن، وعدم صحّة الروايات الواردة في الجمع، وتأخّر تدوين القرآن، وضياع فقرات من القرآن (التحريف بالنقيصة)، ووجود أشياء في القرآن ليست منه (التحريف بالزيادة).

---

[١]- انظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، م.س، ج١، ص٢٠٤؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٩٥-٣٠٠.

فكِّر وأَجِب:

١. تكلّم عن رأي المستشرقين في جمع القرآن بعد رحيل النبيﷺ؛ مبيّنًا مستندهم في ذلك.

٢. تكلّم عن دعوى المستشرقين غموض تاريخ القرآن.

٣. بيّن دعوى المستشرقين وقوع التحريف بفعل جمع القرآن.

٤. ناقش وانقض دعوى المستشرقين وقوع التحريف بفعل جمع القرآن.

الدرس الثاني عشر

جمع القرآن في دراسات المستشرقين (٢)
آراء المستشرق ثيودور نولدكه

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يقارن بين آراء المستشرقين في جمع القرآن وتدوينه وما ذُكر في تاريخ القرآن عند بعض المسلمين.

٢. يتعرَّف على رأي المستشرق الألماني نولدكه في جمع القرآن وترتيبه.

٣. يناقش ويفنِّد رأي نولدكه في جمع القرآن وترتيبه.

نقد آراء المستشرقين في مسألة جمع القرآن

أوّلًا: نقد عام لجمع القرآن بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله

من الواضح أنّ آراء المستشرقين في مسألة الجمع كانت مستندة إلى آراء علماء السنّة من أنّ جمع القرآن كان بعد زمان النبيّ، وأن أوّل عملية جمع وتدوين للقرآن تنسب إلى الخليفة الأوّل أبي بكر.

وقد ذهب المستشرقون إلى هذه النظرية تبعًا لشيخ المستشرقين الألمان تيودور نولدكه.

إنّ الذي يمكن قوله بضرس قاطع هو أن استشهاد الحفّاظ للقرآن في حرب اليمامة لا يمكن له أن يشكّل الذريعة الرئيسة لأبي بكر في الدعوة إلى جمع القرآن؛ وذلك لوجود صحابة آخرين حافظين للقرآن؛ من أمثال: أبيّ بن كعب في دمشق، أو المقداد في حمص، وآخرين... وكان لدى كلّ واحدٍ منهم مصاحف، يُضاف إلى ذلك أزمة خلافة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله التي تعرض لها المسلمون مؤخرًا وكانت تشغل حيّزًا كبيرًا من اهتمام الخليفة! ولكن من ناحية أخرى كان الإمام علي عليه السلام قد جمع القرآن بأمر من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله. وعليه لا بدّ من التغطية على هذه الفضيلة وطمسها بنحو من الانحاء. وبذلك فقد بادروا إلى القيام بعمل من عند أنفسهم، فعمدوا في المرحلة الأولى إلى جمع القرآن مجرّدًا عن أيّ نوع من أنواع التفسير، ولنسبة كرامة مفترضة للخليفة الأول في حفظ القرآن الكريم.

بيد أنّ هذا الجمع غير قابل للإثبات حتى بالدليل العقلي؛ وذلك لأنّ المسلمين لو كانوا بحاجة إلى قرآن مجموع حقيقة لما تحوّل هذا القرآن إلى مصحف خاصّ لأبي بكر، ولما أضحى داخلاً ضمن ممتلكاته الشخصية، فبقي عنده حتى موته ولم ينعم المسلمون بثمار هذا المجهود الذي بذلته الحكومة في عهد الخليفة الأوّل.

وعليه لا نستطيع القول بواقع جمع القرآن في عهد الخليفة الأوّل؛ بوصفه أوّل من جمع القرآن، بل إنّ الذي تولى القيام بهذه المهمّة الخطيرة هو شخص النبيّ الأكرمﷺ في حياته[١].

وملاحظة أخيرة على منهج المستشرقين، هي الانتقائية في التعامل مع المصادر، وفي بحث جمع المصحف نرى بشكل واضح هذه الانتقائية في التعامل مع المصادر، والملاحظات التي يمكن تسجيلها في هذا المجال؛ هي:

- الفضاء الذي يحكم التفكير والأبحاث الاستشراقية في مجال جمع المصحف هو الفضاء السنّي البعيد عن الفضاء الإمامي.

- قاموا بدراسات واسعة وعميقة لأنواع مصادر الدراسات فوجدوا ضالّتهم المنشودة في بعض الكتب وبعض الروايات وبعض الاجتهادات الخاطئة من علماء المسلمين فاستفادوا منها وأشادوا بذكرها ونشروها في بلاد المسلمين[٢].

على سبيل المثال نذكر ما قام به المستشرق آرثر جيفري في موضوع «المصاحف»؛ فهو نشر كتاب «المصاحف» لابن أبي داود (ت ٣١٦) نجل ابن داود صاحب كتاب السنن. وفي الكتاب روايات ضعيفة جدًا اعتمدها جيفري وغيره من المستشرقين للطعن في موثوقية النص القرآني.

ولكي يثبت عدم موثوقية النص القرآني اعتمد على جملة من الروايات الضعيفة ليثبت تطور حركة المصاحف وأنّ القرآن قد تغير وتبدّل منذ عصر نزوله إلى عصور الطبع مرّات متعدّدة ولتأييد قوله هذا نشر أسماء الكتب التي يستفاد منها اختلاف المصاحف بعضها مع بعض على مرّ العصور [٣]. فهو يرى تطوّر القرآن في ستة أطوار وهي:

---

[١]- انظر: متقي زاده؛ نبي كندي، «جمع القرآن من قبل النبيّ والإمام عليّ من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنَّة»، م.س، ص١٦.

[٢]- العسكريّ، القرآن في روايات المدرستين، ج٢، ص٧٣٦.

[٣]- انظر: م.ن، ص٧٤٦.

- طور المصاحف القديمة.
- طور المصاحف العثمانية التي بعثت إلى الأمصار.
- طور حرية الاختيار في القراءات.
- طور تسلّط السبعة أو العشرة.
- طور الاختيار في روايات العشرة.
- طور تعميم قراءة حفص وهو طور النسخ المطبوعة[١].

وسنكتفي بالرّد على «نولدكه» في جمع القرآن وترتيبه، وكذلك على «بلاشير» في جمع القرآن في زمن النبيّ، أمّا كلامه في جمعه في زمن الخليفة الأول أو الخليفة الثالث فلن نتعرض له خشية الإطالة مع وجود ملاحظات كثيرة عليه. لأنّ كثيراً من المستشرقين تأثّروا بهما، ومن خلال هذه الردود عليهما تتبينّ الردود على أقوال المستشرقين الأخرى المشابهة لكلامهما.

ثانيًا: نقد رأي (نولدكه) في جمع القرآن وترتيبه

لقد بدأ اهتمام المستشرقين بترتيب نزول القرآن منذ القرن التاسع عشر، ولم يكتفوا بالتقسيم الذي تعارف عليه المسلمون من تقسيم القرآن إلى الحِقبتَين: المكيّة والمدنيّة، بل عمد بعضهم إلى خصوص السور المكيّة، فقسّمها إلى ثلاث مراحل؛ كما صنع (تيودور نولدكه)، متأثرًا بصنيع سلفه المستشرق (جوستاف فايل)، ونجد لهذا التقسيم جذورًا حتى عند بعض المسلمين القدامى، وهو أبو القاسم الحسن بن محمّد بن حبيب النيسابوري؛ إذ يقول في كتابه (التنبيه إلى فضل علوم القرآن): «من أشرف علوم القرآن، علم نزوله، وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة: ابتداءً ووسطًا وانتهاءً، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك...»[٢].

---

[١]- انظر: السجستانيّ، كتاب المصاحف، م.س، مقدِّمة الكتاب لآرثر جيفري، ص٩.

[٢]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، م.س، ص٢٨٠.

وقد ذهب (نولدكه) وكذلك (موير) إلى الشكّ في ترتيب القرآن على النحو الذي وصل إلينا ومحاولتهما ترتيب الآيات ترتيبًا موضوعيًا أو أسلوبيًّا، فصنّفا القرآن إلى مراتب ثلاث:

- **المرتبة الأولى:** تتعلق بترتيب الآيات؛ طبقًا للأسلوب الذي نزل به. ونتج عن هذا الترتيب التفرقة بين الآيات المكية والمدنية، والاستدلال عليها بالأسلوب الذي تتميز به كلّ فترة على حدة.

- **المرتبة الثانية:** تتناول الظروف السياسية والاجتماعية التي حاول محمد بحثها من خلال هذه الآيات.

- **المرتبة الثالثة:** تتناول الآيات المتعلقة بالأحكام والعبادات[١].

والردّ التفصيلي على نولدكه وبيان الوهن والضعف في هذا التقسيم يحتاج إلى دراسة تفصيلية، ولكنْ نشير إجمالاً إلى ما قاله بعض الباحثين[٢] في هذا المجال «أنّ (نولدكه) لم يأتِ بمعايير جديدة غير تلك التي ذكرها مَنْ سبقه من المسلمين والمستشرقين، بحسن نية أو سوء نية، وقد تقدَّم أنْ أجبنا عن مدى صدقية هذه المعايير في معرض الحديث عن ظاهرة المكي والمدني، والتمييز بينهما (...) وبذلك نجد أنفسنا في غنى عن التكرار والإسهاب والإعادة. ومن الواضح أيضًا أنّ نولدكه شأنه في ترتيب نزول السور شأن المسلمين الأوائل الذين ميزوا بين الأسلوب المكي والمدني من السور، فقد استخرج هذه الخصائص والمعايير من السور المكية والمدنية بعد التعرف عليها عبر الرواية التاريخية، وعليه فإنّ جعل هذه الخصائص علامات للتمييز بين المكي والمدني أشبه بالدور. ولو سلمنا جدلاً بصحة هذه المعايير التي أعاد (نولدكه) اجترارها في بيان الترتيب التاريخي لنزول سور القرآن، فإنّما يقتصر نجاحه ـ إذا كتب له النجاح ـ على تحديد تاريخ نزول مجموعة من السور ضمن فترة زمنية

[١]- انظر: الحاجّ، الظاهرة الاستشراقيَّة وأثرها على الدراسات الإسلاميَّة، ص٣٧٧-٣٨٧.

[٢]- لمزيدٍ من التفاصيل، انظر: مطر الهاشميّ، قراءة نقديَّة في تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكه، ص٣٠٩-٣٥٦.

بعينها، فنعلم أنّ الفترة المكية الثالثة قد شهدت مثلاً نزول السور رقم: ٣٢ و٤١ و٤٥ و١٦ و٣٠، ولكن ما هو المتقدم منها وما هو المتأخر ضمن هذه الفترة الواحدة؟ هذا ما لم يستطع (نولدكه) الجزم به بضرس قاطع. بل اعترف غير مرة بعجزه عن ذلك، كما ذكرنا مرارًا. لا بل إنّه عاب على (وليم موير) منهجه في تعيين تاريخ آحاد السور، قائلاً: (أما غلطته الأساسية في هذا التقسيم، فهي أنّه يسعى إلى ترتيب السور واحدة واحدة ترتيبًا زمنيًا. وهو يتواضع إلى درجة الاعتراف بأنه لم يبلغ هدفه تمامًا، لكن هذا الهدف يستحيل بالفعل بلوغه)»[١].

لقد كان لنولدكه آراؤه الخاصّة بشأن جمع القرآن وتدوينه، وسنتكفي ببيان أبرزها ونقدها؛ وفق الآتي:

١. عدم جمع القرآن في عصر النبيﷺ

يقول نولدكه: «إلا أن يكون القرآن قد جُمِع كاملاً في أيام النبيﷺ أمر بديهي».

ويرد عليه:

طبقًا لرأي بعض العلماء المسلمين؛ أمثال: السيّد الخوئي؛ فإنّ القرآن قد جُمِعَ بشكل كامل على عهد رسول اللهﷺ. وأمّا الذين قالوا بجمع القرآن بعد رحيل النبيﷺ؛ فإنّهم يجمعون أيضًا على أنّ مادّة القرآن كانت موجودة على شكل سور مستقلّة في عهد رسول اللهﷺ، وإنّ تلك السور كانت بحيث لا يمكن الخلط بينها والاشتباه فيما تشتمل كلّ واحدة منها على الآيات[٢]. ولكنّها لم تكنْ ضمن مصحف بين دفتين، ولم يتحقّق ذلك إلى ما بعد التحاق رسول اللهﷺ بالرفيق الأعلى. والعجيب أن يدّعي نولدكه البداهة فيما يتعلّق بعدم جمع القرآن في عصر النبيﷺ، في حين أنّه كان عليه بالحدّ الأدنى أن يوضّح ما إذا كان مراده من الجمع هو تأليفه في مصحف واحد، أو أنّ يأتي على الأقل بشواهد تاريخيّة على دعواه![٣]

[١]- نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ج١، ص٦٧.

[٢]- انظر: معرفت، تاريخ القرآن، ص٢٤٠.

[٣]- انظر: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، ص٢٤٧-٢٥٦؛ البلاغي، آلاء الرحمن، ج١، ص٥٢-٥٣.

٢. اختلاق فكرة جمع الإمام علي عليه السلام للقرآن!

يقول نولدكه في هذا المجال «تقول روايات مختلفة إنّ عليًا بن أبي طالب... كان وراء جمع القرآن... لكي يأخذ الكرامة من أبي بكر... لا شيء من الصحّة في هذا كله. فمصادر هذه الأخبار تفاسير قرآنية شيعية وكتب تاريخية سنية ذات أثر شيعي مشكوك بأمرها، ذلك أنّ كل ما يرويه الشيعة عن وليّ شيعتهم الأعلى غير موضوعي ومنحاز بجملته»[١].

ويشكّك بلاشير كذلك، في موضوع جمع القرآن على يد أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: إنّ موقف الخوارج والشيعة هو الذهاب إلى القول من دون شك إنّ عليًا قد اهتمّ بهذا الأمر في حياة النبيّ قبل أيّ شخص آخر من الصحابة. بيد أنّ هذا التأكيد مقرون بالشك والتردّد[٢].

ويرد عليه:

يمكننا أن نستبين بعض الخبث في دراسات المستشرقين. فإنّهم تبعًا لبعض المتعصّبين، لا يرون أيّ فضيلة للإمام علي عليه السلام في ما يتعلّق بجمع القرآن الكريم. في حين أنّ هناك روايات مستفيضة يتداولها العلماء من الفريقين بشأن مصحف الإمام علي عليه السلام وعدِّه من قبلهم أول من جمع القرآن الكريم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أما جمعه في عهد أبي بكر خاليًا من أي تفسير أو تهميش، فقد كانت الغاية من وراء ذلك سياسية بحتة[٣].

فضلاً عن أنّ هذا الكلام من نولدكه يبدو عجيبًا! إذ كيف يدّعي أنّ القول بجمع الإمام علي عليه السلام من وَضع الشيعة، والحال أنّه قد تمّ التصريح به في كثير من مصنّفات

---

[١]- نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤؛ وهامش رقم ٢١.

[٢]- انظر: بلاشير، در آستانه قرآن، م.س، ص٥٩-٦١.

[٣]- انظر: متقي زاده؛ نبي كندي، «جمع القرآن من قبل النبيّ والإمام عليّ من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنَّة»، م.س، ص٢٠.

المحقّقين المسلمين؛ من قبيل: ابن النديم في الفهرست[١]، والسيوطي في الإتقان[٢]، وابن سعد في الطبقات الكبرى[٣]، وابن أبي داود في كتاب المصاحف[٤]، وابن عبد البرّ في الاستيعاب[٥]، والشهرستاني في كتاب المفاتيح[٦]، وغيرهم.

٣. نقد روايات جمع القرآن

يقول نولدكه في معرض نقده لروايات جمع القرآن: «عند المسلمين -كما رأينا- ثلاثة آراء مختلفة حول نشوء المجموعة القرآنية الأولى: بحسب الرأي الأوّل.. تمّ هذا الجمع في أيام أبي بكر. وبحسب الثاني في أيام عمر. أمّا بحسب الرأي الثالث، فقد بدأ العمل في أيام أبي بكر وانتهى في أيام عثمان»[٧].

ويرد عليه:

وقع نولدكه في خطأ منهجي؛ إذ أغفل الآراء والأقوال الأخرى في هذا الصدد. ومن بين تلك النظريات التي أغفلها: القول بجمع القرآن في عصر النبيﷺ وبأمر وإشراف منه. وقد تقدّم الكلام فيه.

فعلى نولدكه أن يذعن في الحدّ الأدنى ببعض مراحل جمع القرآن في عصر النبيﷺ؛ فقد ذكر السيوطي ثلاث مراحل لجمع القرآن الكريم، وقد قال بإرجاع المرحلة الأولى إلى عصر النبيﷺ، فلماذا أغفل نولدكه هذا الرأي الذي أورده السيوطي؟!

---

[١]- ابن النديم، الفهرست، ص٣١-٣٢.

[٢]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج١، ص٥٧.

[٣]- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٣٨.

[٤]- السجستاني، المصاحف، ص١٦.

[٥]- ابن عبد البرّ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٩٧٤.

[٦]- الشهرستاني، مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار، ج١، ص١٢١.

[٧]- نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ج٢، ص٢٥٢.

٤. توحيد المصاحف

يقول نولدكه: «يمكن تحديد أوقات هذه الأحداث على نحو تقريبي. تؤرّخ الحملات المذكورة عادة في السنة الثلاثين للهجرة. غير أنّ علاقتها بما يأتي على ذكره المؤرّخون من معارك أخرى حصلت في المنطقة نفسها، ومع الأشخاص أنفسهم غير واضحة»[١].

ويرد عليه:

دعوى نولدكه في هذا الخصوص غير صحيحة؛ إذ يقول: إنّ عامّة المؤرّخين يرجعون هذه الحادثة إلى سنة ٣٠هـ! والحال أنّ الأمر ليس كذلك؛ إذ هناك من المؤرّخين من يرجعها إلى العام ٢٥ هـ؛ أي السنة الثانية من خلافة عثمان[٢].

[١]- نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ج٢، ص٢٨٠.

[٢]- انظر: العسقلاني، فتح الباري، ج٩، ص١٥؛ السجستاني، المصاحف، م.س، ص٢٤.

الأفكار الرئيسة:

- منهج المستشرقين في مسالة جمع القرآن هو الانتقائية في التعامل مع المصادر.

- الفضاء الذي يحكم التفكير والأبحاث الاستشراقية في مجال جمع المصحف هو الفضاء السنّي البعيد عن الفضاء الإمامي.

- قام المستشرقون بدراسات واسعة وعميقة لأنواع مصادر الدراسات فوجدوا ضالّتهم المنشودة في بعض الكتب وبعض الروايات وبعض الاجتهادات الخاطئة من علماء المسلمين فاستفادوا منها وأشادوا بذكرها ونشروها في بلاد المسلمين.

- لم يأتِ نولدكه بمعايير جديدة غير تلك التي ذكرها مَنْ سبقه من المسلمين والمستشرقي.

- لقد كان لنولدكه آراؤه الخاصّة بشأن جمع القرآن وتدوينه، وهي: عدم جمع القرآن في عصر النبي صلى الله عليه وآله، واختلاق فكرة جمع الإمام علي عليه السلام للقرآن!، ونقد روايات جمع القرآن، ...

- طبقًا لرأي بعض العلماء المسلمين؛ فإنّ القرآن قد جُمِعَ بشكل كامل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله. وأمّا الذين قالوا بجمع القرآن بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله؛ فإنّهم يجمعون أيضًا على أنّ مادّة القرآن كانت موجودة على شكل سور مستقلّة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

- تمّ التصريح بجمع الإمام علي عليه السلام للقرآن في كثير من مصنّفات المحقّقين المسلمين.

- وقع نولدكه في خطأ منهجي؛ إذ أغفل الآراء والأقوال الأخرى في هذا الصدد. ومن بين تلك النظريات التي أغفلها: القول بجمع القرآن في عصر النبي صلى الله عليه وآله وبأمر وإشراف منه.

فكِّر وأَجِب:

١. كيف نردّ دعوى المستشرقين في قضية جمع القرآن وتدوينه بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله؟

٢. ما هو موقف نولدكه من جمع القرآن ومن مصحف الإمام علي عليه السلام؟

٣. ناقش وانقد ما ذهب إليه نولدكه في قضية جمع القرآن وترتيبه.

٤. ما هو رأي نولدكه في ورايات الجمع، وفي توحيد المصاحف؟ وكيف نردّه؟

الدرس الثالث عشر

جمع القرآن في دراسات المستشرقين (٣)
آراء المستشرق ريجي بلاشير

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرَّف على رأي المستشرق ريجي بلاشير في مراحل جمع القرآن.

٢. يناقش وينقد دعوى بلاشير عدم كتابة الوحي قبل الهجرة.

٣. يناقش ويفنِّد دعوى المستشرق بلاشير بتحريف القرآن بعد اغتيال الإمام علي عليه السلام.

٤. يمتلك القدرة على تفنيد آراء بقية المستشرقين المشابهة لرأي بلاشير.

نقدّ رأي (بلاشير) في جمع القرآن

يرى «ريجي بلاشير» أنّ جمع القرآن مرّ بمراحل ثلاثة؛ هي:

- **المرحلة الأولى:** مرحلة الحفظ في الصدور التي استمرت حوالي عشرين عامًا، حيث نفى أن يكون هناك أيّ قرآن مكتوب قبل هجرة النبيّ إلى المدينة. وقد ترتّب على جمع القرآن وتدوينه بهذه الطريقة مشاكل عدّة؛ لأنّ التدويّن لم يكن صحيحًا تمامًا، فسقطت آيات كثيّرة منه، ويضاف إلى ذلك أنّ أدوات الكتابّة وما كان مكتوبًا عليها قد تمّ بدون ضبط أو نظام بل قد ضاع بعضها.

- **المرحلة الثانية:** بدأت في عهد الخليّفة الأوّل ولم تتجاوز جمع ما كان في صدور الحفاظ. والجمع حينها لم يتم بطريقة علميّة صحيحة؛ ومن هنا كان يتميز بالنقصان والزيادة والاختلاف في بعض الآيات.

والمرحلة الحاسمة في نظر بلاشير كانت ما قام به الخليّفة الثالثة عثمان فهي علميّة ومنظمّة وأكثر شمولاً واتساعًا... لكن نظرًا لغياب أدوات النقط والرسم فإنّه لا يزال اختلاف قراءاته. وبالرغم من اختراع طريقة الأحرف السبعة، والقراءات السبع لوحدة النص القرآني، فإنّ هذه الطريقة أحدثت خلافات جديدة بين المسلمين، وقد زادت مشكلة وحدة النص القرآني تعقيدًا بعد اغتيال الخلفية الرابع ـ علي بن أبي طالب ـ حيث قامت شيعته بالادعاء أنّ الخليفة أبا بكر ثمّ عمر حرَّفا القرآن وأسقطا كثيراً من آياته وسوره، وحذفوا جميع الآيات التي تعين الإمام علي بصراحة إمامًا وخليفة للمسلمين!

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة النهائية لتدوين النص القرآني وقد حصلت إبّان

العهد الأموي، وتمّ اتخاذ التدابير اللازمة نحو النص القرآني خاصّة، فيما يتعلق برسم القرآن ونقطه، فقام الخليفة عبد الملك بن مروان بهذا الدور بناء على اقتراح واليه الحجاج بن يوسف. وقد اقتضى الأمر أيضًا بعد ضبط القرآن إلغاء بعض الآيات التي تمجد عليًّا، وأهل البيت لأسباب سياسية لا مجال لإنكارها[١]. والملاحظ أن بلاشير في أدبياته أطلق على عملية جمع القرآن الكريم تنقيحًا[٢].

وهذه التسمية التي أطلقها بلاشير يريد أن يُوحي من خلالها أنّ القرآن الكريم كأيّ جهد بشري قابل للزيادة والنقّصان والتبديل والتغيير للوصول به لما هو أفضل. وسنشير إلى أنّه من الذرائع المهمة التي تمسّكوا بها ودفعتهم لهذا اللون من التفكير هو ما نقل في عهد الصحابة وفي عهد التابعين أيضًا من طريقة جمع للقرآن الكريم وكيفية كتابته.

وحاصل رأي بلاشير

توفيّ رسول الله والقرآن محفوظٌ في الأذهان، غيرُ مدوَّنٍ ولا مجموعٌ في محلٍّ واحدٍ، وما دُوِّن منه ليس كاملاً.

لا يوجد ما يضمن بقاء القرآن كلّه في الأذهان فإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله، قد نسيَ بعضه فما الذي يضمن حفظ غيره للقرآن كاملاً دون نقيصةٍ أو زيادةٍ.

أوّلاً: نقد دعوى عدم كتابة الوحي قبل الهجرة

إنّ قول بلاشير: «يبدو أنّ فكرة تدوين مقاطع الوحي الهامة التي نزلت في السنوات السالفة على مواد خشنة من الجلود واللّخاف، لم تنشأ إلاّ بعد إقامة محمّد

[١]- انظر: الحاجّ، الظاهرة الاستشراقيَّة وأثرها على الدراسات الإسلاميَّة، م.س، ص٣٧٥-٣٧٦.

[٢]- بلاشير، مقدّمة القرآن، م.س، ص٣٢-٣٥.

في المدينة»[١]، لا يستند إلى دليل علمي؛ ذلك أنّ كُتّاب الوحي بدؤوا في مهامهم قبل الهجرة، ولم ينقل القرآن إلينا في تلك الفترة شفاهًا فقط، وجميع المصادر التي أرّخت لتلك الفترة تشهد بوجود أناس في مكة يعرفون القراءة والكتابة.

بل إنّ أهل البوادي في العصر الجاهلي كانوا يعرفون القراءة والكتابة؛ بدليل وجود نصوص مبعثرة في أماكن بعيدة عن الحضارة تدلّ على معرفة أهل البادية بالقراءة والكتابة.

أمّا أهل الحضر، فكان العديد منهم يكتبون ويقرؤون، خاصّة الحنفاء الذين قرؤوا الكتب المقدّسة الأخرى وبلغات عبريّة وأجنبيّة. وعندما ظهر الإسلام في مكّة كان بها قوم يعرفون القراءة والكتابة، بل واطلعوا على كتب اليهود والنصارى وكتب فارس أيضًا، وواقعة فداء أسرى بدر لمن يعلّم صبيان المسلمين في المدينة القراءة والكتابة معروفة ومشهورة، ويؤكد المؤرخون أنّه لما نزل الوحي على الرسول في مكّة كان في قريش سبعة عشر رجلًا كلّهم يكتب، سمّوا منهم من المسلمين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبا عبيدة بن الجراح، وطلحة[٢].

فظاهرة كُتّاب الوحي مسألة مسلّمة بين المؤرّخين والمفسّرين، وإنْ اختلفت الآراء في الذين كانوا يكتبون الوحي للنبيﷺ عدًّا وتشخيصًا، حتى لقد عدّ بعضهم مَنْ لم يكتب الوحي في جملة من كتبه، وآخرون أهملوا من كتّاب الوحي وعدّوا في مَنْ لم يكتبه، ولكن لا شك في وجود ما يسمى «كُتّاب الوحي»؛ وذلك قبل الهجرة النبويّة الشريّفة.

يقول الرافعي: «واتفقوا على أنّ مَن كتب القرآن وأكمله وكان قرآنه أصلًا للقرآنات المتأخرة: علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود»[٣].

[١]- بلاشير، القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، م.س، ص٢٨-٢٩.

[٢]- انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٥٧.

[٣]- الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ص٣٥.

وقد أورد الطبرسي(رحمه الله) في كتاب الاحتجاج حديث احتجاج أمير المؤمنين عليعليه السلام على جماعة من المهاجرين والأنصار، حيث يقوله فيه: «**يا طلحة، إن كل آية أنزلها الله جل وعلا على محمّدصلى الله عليه وآله عندي بإملاء رسول اللهصلى الله عليه وآله وخط يدي، وتأويل كل آية أنزلها الله على محمّدصلى الله عليه وآله وكل حرام وحلال أو حد أو حكم أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملاء رسول اللهصلى الله عليه وآله وخط يدي حتى أرش الخدش...**»[١].

وهناك أدلة كثيرة تثبت كتابة القرآن الكريم قبل الهجرة النبويّة؛ أي في الفترة المكيّة نذكر منها:

١. قال ابن عباس عن سورة الأنعام: «هِيَ مَكِيَّة، نَزَلَتْ جُمْلَةً وَاحِدَةً، نَزَلَتْ لَيْلاً، وكَتَبُوْهَا مِنْ لَيْلَتِهِمْ غير ست آيات منها...»[٢].

٢. قصة إسلام عمر بن الخطاب: فقد جاء في تفاصيل إسلامه: «فرجع عمر عامدًا إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة، فيها (طه) يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها»[٣].

٣. في سيرة رافع بن مالك: وهو صحابي من أوائل من أسلم من الأنصار في مكة قبل بيعة العقبة، وأحد النقباء عن بني زريق يوم العقبة، وتردد على مكة قبل الهجرة، وقد جاء في سيرته: إنه هاجر إلى النبيّصلى الله عليه وآله وأقام معه بمكة فلما نزلت

[١]- الطبرسي، الاحتجاج، تعليقات وملاحظات، ج١، ص١٥٣.

[٢]- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ج٢، ح٤٨٩، ص٧.

[٣]- الحميريّ، السيرة النبويّة، ج١، ص٢٣٠.

سورة طه كتبها ثم أقبل بها إلى المدينة فقرأها على بني زريق[١]. وكان أول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة.

٤. ومن شواهد حرص النبيّ صلى الله عليه وآله على التدوين أنه لما هاجر إلى المدينة حمل معه أدوات الكتابة في أشد الأوقات وأصعبها.

ثانيًا: نقد دعوى التحريف بعد اغتيال الإمام علي عليه السلام

إنّ التحريف الذي نسبه (بلاشير) إلى الشيعة كلام من دون دليل؛ لأنّ الشيعة بالإجماع ينفون تحريف القرآن الكريم. يقول الشيخ الطبرسي: «إنّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة فإنّ العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه شيء فيما ذكرناه... لأنّ القرآن مفخرة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينيّة، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرًا أو منقوصًا مع العناية الصادقة والضبط الشديد»[٢].

ثالثًا: نقد دعوى حذف بعض الآيات التي تمجّد عليًا في زمن عبد الملك

وهذا الكلام أيضًا لا دليل عليه، فما نقله لنا التاريخ أنّ ما قام به الحجاج هو مجرد إعجام القرآن الكريم، ولم يُنقل لنا حذف أيّ آية تمجّد الإمام علي عليه السلام؛ كما ادعى (بلاشير)، بل المنقول أنّه بعد اتساع رقعة الإسلام واختلاط العرب بالعجم وتفشّي اللحن وبدأ اللبس والإشكال في قراءة القرآن يلح بالناس حتى يشقّ على الغالبية منهم أن يهتدوا

---

[١]- انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص٢٤٣.

[٢]- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، م.س، ج١، المقدّمة، ص١٥.

إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته، وهي غير معجمة، هناك أمر الحجاج هذا الأمر الخطير، فندب الحجاج نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن عمر العدواني، فأعجما المصحف، ونقطا جميع حروفه المتشابهة...»[١]. ومع ما في هذه الروايات من شك، فروح الدسّ والوضع من أنصار الأمويين ونسبة مثل هذه الأعمال إلى الحجاج وأمثاله من الطغاة والجبابرة في التاريخ الأموي، لا تخفى على القارئ اللبيب.

رابعًا: نقد دعوى عدم وعي النبيّ بأهميّة رسالته

يعتقد بلاشير أنّ تاريخ القرآن والتطوّر الذي حصل في العلوم القرآنية مرتبطٌ بعواملَ ثلاثةٍ، هي:

١. الاستفادة من نُسخٍ خطيّةٍ ناقصةٍ.

٢. فقدان نسخةٍ من القرآن مدوّنةٍ تحت إشراف النبيّ.

٣. بناءً على ما ذكر من (نقص في الكتابة وفقدان متنٍ ثابتٍ لا يتغيّر) كان من الضروريّ الاعتماد على الحافظة والنقل الشفهي في جمع القرآن وحفظه.

والنتيجة التي ينتهي إليها بلاشير هي وجود فاصلةٍ زمنيةٍ بين نزول الوحي وبين تدوينه وجمعه، والدلائل التي يستند إليها في تأسيس مدّعياته في هذا المجال، يمكن حصرها في ما يأتي:

١. عدم وعي النبيّ بأهميّة رسالته.

٢. عدم توفر الوسائل اللازمة.

كلام (بلاشير) عن عدم وعي النبيّ بأهمية رسالته واقعًا لا معنى له، وقد لا يستحق

[١]- زيدان، تاريخ التمدُّن الإسلاميّ، ج٣، ص٦١.

الردّ، فرسول الله صلى الله عليه وآله، لم يكن ينقصه وعيٌ وفهمٌ لمعرفة مدى أهميّة ما يحمل من رسالةٍ إلى الناس، بل كان بصيراً بأمر رسالته حريصًا على مستقبلها غاية الحرص، كما قال الله تعالى واصفًا النبيّ: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ (يوسف: ١٠٨).

طبعًا هناك أمور استند عليها (بلاشير) من روايات، وأحداث تاريخية، ومعتقدات يتبناها الجمهور، قد توصل الباحث إلى هذه النتائج الخطيرة؛ تبعًا للمصادر التي عتمد عليها، من قبيل بعض الروايات التي تُظهر النبيّ بمظهر الناسي لآيات القرآن الكريم من قبيل ما روي «عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وكَذَا، آيَةً كُنْتُ أُنسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وكَذَا»[١]، مع أن الله تعالى قد وعد النبيّ بالحفظ وعدم النسيان كما في قوله: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ**﴾ (الأعلى: ٦-٧).

أو اعتماده على ما يعتقده أهل السنّة في موضوع الخلافة، فبلاشير يرى أنّ مسألة الخلافة كانت أهمّ من مسألة جمع القرآن، ومع ذلك أغفلها النبيّ والمسلمون، وبالتالي فمن الطبيعيّ أن يتركوا الأمر الأقلّ أهميّة! مع أنّه من أوضح الواضحات في معتقدات الإماميّة أنّ تعيين الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو ضرورة عقليّة وشرعيّة، وقد قام النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك فعلاً بتعيين الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام للخلافة من بعده.

خامسًا: نقد دعوى عدم توفّر الوسائل اللازمة للجمع

قد استعمل العرب قبل الإسلام قراطيس من ورق البردي المصري أو الرقاق المصنوعة من الجلود، وإنّما استعمل بعض الصحابة غيرها من الأكتاف والألواح واللخاف لوفرتها وسهولة مسحها وإعادة استعمالها خلافا للرقاع من الورق أو جلد الغزال.

[١]- البخَّاري، صحيح البخَّاري، م.س، ح٥٠٣٨؛ ابن الحجَّاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، م.س، ح٧٨٨.

فاستعمل العرب القراطيس في الكتابة والمراسلة، وراسل النبيّ ﷺ ملوك عصره وقبائل العرب وكتب إلى الأنصار قبل الهجرة وكتبوا إليه، ولعل قصة المرأة التي أرسل معها حاطب بن أبي بلتعة رسالة لقريش تؤكد اعتماد الكتابة على قراطيس خفيفة يمكن حملها وحتى إخفاؤها بسهولة[١].

وقد كتب بعض الباحثين في مجال «كتابّة القرآن في العهد المكيّ» وتوصّل إلى نتائج مهمة في هذا المجال أهمّها أنّ حالة الكتابة في مكة المكرمة والمدينة المنورة لم تكن مرثيًا لها كما وصفها المؤرّخون، وأنّ القرآن المكي قد كتب كلّه في مكّة، ثم نُقل من مكّة المكرّمة الى المديّنة المنوّرة عن طريق الصحابة الذين كانوا ينتقلون بينهما من المهاجرين والأنصار؛ أمثال: رافع بن مالك. كما أنّ المسلمين استخدموا الجلد الرقيق، ونوعًا من الورق (الورق البردي) قبل ظهور الورق الصيني لكتابة القرآن الكريم وغيره، وما يروى من أنّ القرآن الكريم جمع من العسب واللخاف والأكتاف... إنما ورد في مجال التتبع والجمع الذي أريد به إشراك كل من عنده شيء من المكتوب في عهد أبي بكر، ومن باب الاحتياط لزيادة توثيق النص القرآني، وذلك لورود ما يفيد صراحة بأنّ القرآن الكريم كان يؤلف من الرقاع بإشراف الرسول ﷺ، وهي إمّا من جلد أو ورق[٢].

---

[١]- البخَّاري، صحيح البخَّاري، م.س، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكّة يخبرهم بغزو النبيّ ﷺ.

[٢]- لمزيدٍ من الاطّلاع حول الموضوع، انظر: اسبينداري، كتابة القرآن الكريم في العهد المكيّ، الفصل الخامس: أدوات الكتابة ومصير القرآن المكيّ المكتوب.

الأفكار الرئيسة:

- يرى «ريجي بلاشير» أنّ جمع القرآن مرّ بمراحل ثلاثة؛ هي:

- المرحلة الأولى: مرحلة الحفظ في الصدور التي استمرت حوالي عشرين عامًا.

- المرحلة الثانية: بدأت في عهد الخليّفة الأوّل ولم تتجاوز جمع ما كان في صدور الحفاظ.

- المرحلة الثالثة: وهي المرحلة النهائية لتدوين النص القرآني وقد حصلت إبّان العهد الأموي.

حاصل رأي بلاشير:

- توفيّ رسول الله والقرآن محفوظٌ في الأذهان، غيرُ مدوَّنٍ ولا مجموعٌ في محلٍّ واحدٍ، وما دُوِّن منه ليس كاملاً.

- لا يوجد ما يضمن بقاء القرآن كلّه في الأذهان فإذا كان النبيّ ﷺ، قد نسيَ بعضه فما الذي يضمن حفظ غيره للقرآن كاملاً دون نقيصةٍ أو زيادةٍ.

- هناك أدلة كثيرة تثبت كتابة القرآن الكريم قبل الهجرة النبويّة؛ أي في الفترة المكيّة.

- التحريف الذي نسبه (بلاشير) إلى الشيعة كلام من دون دليل؛ لأنّ الشيعة بالإجماع ينفون تحريف القرآن الكريم.

- دعوى حذف بعض الآيات التي تمجِّد عليًا في زمن عبد الملك لا دليل عليه.

- كلام (بلاشير) عن عدم وعي النبيّ بأهمية رسالته واقعًا لا معنى له، وقد لا يستحق الردّ.

- ما يروى من أنّ القرآن الكريم جمع من العسب واللخاف والأكتاف... إنما ورد في مجال التتبع والجمع الذي أريد به إشراك كل من عنده شيء من المكتوب في عهد أبي بكر، ومن باب الاحتياط لزيادة توثيق النص القرآني، وذلك لورود ما يفيد صراحة بأنّ القرآن الكريم كان يؤلف من الرقاع بإشراف الرسول صلى الله عليه وآله، وهي إمّا من جلد أو ورق.

- من المباحث المهمّة في تاريخ القرآن مبحث تقسيم السور والآيات القرآنية إلى مكيّ ومدني، وهناك آراء متعدّدة في هذا المبحث؛ سواء من المسلمين أو من المستشرقين؛ حيث تعرّض له جملة منهم؛ من قبيل: لامنس، وبلاشير، ونولدكه، فطرحوا مجموعة من الآراء والنظريات في المكيّ والمدني.

فكِّر وأَجِب:

١. ما هي المراحل التي ذكرها بلاشير لجمع القرآن؟ وما هي خلاصة رأيه في الجمع؟

٢. كيف نردّ دعوى بلاشير عدم كتابة الوحي قبل الهجرة.

٣. كيف نردّ دعوى بلاشير عدم عناية النبي بجمع القرآن؟

٤. كيف نردّ دعوى بلاشير وقوع التحريف في جمع القرآن بعد اغتيال الإمام علي عليه السلام وفي زمن عبد الملك بن مروان؟

الدرس الرابع عشر

المكي والمدني في دراسات المستشرقين (١)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يعرف معنى المكّي والمدني وطرق معرفته عند المفسّرين المسلمين.

٢. يتعرّف على اتّجاهات المستشرقين في دراستهم للمكي والمدني.

٣. يطّلع على شبهة المستشرقين في تأثّر القرآن ببيئة النزول ويُفنّدها.

أوّلًا: معنى المكّي والمدني عند المفسّرين وطريقة معرفتهما

١. اتّجاهات تقسيم المكيّ والمدني

يُقْسّم القرآن في عرف علماء التفسير إلى مكيّ ومدني، فبعض آياته مكيّ، وبعضها الآخر مدني، وتوجد في التفسير اتجاهات عدّة لبيان المكي والمدني والتمييز بينهما؛ هي:

أ. الاتجاه الزماني

وهو يقوم على أساس الترتيب الزماني للآيات واعتبار الهجرة حدًا زمنيًا فاصلاً بين مرحلتين، فكلّ آية نزلت قبل الهجرة تعتبر مكّية، وكلّ آية نزلت بعد الهجرة فهي مدنية، وإنْ كان مكان نزولها مكّة؛ فالمقياس هو الناحية الزمنية، لا المكانية.

ب. الاتجاه المكاني

وهو الأخذ بالناحية المكانية مقياسًا للتميّز بين المكيّ والمدني، فكلّ آية يلاحظ مكان نزولها فإنْ كان النبيّ ﷺ حين نزولها في مكّة، سُمّيت مكّية، وإنْ كان حينذاك في المدينة سُمّيت مدنية.

ج. الاتجاه الخطابي

وهو يقوم على أساس مراعاة أشخاص المخاطبين، فيعتبر أنّ المكيّ ما وقع خطابًا لأهل مكّة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة.

إنّ لفظ المكيّ والمدني ليس لفظًا شرعيًا حدّد النبيّ مفهومه؛ لكي نحاول اكتشاف ذلك المفهوم؛ وإنّما هو مجرّد اصطلاح تواضع عليه علماء التفسيّر، ولكنّنا نرى

أنّ وضع مصطلح المكيّ والمدني على أساس الترتيب الزمني؛ كما يقرّره الاتجاه الأوّل، أنفع للدراسات القرآنيّة؛ لأنّ التمييز من ناحية زمنية بين ما أنزل من القرآن قبل الهجرة، وما أنزل بعدها، أكثر أهمّيّة للبحوث القرآنيّة، من التمييز على أساس المكان بين ما أنزل على النبيّ في مكّة، وما أنزل عليه في المدينة، فكان جعل الزمن أساسًا للتمييز بين المكيّ والمدني، واستخدام هذا المصطلح لتحديد الناحية الزمنية أوفق بالهدف[١].

٢. طريقة معرفة المكيّ والمدني

بدأ المفسّرون عند محاولة التّمييز بين المكيّ والمدني بالاعتماد على الروايات والنصوص التأريخية، التي تؤرِّخ السورة أو الآية وتشير إلى نزولها قبل الهجرة أو بعدها، وعن طريق تلك الروايات والنصوص التي تتبّعها المفسرّون واستوعبوها استطاعوا أن يعرفوا عددا كبيراً من السور والآيات المكّية والمدنية ويميّزوا بينها.

ويمكن تلخيص ما ذكروه من الخصائص الأسلوبية والموضوعية للقسم المكيّ في ما يأتي:

- قصر الآيات والسور وإيجازها وتجانسها الصوتي.
- الدعوة إلى أصول الإيمان بالله والوحي وعالم الغيب واليوم الآخر وتصوير الجنّة والنار.
- الدعوة للتمسّك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير.
- مجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم.

[١]- انظر: الحكيم، علوم القرآن، م.س، ص٧٣-٧٤؛ معرفت، التمهيد في علوم القرآن، ج١، ص١٦٢-١٦٥؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، م.س، ج١، ص٢٣٩؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، م.س، ج١، ص٣٤.

- استعمال السورة لخطاب «يا أيها الناس»، وعدم استعمالها لخطاب «يا أيها الذين آمنو».

وأما ما يشيع في القسّم المدني من خصائص عامّة؛ فهي:

- طول السورة والآية وإطنابها.

- تفصيل البراهين والأدلة على الحقائق الدينيّة.

- مجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى عدم الغلو في دينهم.

- التحدّث عن المنافقين ومشاكلهم.

- التّفصيل لأحكام الحدود والفرائض والحقوق والقوانين السياسية والاجتماعية والدولية.

والصحيح أنّ هذه الخصائص التي ذكرها علماء التفسير قد تؤدّي إلى ترجيح أحد الاحتمالين على الآخر في السور التي لم يرِد نصّ بأنّها مكّية أو مدنية، ولكنّ الاعتماد على تلك المقاييس إنّما يجوز إذا أدّت إلى العلم، ولا يجوز الأخذ بها لمجرّد الظنّ[١]. فالفروق التي ذكرت لا تتسم بالكلّيّة، بل بالأغلبية النسبيّة، ولا معنى للمبالغة في هذه الخصائص.

يقول العلامة الطباطبائي: «وللعلم بمكّيّة السور ومدنيّتها، ثمّ ترتيب نزولها أثر هامّ في الأبحاث المتعلّقة بالدعوة النبويّة، وسيرها الروحي والسياسي والمدني في زمنه ﷺ وتحليل سيرته الشريفة، والروايات -كما ترى- لا تصلح أن تنهض حجّة معتمدًا عليها في إثبات شيء من ذلك، على أنّ في ما بينها من التعارض ما يسقطها عن الاعتبار.

[١]- انظر: الحكيم، علوم القرآن، م.س، ص٧٦-٧٩.

فالطريق المتعيّن لهذا الغرض هو التدبّر في سياق الآيات والاستمداد بما يتحصّل من القرائن والأمارات الداخلية والخارجية، وعلى ذلك نجري في هذا الكتاب»[١].

ما تقدّم هو مجمل ما أورده العلماء، في بيان الفروق بين المكي والمدني، وقد وضعوها بعد ملاحظة واستقراء، ولكنّهم لا يعتقدون أنّها قواعد كليّة.

ثانيًا: شبهات المستشرقين على المكّي والمدني

إذا لاحظنا جهود المستشرقين في مجال الدراسات القرآنيّة نجدها تتّجه، -كما تقدّم- إلى إثبات أنّ القرآن الكريم من وضع النبيّ محمّدﷺ، وأنّه لا صلة له بالوحي إطلاقًا، وقد تعدّدت مسالك المستشرقين، في الترويج لأفكارهم، وكان من بين الأبواب التي ولجها المستشرقون، باب المكيّ والمدني.

وقد أغرى هؤلاء في هذا المجال وجودُ دراسات في التراث الإسلاميّ أقرَّ فيها أهلها أنّ ثمّة خصائص وميّزات لكلّ من المكيّ والمدني -سبق ذكرها- ترقى لأنْ تصبح فروقًا قائمة برأسها.

وسعى المستشرقون إلى تضخيم هذه الخصائص، وإلى توظيفها بطريقة سيّئة بتفسيرها في ضوء المنهج الذاتي الذي سيطر على دراستهم؛ وهو يقوم على استحضار المستشرق لانتماءاته؛ سواء أكانت دينية، أو علمية، أو تاريخية، عند دراستهم لمباحث العلوم الإسلاميّة، بحيث جاء نتاجهم وبدرجات متفاوتة، مستجيبًا لثقافاتهم، لا لما تفرضه الدراسة العلميّة للمصادر الإسلاميّة من نظريات ورؤى. فجاء كلامهم متضمّنًا عددًا من المغالطات نعرض لها بإيجاز ونبيّن تهافتها.

وأساس هذه الشبهات هو: أنّ الفروق والميّزات التي تلاحظ بين القسم المكيّ

---

[١]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١٣، ص٢٣٥.

من القرآن الكريم والقسّم المدني منه تدعو في نظر بعض المستشرقين إلى الاعتقاد بأنّ القرآن قد خضع لظروف بشرية مختلفة -اجتماعية وشخصيّة- تركت آثارها على أسلوب القرآن وطريقة عرضه، وعلى مادّته والموضوعات التي عني بها.

٣. تأثّر القرآن ببيئة النزول

توهّم جملة من المستشرقين: أمثال نولدكه، جولدتسيهر، لامنز، وبلاشير، وكازانوفا، وغيرهم أنّ القرآن الكريم كان متأثّرًا بالبيئة، لا مؤثّرًا فيها، وتعتبر هذه الفكرة أيّ تأثّر القرآن أو تأثيره من الأبحاث التأسيسة في الردّ على هذه الشبهات.

فقد زعم بلاشير أنّ الفروق بين المكيّ والمدني، تدلّ على وجود قرآن مكيّ، وآخر مدني، لا صلة بينهما من الناحية الأسلوبيّة والمضمونيّة، وهذا ما قاله بلاشير في كتابه «مدخل إلى القرآن»؛ وهو يعني عنده تأثّر القرآن بالبيئتين المكّيّة والمدنيّة، الأمر الذي يدلّ بزعمه وزعم غيره على بشريّة القرآن الكريم[1].

ولذا «لا بدّ لنا أن نفرّق بين فكرة تأثّر القرآن الكريم، وانفعاله بالظروف الموضوعية من البيئة وغيرها، وبين فكرة مراعاة القرآن لهذه الظروف بقصد تأثيره فيها وتطويرها لصالح الدعوة.

فإنّ الفكرة الأولى تعني في الحقيقة: بشريّة القرآن، حيث تفرض القرآن في مستوى الواقع المعيش وجزءًا من البيئة الاجتماعية يتأثّر بها؛ كما يؤثّر فيها، بخلاف الفكرة الثانية فإنّها لا تعني شيئًا من ذلك؛ لأنّ طبيعة الموقف القرآني الذي يستهدف التغيير، وطبيعة الأهداف والغايات التي يرمي القرآن إلى تحقيقها قد تفرض هذه المراعاة،

---

[١]- انظر: الشايب، نبوّة محمّد في الفكر الاستشراقيّ المعاصر، ص٣٠٤؛ زقزوق، الاستشراق والخلفيّة الفكريّة، م.س، ص٩٤.

حيث تحدّد الغاية والهدف طبيعة الأسلوب الذي يجب سلوكه للوصول إليها»[١].

فهناك فرق بين أنْ تفرض الظروف نفسها على الرسالة، وبين أنْ تفرض الأهداف والغايات -التي ترمي الرسالة إلى تحقيقها من خلال الواقع- أسلوبًا ومنهجًا للرسالة؛ لأنّ الهدف والغاية ليس شيئًا منفصلاً عن الرسالة ليكون تأثيرهما عليها تأثيراً مفروضًا من الخارج.

فنحن في الوقت الذي نرفض فيه الفكرة الأولى بالنسبة إلى القرآن نجد أنفسنا لا تأبى التمسّك بالفكرة الثانية في تفسير الظواهر القرآنيّة المختلفة، سواء ما يرتبط منها بالأسلوب القرآني أو الموضوع والمادّة المعروضة فيه[٢].

---

[١]- الحكيم، علوم القرآن، م.س، ص٨٠.

[٢]- انظر: التسخيري، محاضرات حول علوم القرآن، ص١٠٣ وما بعدها.

الأفكار الرئيسة:

- تعرّض المستشرقون لبحث المكيّ والمدني؛ ومنهم: لامنس، وبلاشير، ونولدكه، فطرحوا مجموعة من الآراء والنظريات فيه.

- يُقْسّم القرآن في عرف علماء التفسير إلى مكيّ ومدني، فبعض آياته مكيّ، وبعضها مدني، وتوجد في التفسير اتجاهات عدّة لبيان المكي والمدني والتمييز بينهما؛ هي: الاتجاه الزماني، والمكاني، والخطابي.

- ما أورده العلماء في بيان الفروق بين المكي والمدني، وضعوها بعد ملاحظة واستقراء، ولكنّهم لا يعتقدون أنّها قواعد كلّيّة.

- سعى المستشرقون إلى تضخيم هذه الخصائص، وإلى توظيفها بطريقة سيّئة بتفسيرها في ضوء المنهج الذاتي الذي سيطر على دراستهم؛ وهو يقوم على استحضار المستشرق لانتماءاته؛ سواء أكانت دينية، أو علمية، أو تاريخية. فجاء كلامهم متضمّنًا عددًا من الشبهات والمغالطات.

- أساس هذه الشبهات هو: أنّ الفروق والميّزات التي تلاحظ بين القسم المكيّ من القرآن الكريم والقسّم المدني منه تدعو في نظر بعض المستشرقين إلى الاعتقاد بأنّ القرآن قد خضع لظروف بشرية مختلفة -اجتماعية وشخصيّة- تركت آثارها على أسلوب القرآن وطريقة عرضه، وعلى مادّته والموضوعات التي عني بها.

- توهّم جملة من المستشرقين أنّ القرآن الكريم كان متأثّرًا بالبيئة، لا مؤثّرًا فيها، وتعتبر هذه الفكرة أيّ تأثّر القرآن أو تأثيره من الأبحاث التأسيسة في الردّ على هذه الشبهات.

- هناك فرق بين أنْ تفرض الظروف نفسها على الرسالة، وبين أنْ تفرض الأهداف والغايات -التي ترمي الرسالة إلى تحقيقها من خلال الواقع- أسلوبًا

ومنهجًا للرسالة؛ لأنّ الهدف والغاية ليس شيئًا منفصلاً عن الرسالة ليكون تأثيرهما عليها تأثيراً مفروضًا من الخارج.

فكِّر وأَجِب:

١. ما هي اتّجاهات تقسيم المكيّ والمدني وطريقة معرفتهما عند المسلمين؟

٢. بيّن كيف فهم المستشرقون تقسيم المسلمين للمكيّ والمدني فهمًا مغلوطًا وساقوا مغالطاتهم على القرآن؟

٣. إشرح دعوى المستشرقين تأثّر القرآن ببيئة نزوله.

٤. ناقش ورد دعوى المستشرقين تأثّر القرآن ببيئة نزوله.

الدرس الخامس عشر

المكي والمدني في دراسات المستشرقين (٢)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على الشبهات الأسلوبيّة التي طرحها المستشرقون في دراستهم للمكي والمدني

٢. يستطيع تفنيد هذه الشبهات الأسلوبيّة.

٣. يتعرّف على الشبهات المضمونيّة التي طرحها المستشرقون في دراستهم للمكي والمدني

٤. يستطيع تفنيد هذه الشبهات المضمونيّة.

استكمال شبهات المستشرقين على المكّي والمدني

أوّلًا: الشبهات الأسلوبيّة

١. الشبهة الأولى: أسلوب العنف والشدّة والسُّباب في المكيّ

قالوا إنّ القسّم المكيّ يتفرّد بالعنف والشدّة والقسّوة والحدّة، والغضب والسُباب والوعيد والتهديد.

وبما أنّ السور المكّيّة فيها عنف، وشدّة وسباب، وتقريع لأهل مكّة، فهذا يدلّ على تأثّر النبيّ بالبيئة المكّيّة، وتكيّف حديثه مع ما يمتاز به أهل مكّة من غلظة وجهل وعناد[١].

الجواب عن الشبهة:

- قولهم إنّ في القرآن المكيّ يوجد سباب، فهذا كلام غير صحيح من جهتين:

• الأولى: لا يعقل أنّ القرآن الذي جاء يعلّم الناس أصول الآداب يخرج هو عن أصول الآداب إلى السباب؟

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ (الأنعام: ١٠٨)؛ فالله عزّ وجلّ في هذه الآية نهى عن السبّ والشتم.

والآية تذكر أدبًا دينيًا تصان به كرامة مقدّسات المجتمع الديني وتتوقّى ساحتها أن يتلوّث بدَرَن الإهانة والإزراء بشنيع القول والسّبّ والشتم والسخرية ونحوها؛ فإنّ الإنسان يدافع عن كرامة ما يقدّسه،... فلو سبّ المؤمنون آلهة المشركين حملتهم عصبيّة الجاهليّة أن يعارضوا المؤمنين بسبّ ما له عندهم كرامة الألوهية؛ وهو الله عزّ اسمه، ففي سبّ آلهتهم نوع تسبيب إلى ذِكره تعالى بما لا يليق بساحة قدسه وكبريائه[٢].

---

[١]- انظر: بلاشير، كتاب القرآن، ص٨١؛ أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، م.س، ص٢٣٦.

[٢]- انظر: الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج٧، ص٣١٤.

• الثانية: أمّا احتجاجهم بسورة المسد أو التكاثر، فليس في السورتين أيُ سبّ أو بذاءة -كما يحاول المستشرقون أن يقولوا ذلك- وإنّما فيهما تحذير ووعيد بالمصير الذي ينتهي إليه أبو لهب والكافرون بالله. نعم، يوجد في القرآن الكريم تقريع وتأنيب عنيف، وهو موجود في المدني؛ كما هو في المكيّ. ومن صور التقريع الذي ورد في السور المدنية نذكر الآتي:

قوله تعالى: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ (البقرة: ٦١).

وقوله: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ (المائدة: ٦٠)، وغيرهما من الآيات.

- أمّا قولهم إنّ القسّم المكيّ قد تفرّد بالعنف والشدّة، فينقضه أنّ في القسّم المدني شدّةً وعنفًا، فدعواهم بالتفرّد باطلة. وإنّما اشتمل القرآن الكريم بقسمَيه المكيّ المدني على الشدّة والعنف؛ لأنّ ضرورة التربية الرشيدة في إصلاح الأفراد والشعوب تقضي أن يمزج المصلح في قانون هدايته بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والشدّة واللين.

كما أنّ القسّم المدني لا يختصّ أيضًا -كما قد يفهم من الشبهة- بالأسلوب اللّين الهادئ الذي يفيض سماحة وعفوًا، بل نجد ذلك في المكيّ، والشواهد القرآنيّة على ذلك كثيرة.

فمن القسّم المدني الذي اتّسم بالشدّة والعنف قوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤).

وقوله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ**﴾ (البقرة: ٢٧٩)، إلى غير ذلك من الآيات.

كما نجد في القسّم المكيّ لينًا وسماحة؛ نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

٢. الشبهة الثانية: أسلوب القسم المكيّ يمتاز بقصر السور والآيات

يرى المستشرقون أنّ البيئة المكّية كانت بيئة أمّيّة، مغلقة، فناسب أن تأتي السور قصيرة، وكذا الآيات، في حين أنّ المدينة كانت متحضّرة؛ بسبب وجود اليهود، فناسب أن تأتي السور المدنية طويلة، وكذا آياتها[1].

والفكرة التي يريد هؤلاء طرحها من خلال هذه الشبهة هي أنّ هذا التفاوّت في القصر والطول للآيات والسور القرآنيّة يعود إلى تأثّر النبيّ بالبيئة التي عاشها، حيث كان المجتمع أُمّيًا لا يستوعب تفصيل المفاهيم، فجاءت الآيات والسور قصيرة؛ وذلك لتتناسب مع المستوى الفكري والثقافي للمجتمع المكيّ، ولمّا هاجر النبيّ وانتقل إلى بيئة أخرى؛ وهي المدينة، التي تتمتع بمستوى ثقافي أفضل نسبيًا من مستوى البيئة المكّية، جاءت الآيات والسور أطول؛ وذلك انسجامًا مع التطوّر الفكري والثقافي للبيئة المدنية.

الجواب عن الشبهة:

نسجل على هذه الشبهة ملاحظات عدّة؛ هي:

- أنّ القصر والإيجاز ليسا مختصّين بالقسّم المكيّ، بل توجد في القسّم المدني سورًا قصيرة مثل: سورة النصر، سورة الزلزلة، سورة البينة، وغيرها. وأنّ في القسم المكيّ سورًا طويلة؛ مثل: سورة الأنعام، وسورة الأعراف.

---

[١]- عبّاس، قضايا قرآنيّة في الموسوعة البريطانيّة، م.س، ص٤٣.

وهذا يؤكّد على أنّ اختيار نمط السور أو الآيات يتبع الظروف والمقتضيات الزمنية والمكانية، لا أنّه منفعل بالبيئة والمحيط الخاصّ، ويعتبر الإيجاز في السور المكّية مظهرًا من مظاهر القدرة الفائقة على التعبير، وبالتالي فهو من مظاهر الإعجاز، حيث نزل القرآن متحدّيًا ببلاغته العرب، ومن الواضح أنّ إيجاز السور والآيات أبلغ في التحدي والإعجاز هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد عرف عن القرشيين في مكّة أنّهم كانوا أهل ذكاء وألمعيّة وفصاحة وبلاغة وأهل المدينة على استنارتهم لم يبلغوا شأن قريش في تلك الخصائص والمزايا، فناسبهم بشكل عام الإيجاز دون غيره من الأساليب.

- لو افترضنا أنّ لطبيعة المجتمعين المكيّ والمدني وثقافتهما دورًا في هذا التفاوت بين الأسلوبين، فهذا لا يؤدّي إلى بشريّة القرآن ونفي صلته وارتباطه بالسماء؛ لأنّه لا يعني سوى انسجام القرآن مع الواقع الموضوعي، فهو يتحدّث بلغة البيئة والمحيط التي نزل فيها.

- من المعروف أنّ تفاعل الإنسان مع بيئته الجديدة تحتاج إلى وقت طويل حتى يفهم طبيعة المجتمع وعاداته ومستواه الفكري؛ حتى يتمكن من مخاطبته بشكل صحيح، ولكنّ الذي يلاحظ القسّم المدني من القرآن، فيجد أنّ القرآن نزل بشكل متلاحق، وفي بدايات الهجرة النبوية هذه السرعة لا تعطي النبيّ ﷺ متسعًا من الوقت للتفاعل مع البيئة الجديدة، خصوصًا حينما نعرف أنّ أوّل سورة نزلت في المدينة هي سورة البقرة، وأنّ السّور الستّ الأولى النازلّة على النبيّ ﷺ في المدينة هي: سورة البقرة، وسورة الأنفال، وسورة آل عمران، وسورة الأحزاب، وسورة النساء وبين هذه السور ثلاث من السّبع الطوال كما هو معروف في تقسيم سور القرآن. وهذا إنْ دلّ على شيء؛ فإنّه يدّل على عدم تأثّر القرآن بالمحيط، بل القرآن الكريم هو الذي أثّر في المحيط المدني.

فكيف استطاع النبيّ المتأثّر بالمحيط والبيئة المكّية ذات المستوى الهابط ثقافيًا وفكريًا كما يقولون وفي هذه الفترة الزمنية الوجيزة أن يُحدِث تغييرًا عميقًا في الخطاب

القرآني؛ كمًّا وكيّفًا، ويُخرج لنا سورة بحجم وعمق ودقّة سورة البقرة؟

- من المعروف بين علماء التفسير قولهم: السورة مكّية عدا ما استثني والعكس أيضًا؛ أي أنّنا نلحظ وجود آيات مكّية في سور مدنية، وآيات مدنية في سور مكّية، وفي كلتا الحالتين نجد انسجامًا بل تلاحمًا بين آيات السورة؛ وكأنّها كتلة واحدة ونزلت مرّة واحدة، وهذا يدّل على وجود صلة كاملة بين القسّمين.

ثانيًا: الشبهات المضمونيّة

١. الشبهة الأولى: خلوّ القسم المكيّ من التشريع والأحكام

خلا القسم المكيّ من التشريع والأحكام؛ بينما نجد القسّم المدني مشحونًا بتفاصيل التشريع والأحكام؛ وذلك يدّل على أنّ القرآن مِن وَضع محمّد وتأليفه؛ تبعًا لتأثّره بالوسط الذي يعيش فيه، فهو عندما حلّ بالمدينة بين أهل الكتاب المثقفينّ جاء قرآنه المدني مليئًا بتلك العلوم والمعارف العالية.

فقد زعم جولد تسيهر، وفلهلهم رودلف، أنّ وجود التشريعات في القسّم المدني هو دليل على تأثّر الرسول باليهود في المدينة، وإفادته من تلك البيئة؛ بما فيها من أحكام وتشريعات كانت بين يدي اليهود، وهو ما كان يفتقده في مكّة التي كان أهلها جهلة أمّيّين[1].

والجواب عن هذه الشبهة؛ بالآتي:

- ليس صحيحًا خلوّ القسّم المكيّ من التشريعات، بل الصحيح هو عدم وجود تشريعات تفصيلية في هذا القسّم؛ أيّ إنّه لم يهمل التشريع، وإنمّا تناول أصوله العامّة؛ كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا**

[١]- انظر: جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، م.س، ص١٧.

ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١).

كما أنّنا نلحظ في بعض آيات سورة الأنعام[١] المكّيّة نقاشات تفصيلية لتشريعات أهل الكتاب والتزاماتهم، وهذا يدّل على معرفة القرآن الكريم بهذه التشريعات وغيرها مسبقًا؛ أي قبل الهجرة إلى المدينة.

- كان بَدءُ التشريعات في القسم المدني من القرآن في أوّل سورة نزلت في المدينة؛ وهي سورة البقرة، وهو ما يدحض فكرة تأثّر القرآن بمحيطه وبيئته، فلم يمرّ على النبيّ وقتًا طويلاً يسمح بتفاعل النبيّ مع أهل الكتاب.

يقول ابن العربي: «إنّ في سورة البقرة، ألف أمر، وألف حكم، وألف نهي»[٢]، فهل يعقل أن يكون الرسول قد تأثّر بهذه السرعة مع البيئة ومَن فيها، وأفاد من اليهود بهذه السرعة القياسيّة؟

- الحديث عن تفاصيل التشريع في مكّة كان شيئًا سابقًا لأوانه، حيث لم يستلم الإسلام حينذاك زمام الحكم بعد، بينما الأمر في المدينة على العكس.

- إنّ إجراء مقارنة بين التشريع الإسلاميّ وتشريعات أهل الكتاب يكشف لنا أنّ هناك اختلافًا جوهريًّا بينهما، فكيف يمكن الزعم بأنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أخذ التشريع من أهل الكتاب في المدينة، ولو كان ذلك واقعًا وحقيقة لدّعاه أهل الكتاب المعاصرون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه والذين كان النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يحاورهم ويدحض أفكارهم.

٢. الشبهة الثانية: القسم المكيّ لم يتناول الأدلّة والبراهين

إنّ القسم المكيّ لا يتضمّن الأدلّة والبراهين على أصول العقيدة وتعاليم الرسالة؛ بينما نجد ذلك واضحًا في القسّم المدني. وهذا يعني مرّة أخرى -حسب ادّعاءهم- تأثّر النبيّ بمجتمعه، ففي المجتمع المكيّ الساذج البسيط لم نرَ براهين وأدلّة على

[١]- انظر: سورة الأنعام، الآيات ١١٩-١٢١؛ ١٣٨-١٤٦.

[٢]- ابن العربيّ المالكيّ، أحكام القرآن، ج١، ص٢٧.

العقيدة لخلوّ المجتمع من ذلك، بخلاف الأمر عندما تواجد في المجتمع المدني المتحضّر واحتّك بأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فانعكس ذلك على القسم المدني من القرآن؛ باعتبار أنّ القرآن ما هو إلا انعكاس لصورة المجتمع.

ويمكن الرد على هذه الشبهة من وجهين:

- **الوجه الأوّل:** لم يخلُ القسم المكيّ من الأدلّة والبراهين، بل تناولها في كثير من سوره، وبذلك تنهار الشبهة من أساسها، والشواهد القرآنيّة على ذلك كثيرة وفي مجالات شتى نذكر منها:

- **ما ذكر في الوحدانيّة**

قوله تعالى: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ (المؤمنون: ٩١).

وقوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**﴾ (الأنبياء: ٢٢).

- **الاستدلال على النبوّة وارتباط ما جاء به النبيّ بالسماء**

قوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ... أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (العنكبوت: ٤٨-٥١).

- **الاستدلال على البعث والجزاء**

قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ (المؤمنون: ١١٥).

وهناك آيات أخرى كثيرة في القسم المكيّ تضمّنت البرهنة والاستدلال على

أصول العقائد، والقرآن تناول أغلب قصص الأنبياء في القسم المكيّ والتي لا تخلو من استدلالات ونقاشات عقدية درات بينهم وبين أقوامهم في التوحيد، والنبوة، والمعاد، وغير ذلك.

- **الوجه الثاني**: حتّى لو تنزّلنا، وقبلنا بهذا الفارق بين القسمين، فمن الممكن تفسير هذا الفرق على أساس مراعاة طبيعة موقف المواجهة من الدعوة، حيث كانت تواجه الدعوة في مكّة مشركي العرب وعبدة الأصنام، والأدلّة التي كان يواجه القرآن بها هؤلاء أدلّة وجدانية، من الممكن أن تستوعبها مداركهم ويقتضيها وضوح بطلان العقيدة الوثنية، والقرآن -كما عرفنا- هو كتاب هداية وتغيير وتزكية وليس كتابًا علميًا، فقد كان يواكب تطور الدعوة الإسلاميّة ومسيرتها في آياته ونزوله، وحين اختلفت طبيعة الموقف، وأصبحت الأفكار المعارضة تمتاز بكثير من التعقيد والتزييف والانحراف -كما هو الحال في عقائد أهل الكتاب- اقتضى الموقف مواجهتها، بأسلوب آخر من البرهان والدليل أكثر تعقيدًا وتفصيلاً[١].

---

[١]- للمزيد من التفصيل في عرض الشبهات ومناقشتها في مجال المكيّ والمدنيّ، انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، م.س، ج١، ص١٩٩.

الأفكار الرئيسة:

- زعم المستشرقون أنّ الآيات المكّيّة تتفرّد بالعنف والشدّة والقسّوة والحدّة، والغضب والسُّباب والوعيد والتهديد؛ بخلاف الآيات المدنية.

- لا يعقل أنّ القرآن الذي جاء يعلّم الناس أصول الآداب يخرج هو عن أصول الآداب إلى السباب!

- ورد التقريع والتشديد والوعيد في الآيات والسور المدنية أيضًا.

- ضرورة التربية الرشيدة في إصلاح الأفراد والشعوب تقضي أن يمزج المصلح في قانون هدايته بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، والشدّة واللين.

- يرى المستشرقون أنّ البيئة المكّية كانت بيئة أمّيّة، مغلقة، فناسب أن تأتي السور قصيرة، وكذا الآيات، في حين أنّ المدينة كانت متحضّرة؛ بسبب وجود اليهود، فناسب أن تأتي السور المدنية طويلة، وكذا آياتها.

- إنّ القصر والإيجاز ليسا مختصّين بالقسّم المكيّ، بل توجد في القسّم المدني سورًا قصيرة، وفي القسم المكيّ سورًا طويلة.

- هذا التفاوت بين الأسلوبين لا يعني سوى انسجام القرآن مع الواقع الموضوعي.

- ذهب المستشرقون إلى أنّ خلو الآيات المكّية من التشريع والأحكام؛ بخلاف المدني منها، يدّل على أنّ القرآن مِن وَضع محمّد وتأليفه.

- ليس صحيحًا خلوّ القسّم المكيّ من التشريعات.

- كان بَدءُ التشريعات في القسم المدني من القرآن في أوّل سورة نزلت في المدينة؛ وهي سورة البقرة، وهو ما يدحض فكرة تأثّر القرآن بمحيطه وبيئته.

- يرى المستشرقون أنّ الآيات المكّية لا تتضمّن الأدلّة والبراهين على أصول العقيدة وتعاليم الرسالة؛ بينما نجد ذلك واضحًا في القسّم المدني.

- لم يخلُ القسم المكيّ من الأدلّة والبراهين، بل تناولها في كثير من سوره.

- حتّى لو تنزّلنا، وقبلنا بهذا الفارق بين القسمين، فمن الممكن تفسير هذا الفرق على أساس مراعاة طبيعة موقف المواجهة من الدعوة.

فكِّروأَجِب:

١. بيّن دعوى المستشرقين فيما يتعلّق بتفرّد الآيات المكّيّة بالعنف والشدّة والسُباب...؛ مع تفنيدها.

٢. ناقش دعوى المستشرقين في مغايرة الأسلوب المكيّ للأسلوب المدني؛ لجهة خلوّ القسم المكيّ من التشريع والأحكام

٣. ناقش دعوى المستشرقين في مغايرة الأسلوب المكيّ للأسلوب المدني؛ لجهة أنّ القسم المكيّ لم يتناول الأدلّة والبراهين .

٤. إشرح وناقش شبهة المستشرقين في أسلوب القسم المكيّ الذي يمتاز بقصر السور والآيات.

الدرس السادس عشر

القراءات القرآنيّة في دراسات المستشرقين (١)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على أبرز المستشرقين الذين بحثوا في القراءات القرآنيّة.

٢. يطّلع على شبهات المستشرقين على القراءات القرآنيّة؛ لجهة دعواهم اختلاف القراءات القرآنيّة واضطراب النصّ القرآنيّ.

٣. يناقش ويفنّد شبهة اختلاف القراءات واضطراب النصّ القرآنيّ.

أوّلًا: اهتمام المستشرقين بدراسة القراءات القرآنيّة

احتوى كتاب «تاريخ القرآن» لنولدكه على جملة من المباحث والشبهات على قراءات القرآن، والتي يمكن اعتبارها من المصادر الأساسية للدراسات الاستشراقيّة التي جاءت من بعده.

وكتاب «تاريخ القرآن» يتكوَّن من ثلاثة أجزاء، والجزء الثالث هو جزء مُخَصَّص للقراءات القرآنيّة.

بُني هذا الجزء على ثلاثة فصول:

خُصّص الفصل الأوّل للرسم، وبُني على أربعة مباحث:

المبحث الأوّل في أخطاء النصّ العثماني

والثاني في صياغات النسخ العثمانية

والثالث في ضبط الكتابة، والرابع فخُصّص للصياغات والقراءات غير العثمانية.

واستقلّ الفصل الثاني ببحث موضوع القراءة، وبُني هو الآخر على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: فيه تسعة مسائل؛ الأولى منها في المصادر، والثانية في العلاقة مع الرسم، والثالثة في صحّة اللغة، والرابعة في مبدأ التقليد، والخامسة في مبدأ الغالبية، والسادسة في توجيه القراءات، والسابعة في تدريس القرآن والقراءات، والثامنة في نقد الروايات، والتاسعة في المذهب السلفي.

المبحث الثاني في القرّاء والقراءات عُولِجت فيه النّقاط الخمسة الآتية: الأولى في المصادر، والثانية في لمحة عن القرّاء القدماء، والثالثة في التطوّر التاريخي، والرابعة في نظام السبع والعشر والأربع عشرة قراءة، والخامسة في خصائص القراءات المشهورة واختلافاتها.

المبحث الثالث: عُولجت فيه كتب القراءات في إحدى عشرة نقطة، الأولى في الحقبة القديمة، والثانية في نشأة كتب القراءة المشهورة، والثالثة في تطوّر نظام القراءات السبع الكلاسيكية، والرابعة في توسيع نظام السبعة، والخامسة في مصادر القراءات الشاذة، والسادسة في كتابات عن المفردات، والسابعة في كتابات عن التجويد، والثامنة في الكتب الخاصّة بالوقف، والتاسعة في كتابات عن تعدّد الآيات، والعاشرة في أعمال عن كتابة القرآن، والحادية عشرة في كتب تفسير القرآن؛ بوصفها مصادر لعلم القراءات.

أمّا الفصل الثالث، فأُفرد لمخطوطات القرآن، في خمسة مباحث مع ملحق:

المبحث الأوّل في الوضع الراهن لأبحاث المخطوطات

والثاني خطّ المصاحف القديمة

والثالث في تزويد المصاحف بعلامات القراءة والأجزاء وعناوين السور

والرابع في تاريخ المخطوطات وتحديد أماكن كتابتها

والخامس في نسخ القرآن الحديثة، أمّا الملحق فيتضمّن نماذج من مخطوطات قرآن قديمة.

ومن بين الدراسات عن القراءات القرآنيّة: ما قام به جولدتسيهر، وقد ضمّنه في الفصل الأوّل من كتابه «مذاهب التفسير الإسلاميّ»، وأثار فيه مجموعة من الشبهات تداولتها الكتب الاستشراقيّة بعده، بل وبعض الكتّاب المعاصرين له، وقد أخذ جولدتسيهر بعضًا من هذه الشبهات من كتاب نولدكه، ولكنّها على كلّ حال هي أشهر ما ورد على مبحث القراءات[1]؛ لذا سنشير إليها وإلى الردود عليها باختصار.

ثانيًا: شبهات المستشرقين على القراءات القرآنية

الشبهة الأولى: اختلاف القراءات القرآنيّة واضطراب النصّ

إنّ أحد معاني الاضطراب وعدم الثبات في النصّ القرآني أن يُقرأ النصّ على وجوه مختلفة وصور متعدّدة، ويكون بين هذه الصور تناقض في المعنى وتعارض في المراد، وتضارب في الهدف، ولا يُعرف الموحى به من هذه الصور من غيره.

يقول جولدتسيهر: «فلا يوجد كتاب تشريعي احتفظت به طائفة دينية على أنّه نصّ منزَل موحَى به، يقدِّم نصّه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات، كما نجد في نصّ القرآن»[2]. حيث يزعم أنّ النصّ القرآني مضطرب،

[١]- هناك كتب عدَّة ردَّت شبهات «جولدتسيهر» حول القراءات، نذكر منها: «الرد على جولد تسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنيَّة" لمحمّد حسن جبل؛ «تاريخ القرآن وغرائب رسمه» لمحمّد طاهر بن عبد القادر الكردي؛ «رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين» للدكتور عبد الفتّاح شلبي؛ «القراءات في نظر المستشرقين والملحدين» لعبد الفتّاح القاضي؛ «القراءات أحكامها ومصادرها» لشعبان محمّد إسماعيل؛ «الأحرف السبعة و منزلة القراءات منها» لحسن ضياء الدين العتر؛ «القراءات القرآنيَّة وصلتها باللهجات» للدكتور رشاد محمّد سالم. وإن كانت هذه الردود والكتب مهمَّة في الردّ على شبهات المستشرقين في مجال القراءات؛ ولكنَّنا نلحظ في أغلب هذه الردود التي صدرت من العامة أنَّها مبنيَّة على أسس موضوعيَّة مسلَّمة عندهم، من قبيل: حجِّيَّة القراءات وتواترها، والأحرف السبعة، وغير ذلك، وهذا لا يتوافق مع ما عليه علماء الإماميَّة من عدم صحَّة تواتر القراءات وغير ذلك كما سنبيِّن.

[٢]- جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلاميّ، م.س، ص٤.

وغير ثابت، وفيه اختلاف كثير. ويُفهم من كلامه أنّ نصّ القرآن هو من أكثر النصوص الدينيّة اضطرابًا على الإطلاق. ويمكن تسجيل ملاحظات عدّة على هذا الكلام؛ منها:

- إذا كان «جولدتسيهر» لم يطلع على النصوص الأصلية للكتب السماوية، فمن أين عرف أنّ نصّ القرآن هو من أكثر النصوص اضطرابًا؟!

- يقرّ جولدتسيهر أنّ التلمود يقول بنزول التوراة بلغات متعدّدة وفي وقت واحد. وهذا يمثّل اختلافًا في نصوص التوارة بلا شكّ!

- يسلِّم جولدتسيهر أنّ للتوراة أكثر من نسخة مختلفة، ثمّ إنّ علماء العرب أثبتوا أنّه كانت هناك ثلاث نسخ معروفة للتوراة. وللإنجيل نسخ كثيرة جدًا مختلفة اختلافات واسعة!

- يرى المستشرق آرثر جيفري أنّ تاريخ التوراة والإنجيل ونسبتهما وحرفيّتهما أبعد شيء عن الصحّة والوثوق![١].

الردّ على الشبهة

لا بدّ أن نشير إلى أنّه إذا افترضنا أنّ القراءات أدّت إلى تناقض واضطراب في النصّ القرآني؛ فهذا دليل على عدم صحّة القراءات أصلاً، لا على عدم صحّة النصّ القرآنيّ. طبعًا هذا الكلام واضح على مباني علماء الإمامية وآرائهم في مبحث القراءات القرآنيّة؛ لأنّهم لا يرون تواتر القراءات، فلا ملازمة بين ثبوت النصّ القرآني وبين القراءات؛ لأنّ القرآن منقول إلينا بالتواتر؛ بينما القراءات القرآنيّة

[١]- جبل، الردّ على المستشرق اليهوديّ جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنيَّة، ص٣٨-٣٩.

ليست متواترة أصلاً، بل يعتبرها علماء الإمامية من الأمور الاجتهادية التي تخضع للضوابط والموازين العلميّة من صحّة النقل، وموافقة القواعد العربيّة المشهورة وغير ذلك، ولذا لا يعتبر فقهاء الإمامية أنّ القراءات حجّة في الاستدلال الفقهي بمجرّد أنّها من القراءات السبعة أو العشرة المشهورة، ولكنْ للانصاف هذا الفرض -أي إذا أدّت القراءات إلى التناقض- من الصعوبة بمكان دفعه مع القول بحجّيّة القراءات وتواترها؛ كما هو الأمر عند علماء أهل السنّة.

وأيضًا لا بدّ أن نشير إلى أنّنا لا نعترف بأيّ قراءة تؤدّي إلى تبديل في النصّ القرآني؛ كأن نقرأ مكان كلمة «اهدنا» في سورة الفاتحة كلمة «ارشدنا» وما شابه ذلك من قراءات نُسبت إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، والتي قد تُفهم على أنّها توضيحات وتفسيرات للنصّ، لا أنّها قراءة للقرآن؛ وإلا فهذه القراءات هي عدل القول بتحريف القرآن الكريم؛ وهو مرفوض بالإجماع.

وعلى كلّ الأحوال: القراءات هي عبارة عن الوجوه المتعدّدة التي تواردت على النصّ القرآني، ولا تؤدّي إلى تناقض وتضارب واضطراب في النصّ القرآني نفسه، والاضطراب والاختلاف منفي عن القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً**﴾ (النساء: ٨٢)، نعم قد تؤدّي القراءات إلى اختلاف في المعنى، ولكن هذا الاختلاف لا يؤدّي إلى التضارب والتناقض حتمًا. ومن الأمثلة على ذلك:

- اختلاف القراءات لفظًا واتحادهما في المعنى: كما في قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾؛ فقد قُرِئت «ملك» بأوجه مختلفة، كما قُرأت الصراط بالسين والصاد؛ أي (الصراط-السراط) في قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ**

الْمُسْتَقِيمَ﴾، ولا فرق بينهما، وإنّما هو مراعاة للسان العرب ولهجاتهم[١].

- اختلاف القراءات لفظًا ومعنى، كما في قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**﴾ (الحديد: ١٨) قرئت بتشديد الصاد وتخفيفها، فعلى قراءة التشديد يكون المعنى مشتقًا من تصدّق؛ أي الذين يخرجون صدقات أموالهم، وعلى قراءة التخفيف يكون المعنى مشتقًا من التصديق؛ أي الذين صدقوا الرسول وآمنوا بما جاء به، فالمعنيان مختلفان، غير أنّهما يجتمعان في العبد المؤمن المتصدِّق[٢]. وقيل: إنّ «حكمة هذا النوع من الاختلاف أن تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لإفادة المعنيين جميعًا»[٣].

أمّا اختلاف التضاد، فلا وجود له في القرآن، يقول ابن قتيبة في مشكل القرآن: «الاختلاف نوعان: اختلاف تغاير، واختلاف تضادّ. فاختلاف التّضاد لا يجوز، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن...»[٤].

---

[١]- الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ج١، ص١٦٣.

[٢]- انظر: الدجوي؛ القمحاوي، قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر، ص١٦٤.

[٣]- القاضي، القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، ص١٧.

[٤]- الدينوري، تأويل مشكل القرآن، م.س، ص٣٣.

الأفكار الرئيسة:

- احتوى كتاب «تاريخ القرآن» لنولدكه على جملة من المباحث والشبهات على قراءات القرآن، والتي يمكن اعتبارها من المصادر الأساسية للدراسات الاستشراقيّة التي جاءت من بعده.

- من بين الدراسات عن القراءات القرآنيّة: ما قام به جولدتسيهر، وقد ضمّنه في الفصل الأوّل من كتابه «مذاهب التفسير الإسلاميّ»، وأثار فيه مجموعة من الشبهات تداولتها الكتب الاستشراقيّة بعده، بل وبعض الكتّاب المعاصرين له.

- يرى المستشرقون أنّ أحد معاني الاضطراب وعدم الثبات في النصّ القرآني أن يُقرأ النصّ على وجوه مختلفة وصور متعدّدة، ويكون بين هذه الصور تناقض في المعنى وتعارض في المراد، وتضارب في الهدف، ولا يُعرف الموحى به من هذه الصور من غيره.

- التلمود يقول بنزول التوراة بلغات متعدّدة وفي وقت واحد. وهذا يمثّل اختلافًا في نصوص التوارة بلا شكّ!

- للتوراة أكثر من نسخة مختلفة، ثمّ إنّ علماء العرب أثبتوا أنّه كانت هناك ثلاث نسخ معروفة للتوراة. وللإنجيل نسخ كثيرة جدًا مختلفة اختلافات واسعة!

- تاريخ التوراة والإنجيل ونسبتهما وحرفيّتهما أبعد شيء عن الصحّة والوثوق![١].

- إذا افترضنا أنّ القراءات أدّت إلى تناقض واضطراب في النصّ القرآني؛ فهذا دليل على عدم صحّة القراءات أصلًا، لا على عدم صحّة النصّ القرآنيّ.

- القراءات هي عبارة عن الوجوه المتعدّدة التي تواردت على النصّ القرآني، ولا تؤدّي إلى تناقض وتضارب واضطراب في النصّ القرآني نفسه.

---

[١]- جبل: الردّ على المستشرق اليهوديّ جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنيَّة، م.س، ص٣٨-٣٩.

فكِّر وأَجِب:

١. من هم المستشرقون الذين اهتموا بدراسة القراءات القرآنيّة؟ وكيف؟ ولماذا؟

٢. بيّن شبهة المستشرقين ودعواهم اختلاف القراءات واضطراب النصّ القرآنيّ، مع إيراد الملاحظات الواردة على النصوص التوراتية والإنجيلية.

٣. ما هي الردود على دعوى المستشرقين اختلاف القراءات ؟

٤. ما هي الردود على دعوى المستشرقين حول اضطراب النصّ القرآني؟

الدرس السابع عشر

القراءات القرآنيّة في دراسات المستشرقين (٢)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على شبهات المستشرقين على القراءات القرآنيّة؛ لجهة خلوّ المصاحف من التنقيط والإعجام.

٢. يبيّن أثر خلوّ المصاحف من التنقيط والإعجام على اختلاف القراءات والنصّ القرآنيّ.

٣. يفنِّد شبهة خلو المصاحف من التنقيط والإعجام وأثرها على اختلاف القراءات والنصّ القرآنيّ.

شبهات المستشرقين على القراءات القرآنيّة

الشبهة الثانية: خلوّ المصاحف من التنقيط والإعجام وأثرها على اختلاف القراءات والنصّ القرآني

أوّلًا: بيان الشبهة

إنّ سبب اختلاف القراءات القرآنيّة هو خلوّ المصاحف التي كتبها الخليفة عثمان من النقط والإعجام. يقول جولدتسيهر: «وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية اللفظ العربي الذي يقدِّم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة؛ تبعًا لاختلاف النقط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقط... وإذًا فاختلاف الحركات في المحصول موحَّد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأوّل في نشأة حركة اختلاف القراءات في نصّ لم يكن منقوطًا أصلاً، أو لم تتحرّ الدقّة في نقطه وتدقيقه»[١].

ثانيًا: ردّ بعض علماء أهل السنّة على الشبهة

حسب تاريخ جمع المصاحف، فإنّ المصاحف التي جمعها الخليفة الثالث كانت خالية من التنقيط والتشكيل. يقول الزرقاني في مناهل العرفان: «كان العلماء في الصدر الأوّل يرون كراهة نقط المصحف وشكله، مبالغة منهم في المحافظة على أداء القرآن؛ كما رسمه المصحف، وخوفا من أنْ يؤدّي ذلك إلى التغيير فيه... ولكنّ الزمان تغيّر -كما علمت- فاضطر المسلمون إلى إعجام المصحف وشكله لذلك السبب نفسه؛ أي للمحافظة على أداء القرآن كما رسمه المصحف، وخوفًا من أن يؤدّي تجرّده من النقط والشكل إلى التغيير فيه»[٢]. مع التسليم بهذه الحقيقة التاريخية

---

[١]- جولدتسيهر، مذاهب التفسير الإسلاميّ، م.س، ص٨-٩.

[٢]- الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، م.س، ص٤٠٢.

أجاب بعض علماء أهل السنّة عن الشبهة وفق الآتي:

١. **الوجه الأوّل:** أنّ قراءاته ورواياته قد ذاع أمرها، وتداول الناس القراءة بها في العهد النبوي، وممّا يدلّ على ذلك: ما رواه ابن عباس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «أَقرَأني جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُني حَتَّى انتهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُف»[١]، فتمسّكوا بهذا الحديث الذي لم يصحّ عندنا، بل المرويّ في كتبنا خلافه، وأنّ القرآن لم ينزل على سبعة أحرف، بل نزل على حرف واحد.

فعَنِ اَلْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اَللَّهِ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ أَنّ اَلنَّاسَ يَقُولُونَ إِنّ القرآن نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: «**كَذَبُوا أَعْدَاءُ اَللَّهِ، وَلَكِنَّهُ نَزَلَ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنْ عِنْدِ اَلْوَاحِدِ**»[٢].

فهم استنادًا إلى النصّ المتقدّم وغيره، ادّعوا أنّ الرسول تلقّى القراءات السبع من جبريل وبلّغها إلى أصحابه. وعليه، فزعم أنّ انعدام النقط هو سبب القراءات مردود عليه؛ بشياع القراءات القرآنيّة منذ العهد النبوي، وتدوينها؛ ما يجعل من الصعب ابتكار قراءة جديدة مع هذا الشياع والتواتر، والأمر أصعب بعد التدوين وحمل الناس على مصحف واحد.

٢. **الوجه الثاني:** يشبه الوجه الأوّل، بل هو نفسه؛ لأنّه يعتمد على حديث السبعة أحرف، فقد وردت عندهم روايات متعدّدة؛ منها: ما روي من استعجاب بعض الصحابة من بعض القراءات التي لم يعلموا بها في عهد النبيّ، فبيّن لهم أنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف.

عن أُبي بن كعب، قال: «كُنْتُ في المَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أنكَرْتُهَا عليه، ثمّ دَخَلَ آخَرُ، فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِه، فَلَمّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا على رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه [وآله] وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إنّ هذا قَرَأَ قِرَاءَةً أنكَرْتُهَا

---

[١]- البخَّاري، صحيح البخَّاري، م.س، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ح٣٢١٩؛ ابن الحجَّاج القشيري النيسابوريّ، صحيح مسلم، م.س، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أنَّ القرآن على سبعة أحرف،ح٨١٩.

[٢]- الكلينيّ، الكافي، م.س، ج٢، ص٦٣٠.

عليه، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فأمَرَهُما رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عليه [وآله] وَسَلَّمَ، فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النبيّ صَلَّى اللَّهُ عليه [وآله] وَسَلَّمَ شَأنهُمَا، فَسَقَطَ في نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلا إذْ كُنْتُ في الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمّا رَأَى رَسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عليه [وآله] وَسَلَّمَ ما قدْ غَشِيَنِي، ضَرَبَ في صَدْرِي، فَفِضْتُ عَرَقًا وكَأنَّما أنْظُرُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا، فَقالَ لِي: يا أُبَيُّ أُرْسِلَ إلَيَّ أنِ اقْرَأِ القُرْآنَ علَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إلَيْهِ أنْ هَوِّنْ علَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ علَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إلَيْهِ أنْ هَوِّنْ علَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ علَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَلَكَ بكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا، فَقُلتُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَومٍ يَرْغَبُ إلَيَّ الخَلْقُ كُلُّهُمْ، حتَّى إبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عليه [وآله]»[١].

وغيرها من الأحاديث المنقولة في مجامع أهل السنّة، ويعتبر هؤلاء أنّ حديث نزول القرآن على سبعة أحرف هو من الأحاديث المتواترة». وقد ورد حديث: «(نزل القرآن على سبعة أحرف) في رواية جمع من الصحابة: أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفّان، وعمر بن الخطاب، وعمرو بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بكرة، وأبي جهم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي أيوب، فهؤلاء أحد وعشرون صحابيًا»[٢].

ومدرسة أهل البيت(عليهم السلام)، لا تؤمن بصحّة حديث «نزل القرآن على سبعة أحرف»؛ فضلاً عن تواتره، وحتى لو سلّمنا بصحّته، فلا يصحّ تفسيره بالقراءات السبع أو غيرها؛ كما سنبيّن.

٣. الوجه الثالث: لمّا كُتبت المصاحف العثمانية وأُرسلت إلى الأمصار، لم يكتفِ الخليفة عثمان بإرسالها وحدها، بل أرسل مع كلّ مصحف عالماً من علماء

[١]- ابن الحجَّاج القشيري النيسابوريّ، صحيح مسلم، م.س، ح٨٢٠.

[٢]- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، م.س، ج١، ص١٦٣.

القراءة يعلِّم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف، فكان كلّ واحد منهم يقريء أهل مصره بما تعلّمه من القراءات الثابتة عن رسول الله بطريق التواتر التي يحتملها رسم المصحف، دون الثابتة بطريق الآحاد والمنسوخة، وإن كان يحتملها رسم المصحف، فالمقصود من إرسال القارىء تقييد ما يحتمله الرسم من القراءات بالمنقول منها تواترًا.

٤. **الوجه الرابع:** لو كان مبعث اختلاف القراءات وتنوّعها خلوّ المصاحف من النقط والشكل، وكان كلّ قارىء يقرأ بقراءة يختارها من تلقاء نفسه، إذا كان الرسم محتملاً لها، ولم يكن مبعثها الوحي والمشافهة والتلقّي من رسول الله؛ لكان بعض القرآن من كلام البشر، ولم يكن كلّه وحيًا سماويًا منزلاً من عند الله، ولو كان كذلك لذهبت أهمّ خاصّيّة يمتاز بها القرآن؛ وهي الإعجاز، ولو ذهبت خاصّيّة الإعجاز لم يكن للتحدّي به أيّ وجه.

نحن نسلِّم بصحّة هذه الفكرة؛ لأنّ بعض القراءات، بل أكثرها هي اجتهادات شخصية، وهي ليست رواية عن رسول الله في كثير من الأحيان؛ حتى نناقش أنّها رواية آحاد أم رواية متواترة، لأنّ هذا البحث فرع إثبات أنّ هذه رواية أصلاً. ولا نوافق أيضًا أنّ كلّ هذه القراءات هي وحي من الله تعالى؛ كما سنبيّن.

٥. **الوجه الخامس:** أنّ القرآن سجَّل على رسول الله أنّه لا يستطيع أن يُبدّل في القرآن الكريم، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ (الحاقَّة: ٤٤-٤٦)، فإذا كان الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلم لا يستطيع تغيير حرف ولا كلمة في القرآن، فكيف يستطيع ذلك أحد من الصحابة أو التابعين؟!

٦. **الوجه السادس:** وعد الله بحفظ كتابه؛ كما قال في سورة الحجر: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ (الحجر: ٩)، ولا شكّ أنّ قراءته بالرأي والاختيار تفضي إلى تعريض نصوصه للتحريف والتغيير؛ وذلك ينافي الوعد بحفظه.[١]

---

[١]- انظر: القاضي، القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، م.س، ص٢٦-٨٦.

وهناك أوجه أخرى يظهر منها التناقض؛ فمثلاً دفاع بعض علماء أهل السنّة عن القراءات وردّ شبهة جولدتسيهر؛ وهي أنّ قصّة جمع عثمان للقراءات في مصحف واحد تقدح في هذه الشبهة، وتبيّن عوجها، وذلك أنّ السبب الباعث على جمعه للمصاحف هو اختلاف الناس في البلدان المفتوحة في قراءات القرآن، فخشي حذيفة بن اليمان من ذلك، وصادف أنّ عثمان لديه التخوّف نفسه أيضًا، فممّا يذكر أنّه: «لمّا كان في خلافة عثمان جعل المعلّم يعلّم قراءة الرجل والمعلّم يعلّم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقّون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلّمين، حتى كفَّر بعضهم بعضًا، فبلغ ذلك عثمان، فخطب، فقال: أنتم عندي تختلفون فمن نأى عنّي من الأمصار أشدّ اختلافًا، فكأنّه والله أعلم لما جاءه حذيفة وأعلمه باختلاف أهل الأمصار تحقّق عنده ما ظنّه من ذلك»[1]. فالقراءات كانت موجودة قبل التدوين العثماني للمصحف، واختلاف الناس فيها هو ما دفع عثمان للجمع في مصحف واحد، فأين هذه الحقيقة التاريخية الثابتة من وجوه عديدة متواترة من زعم جولدتسيهر أنّ انعدام النقط والإعجام هو السبب في نشأة القراءات.

ولو سلّمنا أنّ القراءات كانت موجودة في زمن النبيّ، فهذا يعني أنّها مأخوذة ومنقولة عنه صلى الله عليه وآله، وهي وحي، وكما قال علماء أهل السنّة هي متواترة، فكيف يحقّ للخليفة الثالث أن يُلغي جملة من القراءات المتواترة عن النبيّ ويوحّد الأمّة على قراءة واحدة، فما فعله الخليفة هو اعتراف منه باجتهادية هذه القراءات، لأنّه لو كان يعلم أنّها قراءات رسول الله، أو أنّها قراءات لبعض الصحابة، وقد أمضاها النبيّ صلى الله عليه وآله، ونقلت بنحو متواتر عنه، وعلى الرغم من ذلك قام بإلغاءها؛ فهذا تصرّف غير جائز، فهل يصدر من الخليفة فعل كهذا؟!

٧. **الوجه السابع:** قد يُقال في جواب جولدتسيهر: إنّ المعتبر في القراءات ليس الرسم العثماني، وإنّما صحّة القراءة وتواترها؛ لأنّنا قد نجد كلمة رسمت في المصحف العثماني بشكل واحد، ولكنّها في بعض المواضع وردت فيها القراءات

---

[١]- العسقلانيّ، فتح الباري بشرح صحيح البخَّاري، م.س، ج٩، ص٢٧.

التي يحتملها الرسم، فاختلف فيها القرّاء، وتنوّعت قراءاتهم، وفي بعض المواضع اتّفق القرّاء على قراءتها بوجه واحد؛ لأنّ غيره لم يصحّ به النقل، ولم تثبت به الرواية، مع أنّ الرسم يحتمله، ومن الأمثلة على ذلك: كلمة (مالك) فقد وردت في القرآن في ثلاث مواضع:

في قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ (الفاتحة: ٤).

وقوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (آل عمران، ٢٦).

وقوله تعالى: ﴿**مَلِكِ النَّاسِ**﴾ (الناس: ٢).

ورسمت هذه الكلمة برسم واحد في المواضع الثلاثة (ملك)، بحذف الألف بعد الميم، ولكنّ القرّاء اختلفوا في قراءتها في سورة الفاتحة فقط، فمنهم من قرأها بحذف الألف، ومنهم من قرأها بإثباتها، وأمّا في موضع آل عمران فقد اتّفقوا على إثبات الألف، وفي موضع الناس اتفقوا على حذف الألف، فلو كانت القراءات بالاجتهاد والرأي لا بالتلقّي والتلقين، وكان تنوّع القراءات تابعًا لرسم المصحف؛ لم يكن اختلاف القراءات مقصورًا على موضع الفاتحة فقط، بل شمل مَوضعَي آل عمران والناس، لكنّهم اختلفوا في موضع واحد فقط، ما يبيّن أنّ القراءة ثابتة بالسند والرواية، وليس بالرسم الذي جعله جولدتسيهر أساسًا للقراءات.

نسلّم بأنّ العبرة بالرواية المنقولة بطريق صحيح عن رسول الله، حتى لو لم يبلغ حدّ التواتر، وليس العبرة بالرسم العثماني، ولكنْ ما لا نسلِّم به أنّ ما قام به بعض القرّاء ليس اجتهاديًّا.

الأفكار الرئيسة:

- يرى المستشرقون أنّ سبب اختلاف القراءات القرآنيّة هو خلوّ المصاحف العثمانيّة من النقط والإعجام.

- ردّ أهل السنّة على هذه الشبهة بوجوه عدّة؛ هي:

- أنّ قراءاته وروayاته قد ذاع أمرها، وتداول الناس القراءة بها في العهد النبوي.

- تلقّي الرسول القراءات السبع من جبريل وتبليغها إلى أصحابه.

- لمّا كُتبت المصاحف العثمانية وأُرسلت إلى الأمصار، أُرسل مع كلّ مصحف عالماً من علماء القراءة يعلّم المسلمين القرآن وفق هذا المصحف، فكان كلّ واحد منهم يقريء أهل مصره بما تعلّمه من القراءات الثابتة عن رسول الله بطريق التواتر التي يحتملها رسم المصحف.

- لو كان مبعث اختلاف القراءات وتنوّعها خلوّ المصاحف من النقط والشكل، وكان كلّ قارىء يقرأ بقراءة يختارها من تلقاء نفسه، لذهبت خاصّيّة الإعجاز ولم يكن للتحدّي به أيّ وجه.

- أنّ القرآن سجّل على رسول الله أنّه لا يستطيع أن يُبدّل في القرآن الكريم، فكيف يستطيع ذلك أحد من الصحابة أو التابعين؟!

- وعد الله بحفظ كتابه، ولا شكّ أنّ قراءته بالرأي والاختيار تفضي إلى تعريض نصوصه للتحريف والتغيير؛ وذلك ينافي الوعد بحفظه.

- إنّ المعتبر في القراءات ليس الرسم العثماني، وإنّما صحّة القراءة وتواترها.

فكِّر وأَجِب:

١. بيّن شبهة المستشرقين خلو المصحف من النقط والإعجام وأثره في اختلاف القراءات والنصّ القرآنيّ.

٢. كيف أجاب علماء أهل السنّة على ما ذكره المستشرقون في هذه الشبهة.

٣. كيف فنَّد أهل السنّة شبهة خلو المصحف من النقط والإعجام وأثره في اختلاف القراءات والنصّ القرآنيّ، من خلال الاحتجاج بقرّاء الأمصار وبطلان الإعجاز والتحدّي؟

٤. كيف فنَّد أهل السنّة شبهة خلو المصحف من النقط والإعجام وأثره في اختلاف القراءات والنصّ القرآنيّ، من خلال الاحتجاج بعدم تبديل النبي صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه والوعد الإلهي بالحفظ؟

الدرس الثامن عشر

القراءات القرآنيّة في دراسات المستشرقين (٣)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على رأي الإماميّة في رفض تواتر القراءات.

٢. يطّلع على الطريقة التي اعتمدها المستشرقون في بحثهم للقراءات.

٣. يفنِّد هذه الطريقة في البحث.

٤. يتعرّف على الردود الصحيحة لشبهات المستشرقين في خلو المصاحف من التنقيط والإعجام وأثره على اختلاف القراءات والنصّ القرآنيّ.

شبهات المستشرقين على القراءات القرآنيّة

أوّلًا: رأي الإمامية في تواتر القراءات والمعالجة الصحيحة لشبهات جولدتسيهر

قدّم السيِّد الخوئي(قدس سره) في كتابه البيان ترجمة دقيقة للقرّاء السبعة؛ وهم: عبد الله بن عامر، وابن كثير المكيّ، وعاصم بن بهدلة الكوفي، وأبو عمرو البصري، وحمزة الكوفي، ونافع المدني، والكسائي الكوفي. وأضاف ترجمة ثلاثة قرّاء آخرين؛ هم: خلف بن هشام البزّار، ويعقوب بن إسحاق، ويزيد بن القعقاع[١]. وبعد هذا العرض لأحوال القرّاء توصّل إلى النتائج الآتية:

١. **الأوّل:** أنّ استقراء حال الرواة يُورث القطع بأنّ القراءات نُقلت إلينا بأخبار الآحاد. فبعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته.

٢. **الثاني:** أنّ التأمّل في الطرق التي أخذ عنها القرّاء، يدلّنا دلالة قطعية على أنّ هذه القراءات إنّما نُقلت إليهم بطريق الآحاد.

٣. **الثالث:** اتّصال أسانيد القراءات بالقرّاء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد.

٤. **الرابع:** احتجاج كلّ قارئ من هؤلاء على صحّة قراءته، واحتجاج تابعيه على ذلك أيضًا، وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على أنّ القراءات تستند إلى اجتهاد القرّاء وآرائهم، لأنّها لو كانت متواترة عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِه لم يحتجْ في إثبات صحّتها إلى الاستدلال والاحتجاج[٢].

وأشار السيد الخوئي إلى آراء جملة من علماء أهل السنّة تنفي التواتر عن القراءات السبع وغيرها؛ وهذا يؤكّد عدم صحّة الاحتجاج بهذه القراءات؛ ما لم تخضع للضوابط العلميّة المعتبرة.

---

[١]- انظر: الخوئي، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص١٢١-١٤٦.

[٢]- انظر: م.ن، ص١٤٩-١٥٠.

قال ابن الجزري: «كلّ قراءة وافقت العربيّة ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها؛ فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها، ولا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها؛ سواء كانت عن الأئمّة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمّة المقبولين، ومتى اختلَّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة، أو شاذّة، أو باطلة؛ سواء كانت من السبعة أم عمّن هو أكبر منهم.

هذا هو الصحيح عند أئمّة التحقيق من السلف والخلف. وقد صرّح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونصّ عليه في غير موضع الإمام أبو محمّد مكيّ بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وحقّقه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة؛ وهو مذهب السلف الذي لا يُعرف عن أحد منهم خلافه»[١].

وبعد أنْ عرض السيّد الخوئي جملة من آراء علماء أهل السنّة، قال: «هل تبقى قيمة لدعوى التواتر في القراءات بعد شهادة هؤلاء الأعلام كلّهم بعدمه؟ وهل يمكن إثبات التواتر بالتقليد، وباتّباع بعض من ذهب إلى تحقّقه من غير أن يطالب بدليل، ولا سيما إذا كانت دعوى التواتر ممّا يكذّبها الوجدان؟!»[٢].

وأمّا بالنسبة لحديث الأحرف السبعة وأنّها مرتبطة بالقراءات السبعة فهذا الأمر لا يقبله كبار المحقّقين من أهل السنّة والشيعة.

يقول السيد الخوئي: «قد يتخيّل أنّ الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن هي القراءات السبع، فيتمسّك لإثبات كونها من القرآن بالروايات التي دلّت على أنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، فلا بدّ لنا أن ننبّه على هذا الغلط، وأنّ ذلك شيء لم يتوهّمه أحد من العلماء المحقّقين. هذا إذا سلّمنا ورود هذه الروايات، ولم نتعرّض لها بقليل ولا كثير»[٣].

---

[١]- ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج١، ص٩.

[٢]- الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص١٥٥.

[٣]- م.ن، ص١٥٩.

ثانيًا: الطريقة التي اعتمدها المستشرقون في بحث القراءات

إذا نظرنا إلى كتاب «تاريخ القرآن» لنولدكه، وكتاب «مذاهب التفسير الإسلاميّ» لجولدتسيهر والذي تأثّر بنولدكه، بل أخذ عنه، نجد أنّهما ركّزا على الأمور الآتية:

١. من ناحية المنهج، فالمنهج الذي اعتمده هؤلاء هو المنهج الفيلولوجي، وهو المنهج الذي يُعنى بدراسة الآثار العلميّة والمخطوطات القديمة؛ بُغية إعادة تركيب معرفة جديدة من خلالها، وهو المنهج الذي أرسى دعائمه المستشرق سلفستر دي ساسي.

٢. نجد اهتمام وإشادة واضحة بمصادر القدماء من المستشرقين، في الوقت الذي لم تتوفر الدراسة على المصادر الأصلية والأساسية لهذه الأبحاث؛ وهي المصادر العربية، بل حتى عند الأخذ والاقتباس من هذه المصادر نجد الحيطة والحذر في نقل بعض النصوص، بالإضافة إلى كثرة التأويلات والتخريجات غير العلميّة في كثير من الأحيان.

٣. استخدم هؤلاء مصطلحات خاصّة وغير مشهورة في كتب علماء المسلمين، بل خلطوا وبشكل متعمّد بين بعض المصطلحات التي لها مداليل مختلفة، وفسّروا بعض الكلمات في الآيات القرآنيّة بطريقة تتناسب مع خلفيّاتهم الفكرية والدينية، وهذا موجود في كلّ أبحاث المستشرقين بشكل عام، ولكنّنا نراه بوضوح في بحث القراءات. وهذا الأسلوب في البحث يعتبر من أخطر الأساليب على موضوعية البحث؛ لأنّ تغيير المصطلح أو تشويهه سيؤدّي حتمًا إلى نتائج غير علمية.

مثلاً نولدكه، ومن تبعه، غيَّروا كثيراً في معاني المصطلحات وحمّلوها ما لا تحتمل؛ ومن هذه المصطلحات: مصطلح «القراءة» الذي يشتق منه اسم «القرآن» واسم «القراءات»، حيث ذهب نولدكه إلى أنّ «قرأ» هي كلمة حضارية لا يمكن أن تنشأ عند العرب البدو، وافترض أنّها انتقلت إلى بلاد العرب من شمال الجزيرة، وأعطى لمصطلح قراءة معنى «نادى»؛ لأنّه هو المعنى الأصلي للكلمة في اللغتين العبريّة والآرامية، أمّا كلمة «اقرأ» في سورة العلق، فقد فسّرها بتفسير غريب؛ وهو: «عِظ»، ثمّ رتّب على هذا كلّه أنّ كلمة «قرآن» لم تتطوّر داخل اللغة العربيّة فهي

مأخوذة من كلمة سريانية ومطبّقة على وزن فعلان[١].

أمّا المستشرق أوطوبرتزل؛ فإنّه يسمّي الأمور بغير مسمّياتها، فهو يطلق على (الإدغام) (الدمج)، والدمج شيء والإدغام في القراءات شيء آخر، ويطلق على (الوقف) (القطع)[٢]، ويطلق على (الإخفاء) (الاختفاء)[٣] ومن الواضح الفرق بين هذه المصطلحات ونرى هذه الطريقة موجودة في كثير من دراسات المستشرقين.

٤. اعتمدوا المقارنة بين مصاحف الصحابة؛ وهذا في نفسه لا إشكال فيه، ولكنّهم اعتبروا أنّ هذه المصاحف نصوصًا مختلفة من القرآن الكريم، فنولدكه على سبيل المثال يسمّي مصحف عبد الله بن مسعود «نصّ ابن مسعود"، ومصحف أُبَيّ بن كعب «نصّ أُبَيّ»، ومصحف عثمان بن عفان «نصّ عثمان".

والهدف الذي يريد هؤلاء أن يصلوا إليه أنّه لا يوجد نصّ موحَّد للقرآن الكريم، بل هناك نصوص كثيرة مختلفة، زيادة ونقصانًا؛ بسبب اختلاف مصاحف الصحابة، ونحن ولو سلّمنا باختلاف المصاحف ووجود بعض الملاحظات والتحفّظات على بعضها مشروط بألّا يؤدّي ذلك إلى تحريف القرآن بالزيادة أو النقيصة؛ لأنّ عدم تحريف القرآن من الأمور المسلّمة والمتّفق عليها بين المسلمين، بل هي مورد إجماع عندهم.

وما يراه علماء الإمامية أنّ هذا النصّ القرآني الموجود بين الدفتين هو النصّ الذي أُنزل على النبيّ محمّدﷺ ونُقل إلينا بالتواتر، وباقي المصاحف تُقاس عليه، فلو فرضنا صحّة ما نُقل لنا من أنّ مصحف ابن مسعود حُذف منه سورة الناس، وسورة الفلق، وسورة الفاتحة، أو أنّ مصحف أُبي فيه زيادات فعدد سوره ١١٦، أو أنّ مصحف الإمام علي عليه السلام -طبعًا لو افترضنا ذلك- فيه زيادة في المورد أو في غيره -طبعًا نحن نحمل هذه الزيادات على التفسير-، فكلّ هذه الروايات لا يمكن قبولها، ولسبب بسيط؛ وهو أنّ النصّ المنقول إلينا، والذي يُسمّى المصحف العثماني نسبة لجمع الخليفة الثالث عثمان للمصحف هو منقول بالتواتر ومجمع على عدم تحريفه

---

[١]- انظر: نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ص٣١-٣٢.

[٢]- انظر: م.ن، ج٣، ص٤١٩.

[٣]- انظر: م.ن، ج٣، ص٤٩٢.

بين المسلمين، وأيّ قول آخر سواء نُسب إلى أهل السنّة أم الشيعة؛ فهو قول شاذّ. أمّا باقي المصاحف فهي أولاً؛ مشكوك في صحّة نسبتها إلى بعض الصحابة، وثانيًا؛ ما نُقل لنا من اختلاف في ترتيبها أو بعض تفاصيلها مع المصحف الحالي فهي لم تصل إلينا من خلال نصوص معتبرة، أو في أحسن الحالات هي آخبار آحاد لا يصحّ التمسّك بها في مقابل تواتر المصحف العثماني.

والسبب الثاني والأساس عند الإمامية والذي يجعلهم يلتزمون بهذا النصّ القرآني الموجود، وأنّه غير محرَّف، لا بالزيادة ولا بالنقيصة؛ هو إمضاء أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام؛ أي قبوله بهذا القرآن وقبول باقي الأئمّة عليهم السلام من بعده لذلك وإمضائهم له، وكما هو مقرّر عندنا إمضاء الإمام المعصوم عليه السلام حجّة، سواء جمع المصحف عثمان أو غيره؛ لأنّه عند ذلك تصبح هذه الأبحاث مجرّد أبحاث تاريخية لا تؤثّر على الموقف العقدي عند الإمامية، بعد إحراز القطع بموافقة الإمام علي عليه السلام لما يسمّى بالمصحف العثماني.

ثالثًا: الوجه الصحيح في الردّ على جولدتسيهر

هناك شبهات كثيرة أوردها جولدتسيهر وغيره على القراءات القرآنيّة؛ كما تقدّم، وبناء على عدم تواتر القراءات السبعة، وعدم صحّة حديث «نزل القرآن على سبعة أحرف»، أو لا أقلّ النقاش في أصل الحديث أو في صحّة تطبيقه على القراءات السبع المشهورة، فالأفضل معالجة هذه الشبهات بأسلوب ومنهج مختلف، لا يعتمد تواتر القراءات، وحديث الأحرف السبع.

والمنهج الأفضل هو المعالجة الجزئية لكلّ مورد؛ أي تتبّع كلّ ما طُرح بعنوان مثال أو أنموذج على القراءات والإشكالات التي أوردها جولدتسيهر أو غيره على القراءات، وردّ كلّ إشكال على حدة، وتوجيه القراءة وتصحيحها ضمن الضوابط المعروفة من صحّة الرواية؛ أي الإسناد، وموافقة القراءة لقواعد اللغة العربية، ولا يرد هنا إشكال أنّ الأصل هو القرآن لا قواعد اللغة، فالقرآن هو المصدر الأوّل والأهمّ على الإطلاق لقواعد اللغة؛ لأنّ الكلام في القراءة المحدّدة؛ وهي أحد أوجه القراءة، لا أنّها هي النصّ القرآني نفسه؛ بمعنى أنّه لا تساوي بين قراءة النصّ القرآنيّ والنصّ القرآنيّ نفسه.

وقد جاء جولدتسيهر بأمثلة تطبيقية على كلامه في القراءات بلغت سبعة وأربعين مثالاً. فالصحيح هو الردّ على هذه الشبهات بالتفصيل؛ لكي لا يتمكّن هؤلاء من ادّعاء تحريف القرآن أو التشكيك بإعجازه؛ وذلك بسبب اختلاف القراءات، وفي حال أدّت إلى ذلك فنحن نرفع اليد عن القراءات الاجتهادية، لا عن سلامة النصّ القرآني وإعجازه، التي هي من الأمور المسلّمة بين المسلمين؛ لأنّه لم تثبت حجّيّة القراءات؛ كما يقول السيد الخوئي: «الحقّ عدم حجّيّة هذه القراءات، فلا يستدلّ بها على الحكم الشرعي. والدليل على ذلك أنّ كلّ واحد من هؤلاء القرّاء يحتمل فيه الغلط والاشتباه، ولم يرِد دليل من العقل، ولا من الشرع على وجوب اتّباع قارئ منهم بالخصوص، وقد استقلّ العقل، وحكم الشرع بالمنع عن اتّباع غير العلم. وإنْ قيل: إنّ القراءات -وإنْ لم تكن متواترة- إلا أنّها منقولة عن النبيّ ﷺ، فتشملها الأدلّة القطعية التي أثبتت حجّيّة الخبر الواحد.

١. أنّ القراءات لم يتّضح كونها رواية، لتشملها هذه الأدلّة، فلعلّها اجتهادات من القرّاء، ولعلّ السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها: أنّ الجهات التي وُجّهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل.

٢. أنّ رواة كلّ قراءة من هذه القراءات، لم تثبت وثاقتهم أجمع، فلا تشمل أدلّة حجّيّة خبر الثقة روايتهم.

٣. أنّا لو سلمنا أنّ القراءات كلّها تستند إلى الرواية، وأنّ جميع رواتها ثقات، غير أنّا نعلم علمًا إجماليًّا أنّ بعض هذه القراءات لم تصدر عن النبيّ ﷺ قطعًا، ومن الواضح أنّ مثل هذا العلم يُوجب التعارض بين تلك الروايات، وتكون كلّ واحدة منها مكذِّبة للأخرى، فتسقط جميعها عن الحجّيّة، فإنّ تخصيص بعضها بالاعتبار ترجيح بلا مرجِّح، فلا بدّ من الرجوع إلى مرجّحات باب المعارضة، وبدونه لا يجوز الاحتجاج على الحكم الشرعي بواحدة من تلك القراءات»[1].

[١]- الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص١٦٣-١٦٥.

الأفكار الرئيسة:

- استقراء حال الرواة يُورث القطع بأنّ القراءات نُقلت إلينا بأخبار الآحاد. فبعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته.

- التأمّل في الطرق التي أخذ عنها القرّاء، يدلّنا دلالة قطعية على أنّ هذه القراءات إنّما نُقلت إليهم بطريق الآحاد.

- اتّصال أسانيد القراءات بالقرّاء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد.

- احتجاج كلّ قارئ من هؤلاء على صحّة قراءته، واحتجاج تابعيه على ذلك أيضًا، ينافي تواتر القراءات.

- آراء جملة من علماء أهل السنّة تنفي التواتر عن القراءات السبع وغيرها.

- المنهج الذي اعتمده المستشرقون في دراستهم للقراءات هو المنهج الفيلولوجي.

- نجد اهتمام وإشادة واضحة بمصادر القدماء من المستشرقين، في الوقت الذي لم تتوفر الدراسة على المصادر الأصلية والأساسية لهذه الأبحاث؛ وهي المصادر العربية.

- استخدم هؤلاء مصطلحات خاصّة وغير مشهورة في كتب علماء المسلمين، بل خلطوا وبشكل متعمّد بين بعض المصطلحات التي لها مداليل مختلفة، وفسّروا بعض الكلمات في الآيات القرآنيّة بطريقة تتناسب مع خلفيّاتهم الفكرية والدينية.

- اعتمدوا المقارنة بين مصاحف الصحابة؛ وهذا في نفسه لا إشكال فيه، ولكنّهم اعتبروا أنّ هذه المصاحف نصوصًا مختلفة من القرآن الكريم.

- المنهج الأفضل لمعالجة شبهات جولتسيهر على القراءات هو المعالجة الجزئية لكلّ مورد.

- لم يتّضح كون القراءات رواية، لتشملها هذه الأدلّة، فلعلّها اجتهادات من القرّاء...

- رواة كلّ قراءة من هذه القراءات، لم تثبت وثاقتهم أجمع، فلا تشمل أدلّة حجّيّة خبر الثقة روايتهم.

- لو سلمنا أنّ القراءات كلّها تستند إلى الرواية، وأنّ جميع رواتها ثقات، غير أنّا نعلم علمًا إجماليًّا أنّ بعض هذه القراءات لم تصدر عن النبيّ ﷺ قطعًا؛ فتتعارض وتتساقط.

فكِّر وأَجِب:

١. ما هو رأي الإماميّة في رفض تواتر القراءات؟

٢. كيف عالج وناقش الإمامية شبهات المستشرقين في تواتر القراءات.

٣. ما هي الطريقة التي اعتمدها المستشرقون في بحثهم للقراءات؟ وما هي الإشكالات عليها؟

٤. ما هي الردود الصحيحة على شبهات المستشرقين في خلو المصاحف من التنقيط والإعجام وأثره على اختلاف القراءات والنصّ القرآنيّ؟

الدرس التاسع عشر

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (١)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على معنى الإعجاز وأركانه.

٢. يبيّن انطباق الأمر المعجز على القرآن.

٣. يطّلع على آراء أبرز المستشرقين في الإعجاز.

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لرسول الله ﷺ وقد تحدّى العرب بأن يأتوا ولو بسورة واحدة أو حديث مثله، والواقع التاريخي شاهد حيّ على عجز الجميع عن الإتيان بمثل آياته المباركة إلى يومنا هذا، لقوله تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ (الإسراء: ٨٨).

ومن المجالات التي اهتمّ بها المستشرقون في الدّراسات القرآنيّة اهتمامهم بالموضوعات اللّغوية والأسلوبية، ومن أهمها موضوعات: البلاغة، والإعجاز القرآني، ولغة القرآن الكريم، والأسلوب القرآني، وغريب القرآن وغير ذلك.

وقد أوردوا على القرآن مطاعن عدّة، حاولوا من خلالها التّشكيك في صحة القرآن الكريم وقدسيته وصدوره عن الله؛ ومنها: محاولة نفيهم إعجاز القرآن والتّشكيك في صحة أسلوبه وعظمة بيانه.

ومن جهة أخرى، يقوم بعض المستشرقين بتحليل الآيات القرآنيّة على أنّها أثر أدبي؛ مثل أيّ نصٍّ أدبي آخر، وهم يريدون من وراء ذلك إثبات بشرية القرآن الكريم، وأنّه من صنع النبيّ حتى، وإنْ اعترف بعضهم بأنّه نصّ لا يشبه النصوص العربيّة الأخرى.

أوّلًا: الإعجاز والتحدّي القرآنيّ

١. معنى الإعجاز وأركانه

المُعْجِز هو: الأمر الخارق للعادة، المطابق للدعوى، المقارن لها، المقرون بالتحدّي، مع العجز عن الإتيان بمثله[١].

---

[١]- لمزيد من التفصيل في التحديدات اللغوية والاصطلاحيّة للأمر المُعجِز؛ انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، م.س، ج٤، مادّة «عجز»، ص٢٣٢؛ الطريحي، مجمع البحرين، مادّة «عجز»، ج٤، ص٢٥؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١، ص٥٨-٨٧؛ الخوئي، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص٣٣-٣٤.

وبالتأمّل في هذا التعريف، نجده يحتوي على خمسة عناصر تشكّل أركان المعجزة؛ وهي:

- أمر خارق للعادة
- المطابقة لدعوى النبوّة والرسالة
- الاقتران زماناً مع دعوى النبوّة والرسالة
- الاقتران بالتحدّي
- العجز عن الإتيان بمثله

٢. القرآن مصداقٌ للأمر المُعجِز

إنّ إثبات إعجاز أمر ما يكمن في النظر فيه؛ لجهة اشتماله على عناصر المعجزة المتقدّمة. وعليه، فلا بدّ من النظر في القرآن الكريم لجهة اشتماله على هذه العناصر؛ حتى يتبينّ لنا أنّه أمر معجز. وبيان ذلك في الآتي:

أ. العنصر الأوّل: أمر خارق للعادة

إنّ المتأمّل في القرآن الكريم يجده خارقاً لما اعتاد عليه الناس من الكلام؛ على اختلاف خصائصه اللفظيّة والصوتيّة والأسلوبيّة والنظميّة والمعنائيّة...، وما ينطوي عليه من حقائق ومعارف شاملة وتامّة وكاملة، بحيث لم يعتد الناس احتوائها في كلام من دون أن يعتريه نقص أو خلل ما: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ (النحل: ٨٩)، ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً**﴾ (النساء: ٨٢).

ب. العنصر الثاني: المطابقة لدعوى النبوّة والرسالة

إنّ التاريخ -وكذلك الواقع- يشهد من دون أدنى شكّ ولا ريب على أنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله ينسجم تمام الانسجام مع ما صدح

بهﷺ من تعاليم، وما كشف عنه من حقائق، ودعا إليه من اعتقاد وعمل، وصدر عنه من تبشير وإنذار.

وقد تكلّم القرآن الكريم نفسه عن هذه المطابقة بقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ (النجم: ٣-٤)، ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾ (الحاقّة: ٤٠-٤٧).

ج. العنصر الثالث: الاقتران زماناً مع دعوى النبوّة والرسالة

إنّ التاريخ يشهد من دون أدنى شكّ ولا ريب أنّ الرسول الأكرمﷺ عندما أعلن عن رسالته الإلهيّة أفصح عن هذه الرسالة للناس وبيّن لهم نصّها ومضمونها؛ من خلال تلاوتها عليهم وتفسيرها لهم؛ بنحو مقارن لدعواه الرسالة.

وقد بيّن القرآن نفسه ذلك؛ حيث أمر النبيّﷺ منذ أوّل البعثة الشريفة بقراءة القرآن وتلاوته وتفسيره للناس: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ (العلق: ١)، ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل: ٤٤)، ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ (القيامة: ١٦-١٩). فلم يسبق نزول القرآن وإظهاره للناس على ظهور دعوى الرسالة فيهم: ﴿**قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ (يونس: ١٦)، ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ (العنكبوت: ٤٨)، وكذلك لم يتأخّر عنها: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**﴾ (الإسراء: ١٠٦).

د. العنصر الرابع: الاقتران بالتحدّي

حيث تحدّى القرآن بكلامه الإنس والجنّ، ومن بينهم العرب الذين بلغوا مبلغاً لم يذكره التاريخ لواحدة من الأمم المتقدّمة عليهم أو المتأخّرة عنهم، ووطئوا موطئاً

لم تطأه أقدام غيرهم؛ في كمال البيان، وجزالة النظم، ووفاء اللفظ، ورعاية المقام، وسهولة المنطق[١]. وقد ورد هذا التحدّي في القرآن ضمن خمس آيات؛ هي بحسب ترتيب نزولها وفق الترتيب الآتي:

- ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ (الإسراء: ٨٨).

- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (يونس: ٣٨).

- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ (هود: ١٣).

- ﴿**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ (الطور: ٣٣-٣٤).

- ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤).

وبالتأمّل في هذه الآيات، نلاحظ بعض الخصوصيّات المتعلّقة بهذا التحدّي[٢]؛ وهي:

- الآيات الأربعة الأولى آيات مكيّة، والآية الأخيرة آية مدنيّة.

- تدلّ آيات التحدّي جميعها على أنّ القرآن آية معجزة خارقة من عند الله تعالى.

- التحدّي في الآيات عامّ لكلّ ما يتضمّنه القرآن الكريم من معارف حقيقيّة، وحجج وبراهين ساطعة، ومواعظ حسنة، وأخلاق كريمة، وشرائع إلهيّة، وإخبارات غيبيّة، وفصاحة وبلاغة...

---

[١]- انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١، ص٦٨.

[٢]- انظر: م.ن، ج١، ص٥٩، ٦٨؛ ج١٠، ص١٦٢؛ ج١٠، ص١٦٧-١٧٠.

- آيات التحدّي مختلفة في العموم والخصوص، ومن أعمّها تحدّيًا الآية الأولى.

- إنّ كلّ واحدة من الآيات تؤمّ غرضًا خاصًّا من التحدّي يرجع إلى معانيه السامية ومقاصده العالية، حيث إنّ الآية الأولى واردة مورد التحدّي بجميع القرآن؛ لما جمع فيه من الأغراض الإلهية، ويختصّ بأنّه جامع لعامّة ما يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة. والآية الثانية واردة مورد التحدّي بسورة من القرآن؛ لما فيها من بيان غرض تامّ جامع من أغراض الهدى الإلهي؛ بيانًا فصلاً من غير هزل. والآية الثالثة هي تحدٍّ بعشر من السور القرآنيّة؛ لما في ذلك من التفنّن في البيان والتنوّع في الأغراض من جهة الكثرة، ليظهر به أنّ تنوّع الأغراض القرآنية في بيانه المعجز ليس إلّا من قبل الله. والآية الرابعة هي تحدٍّ بما يعمّ التحدّيات الثلاثة السابقة؛ فإنّ الحديث يعمّ السورة والعشر سور والقرآن كلّه؛ فهو تحدٍّ بمطلق الخاصّة القرآنية. والآية الخامسة وردت مورد تأييد التحدّي والتسليم لحقيقة أنّ القرآن كتاب منزل من عند الله لا ريب فيه، إعجازاً باقياً بمرّ الدهور وتوالي القرون.

- إنّ نوع العناية بالتحدّي في الآية الثالثة غير نوع العناية بالتحدّي في الآيات الأخرى؛ ففي هذه الآيات تتعلّق العناية بالتحدّي بعدم قدرتهم على الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه؛ لما أنّه قرآن مشتمل على جهات لا تتعلّق بها قدرة الإنسان ولا يظهر عليها غيره تعالى وقد أطلق القول فيها إطلاقاً. بينما في الآية الثالثة وبملاحظة تعقيبها بقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ...**﴾؛ فإنّ نوع العناية بالتحدّي، إنّما هو بكون القرآن متضمّناً لما يختصّ علمه بالله تعالى ولا سبيل لغيره إليه. وهذا أمر لا يقبل الافتراء بذاته؛ فكأنّه قيل: إنّ هذا القرآن لا يقبل بذاته افتراء؛ فإنّه متضمّن لأمور من العلم الإلهي الذي لا سبيل لغيره تعالى إليه، وإن ارتبتم في ذلك فأتوا بعشر سور مثله مفتريات تدعون أنّها افتراء، واستعينوا بمن استطعتم من دون الله، فإن لم تقدروا عليه؛ فاعلموا أنّه من العلم المخصوص به تعالى.

- جاء التحدّي في هذه الآيات بالإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة أو عشر سور أو حديث منه، ومعنى التحدّي بالمثل أنّ الكلام لمّا كان آية معجزة، فلو أتى إنسان بما

يماثله؛ لكفى في إبطال كونه آية معجزة، ولم يحتج إلى الإتيان بما يترجّح عليه في صفاته، ويفضّل عليه في خواصّه.

هـ. العنصر الخامس: العجز عن الإتيان بمثله

طالت مدّة تحدّي القرآن للإنس والجنّ على الإتيان بمثله؛ حتى مع نزول مستوى التحدّي إلى الإتيان بمثل حديث منه، وتمادى زمان الاستنهاض؛ فلم يجيبوه إلا بالتجافي، ولم يزدهم إلا العجز، ولم يكن منهم إلا الاستخفاء والفرار: ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ (هود: ٥).

وقد سجّل التاريخ بعض المحاولات لمعارضة القرآن، حيث كانت مدعاة للعبرة والدهشة، ولم ينتج عنها سوى الخسران والخزي، وفي ما يأتي أمثلة من تلك المعارضات[١]:

- عارض مسيلمة الكذّاب سورة الفيل بقوله: «الفيل، ما الفيل، وما أدراك ما الفيل، له ذنب وبيل وخرطوم طويل»!!!.

- ادّعى أحد الكتّاب المسيحيّين المعاصرين معارضة القرآن محاولاً معارضة سورة الحمد من خلال اقتباس جملاً من السورة نفسها وتحوير بعض ألفاظها، وجاء بكلام يقول فيه: «الحمد للرحمن، ربّ الأكوان، الملك الديّان، لك العبادة وبك المستعان، اهدنا صراط الإيمان»!!!. وقال في معارضته سورة الكوثر: «إنّا أعطيناك الجواهر، فصل لربك وجاهر، ولا تعتمد قول ساحر»!!!. حاول هذا الشخص نفسه من خلال تقليده التامّ لنظم الآيات القرآنية وصياغتها وتبديل بعض كلماتها، الإيحاء للناس بأنّه قد عارض القرآن. وقبله فعل مسيلمة الكذاب -أيضًا- في معارضة سورة الكوثر بقوله: «إنّا أعطيناك الجماهر، فصلّ لربّك وهاجر، وإنّ مبغضك رجل كافر»!!!.

---

[١]- انظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١، ص٦٨؛ الخوئي، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص٩٤، ٩٧-٩٨.

ثانيًا: آراء بعض المستشرقين في الإعجاز القرآن

تعامل المستشرقون مع القرآن الكريم بوصفه نصًّا أدبيًا خاضعًا لخصائص الأدب البشري، نازعين عنه سمة القدسية الدينيّة، فإنّ «هذا -في الواقع- انعكاس لطبيعة تعامل المستشرقين مع كتبهم الدينيّة؛ حيث يدرسونها كما يدرسون الآثار الأدبية القديمة والأساطير والملاحم الخرافية. وهذه الظاهرة تكاد تكون عامّة في كتب «تاريخ الأدب»؛ حيث تعرّضوا للقرآن باعتباره يمثّل مرحلة من مراحل الأدب العربي، وقوّموه بالمقاييس الأدبية الأوروبيّة تارة، وبالعربيّة تارة أخرى»[١].

١. رأي هامتلون جيب في الإعجاز

يقول هاملتون جيب؛ وهو يتحدّث عن القرآن الكريم: «وليس غريبًا أن لا يجد المسلم في أي كتابٍ مقدّسٍ آخر شيئًا من هذه الصفة الشعرية الشعورية، وهذه القوة على تأييد ملكة الروح الحدسية وتقويتها، والطفرة الصاعدة للعقل والروح كي يقفا من خلال تجربةٍ محسوسةٍ على الواقع الكامن وراء الظواهر الزائلة في عالم المادّة، غير أنّ هذا ليس هو كلّ شيءٍ هنالك؛ إذ تقف شخصية محمّد نفسه مرتبطةً ارتباطًا لا انفصام له بالقرآن بروابط من المشاعر الحارة التي يسبغها الحب الإنساني، مكمّلةً للقدرة العقلية في تعاليمه وللجوانب الشعورية في لُغته»[٢].

و«جيب» هنا ينظر للقرآن:

- على أنّه من تأليف النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

- أنّه يفهم هذا التميّز والإعجاز في لغة القرآن الكريم، على أنّه شعرية وحالة شعورية طاغية ناتجة عن تلاحم محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مع النصّ الذي يرى «جيب»، أنّه قد ألّفه بقدراته العقلية والنفسية الفذّة. وقد تقدّم الردّ على هذا الكلام في مبحث الوحي.

---

[١]- مقبول، الدراسات الاستشراقيّة للقران الكريم في رؤية إسلاميَّة، ص٢٢-٢٣.

[٢]- جيب، في النُّظم الفلسفة والدين في الإسلام، ص٧٥.

٢. رأي دافيد صموئيل مرجليوث في الإعجاز

ركّز مرجليوث شبهاته على إثارة الشكّ برواية الشعر العربي الجاهلي، فلعلّ في الشعر الجاهلي الذي لم يُروَ ما هو أبلغ من القرآن؛ وذلك لمنزلة الشعر الجاهلي باعتباره أمارة وعلامة على بلاغة القرآن وفصاحته، وهذا القول يطوي تحته تشكيكًا في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم.

٣. رأي جولتسيهر في الإعجاز

من الدراسات الاستشراقيّة للإعجاز، نذكر ما قام به «جولدتسيهر» ممّا يتصل بمباحث الإعجاز؛ حيث يزعم:

- مشابهة القرآن لكلام الكهنة.
- ضعف بلاغة المدني من القرآن.
- إنكار كلّ معجزات الرسول - طبعًا ومن ضمنها الإعجاز القرآنيّ[١].

وقد اعتمد «جولدتسيهر» وغيره من المستشرقين في دراساتهم، بل افتراءاتهم، على الأسلوب القرآني وإعجازه، المنهج الفِيلُولُوجِي.

وركّز «جولدتسيهر» أيضًا على مذهب «الصّرفة» لينفي إعجاز القرآن، ونسب إلى الشيعة القول بتفكيك السياقات القرآنيّة؛ ما يضرّ بالتالي بالنظم القرآني.

ولكي يؤكّد فكرته؛ أي نفي الإعجاز، نسب فكرة تفكيك السياق إلى الشيعة، فقال: «وفي العهد المبكر للانشقاق الشيعي حصل فعلًا الاستدلال على الطعن في القرآن الرسمي؛ للإشارة إلى تفكّك السياق من جهة المعنى في الآيات المتفرقة المتتالية بعضها مع بعض؛ ممّا يمكن أن يكون سببه حذف الآيات الرابطة للسياق»[٢].

---

[١]- انظر: عتر، بيّنات المعجزة الخالدة، ص٣٩٠-٤٠٠.

[٢]- جولدتسهر، مذاهب التفسير الإسلاميّ، م.س، ص٢٩٥.

وزعم أيضًا أنّه: «لا ريب أنّهم -أي الشيعة- قد هدفوا إلى إقامة البرهان على مدى التهاون والسطحية التي اتبعت في كتابة المصحف العثماني؛ لأنّ لهذه الكتابة يرجع ذلك الطابع المتقطّع غير متّصل السياق، والملاحظ في مواضع كثيرة من نصّ القرآن في زعمهم- حيث ترتّب على ذلك في رأيهم- تشويه لا علاج له في الجمال المعجز لنظم الكتاب الكريم، الذي يجب أن يعترف به كلّ مسلم... ففي نفس الآية الواحدة يسود انقطاع في صلة السياق، وأنّ الترتيب الطبيعي إنّما يعاد أولاً إذا بحثنا عن تمام نصف الآية في مكان بعيد عنها، وضممنا ما يتّصل بعضه ببعض من الأجزاء بعيدة التشعيب. وهذا تشكّك ناقد، قد يلح أحيانًا مثله على النظر العلمي أيضًا، وإنْ لم يكن إلى هذا الحدّ الذي لا يستسيغه العقل»[١].

هذا الكلام الذي ادعاه «جولدتسيهر»؛ وبالأخصّ ما نسبه إلى الشيعة من تحريف للقرآن، وتفكيك في سياقاته الذي يؤدّي بالتالي إلى خلل في ترتيب النظم؛ وهو أحد أهم أوجه الإعجاز القرآني. وهذا الكلام لا يتوافق مع الرأي العام والصحيح عند علماء الإمامية؛ كما أكّدنا أكثر من مرّة سابقًا.

[١]- جولدتسهر، مذاهب التفسير الإسلاميّ، م.س، ص٣١٠.

الأفكار الرئيسة:

- الأمر المُعْجِز هو الأمر الخارق للعادة، المطابق للدعوى، المقارن لها، المقرون بالتحدّي، مع العجز عن الإتيان بمثله.

- القرآن الكريم مصداق للأمر المعجز.

- تحدّي القرآن عام للإنس والجنّ؛ وهو مؤبَّد.

- التاريخ والواقع شاهدان على إعجاز القرآن الكريم.

- معجزة القرآن شاملة لجميع جوانب الكلام الأدبيّة واللغويّة والمضمونيّة وما ينضوي عليه كلام من معارف، وما يتّكىء عليه من حقائق.

- تعامل المستشرقون مع القرآن الكريم بوصفه نصًّا أدبيًا خاضعًا لخصائص الأدب البشري، نازعين عنه سمة القدسية الدينيّة.

- من أبرز المستشرقين الذين بحثوا في الإعجاز: هامتلون جيب، ودافيد صموئيل مرجليوث، وأجنتس جولتسيهر.

فكِّر وأَجِب:

١. ما هو المراد من المعجزة؟

٢. إشرح ما هي أركان المعجزة؟ وكيف تنطبق على القرآن الكريم؟

٣. بيّن خلفيّة اهتمام المستشرقين ببحث الإعجاز.

٤. أذكر أبرز آراء المستشرقين في الإعجاز.

الدرس العشرون

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (٢)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يعدّد الشّبهات التي تدّعي النّقص والخطأ في الأسلوب والمحتوى القرآنيّ.

٢. يشرح الشّبهات التي تنفي الإعجاز في القرآن، وأنّ البشر غير قادرين على الإتيان بمثله.

٣. يناقش ويرد الشّبهات التي تدّعي النّقص والخطأ في الأسلوب والمحتوى القرآنيّ .

٤. يناقش ويرد الشّبهات التي تنفي الإعجاز في القرآن، وأنّ البشر غير قادرين على الإتيان بمثله.

الشّبهات العامّة للمستشرقين على إعجاز القرآن

إنّ الموقف الذي ساد في البيئة الاستشراقيّة هو عدم الإقرار بإعجاز القرآن الكريم، ومن نماذج ذلك ما ورد في دائرة المعارف البريطانية (**Encyclopedia Britannica**) ضمن مادّة القرآن: «القول بإعجاز لغة القرآن جمالاً وصفاءً ممّا يعجز عن محاكاته الأنس والجنّ حتى فصحاء العرب وبلغاؤهم أمر غير مقبول»[١].

ويمكن تقسيم هذه الشبهات العامّة إلى قسمين:

الأوّل: الشّبهات التي تدّعي النّقص والخطأ في الأسلوب والمحتوى القرآنيّ.

الثاني: الشّبهات التي تنفي الإعجاز في القرآن، وأنّ البشر غير قادرين على الإتيان بمثله.

أوّلًا: القسم الأوّل من الشبهات حول إعجاز القرآن

١. الشبهة الأولى

إنّ الإعجاز القرآني يرتكز بصورة رئيسة على الفصاحة والبلاغة القرآنيّة، ونحن نعرف أنّ العرب قد وضعوا قواعد وأسسًا للفصاحة، والبلاغة، والبيان تعتبر هي المقياس الرئيس في تمييز الكلام البليغ من غيره. وبالرغم من ذلك نجد في القرآن الكريم، بعض الآيات لا تنسجم مع هذه القواعد، بل تخالفها؛ الأمر الذي يدعونا إلى القول إنّ القرآن الكريم ليس معجزًا؛ لأنّه لم يَسِر على نهج القواعد العربيّة وأصولها. وتسرد الشبهة بعض الأمثلة لذلك.

---

[١]- الوزّان، موقف المستشرقين من القرآن الكريم دراسة في بعض دوائر المعارف الغربيّة، م.س، ص٢٣.

ويمكن أن تناقش هذه الشبهة بأسلوبين رئيسين؛ هما:

أ. الأوّل: ملاحقة الأمثلة والتفصيلات التي تسردها الشبهة وبيان انطباقها مع القواعد العربيّة المختلفة وانسجامها معها. وملاحظة شتى القراءات القرآنيّة التي يتفق الكثير منها مع هذه القواعد، بالشكل الذي لا يُبقي مجالاً لورود الشبهة عليها. وسيأتي مناقشة بعض الأمثلة التي ذكروها في هذا المجال.

ب. الثاني: مناقشة أصل الفكرة؛ وذلك بملاحظة أمرين:

- أنّ تأسيس قواعد اللغة العربيّة كان في وقت متأخّر على نزول القرآن الكريم وفي العصور الأولى للدول الإسلاميّة، بعد أن ظهرت الحاجة إليها؛ بسبب التوسّع الإسلاميّ الذي أدّى إلى اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب. ولا شكّ أنّ القرآن الكريم كان أهمّ تلك المصادر التي اعتمد عليها واضعو هذه القواعد في صياغتها وتأسيسها؛ لأنّه أوثق المصادر العربيّة والكلام البليغ الذي بلغ القمّة. وعلى هذا الأساس التاريخي لوجود قواعد اللغة العربيّة يجب أن يكون الموقف تجاهها أنْ نجعل القرآن هو القياس الذي يتحكّم في صحّتها وخطئها، لا أن نجعل القواعد مقياسًا نحكم به على القرآن.

- ثمّ إذا لاحظنا موقف العرب المعاصرين للقرآن الكريم -وهم ذوو الخبرة والمعرفة الفائقة باللغة العربيّة- وجدناهم قد أذعنوا واستسلموا للبلاغة القرآنيّة وتأثروا بها؛ وذلك إيمانًا منهم بأنّه يسير على أدقّ القواعد والأساليب العربيّة في البيان والتعبير، ولو كان في القرآن الكريم ما يتنافى مع قواعد اللغة العربيّة وأصولها لكان من الجدير بهؤلاء الأعداء أن يتخذوا ذلك وسيلة لنقد القرآن ومنفذًا للطعن به.

٢. الشبهة الثانية

اهتم المستشرقون بقصص الأنبياء في القرآن الكريم، وعقدوا مقارنات لكثير من هذه القصص بما يقابلها في أسفار العهد القديم والعهد الجديد. كما اهتمّوا أيضًا بالموضوعات المرتبطة باليهوديّة والنصرانية، وبالتصوّر القرآني للديانتين، وبالنقد القرآني لهما[١]. ومن الشبهات التي طرحوها في هذا لمجال؛ هي: أنّ القرآن قد تحدّث عن قصص الأنبياء؛ كما تحدّثت الكتب الدينيّة الأخرى؛ كالتوراة والإنجيل عنها، وعند المقارنة بين ما ذكره القرآن وما ورد في التوراة والإنجيل نجد القرآن يخالف تلك الكتب في حوادث كثيرة ينسبها إلى الأنبياء وأممهم؛ الأمر الذي يجعلنا نشكّ في أن يكون مصدر القرآن الوحي الإلهي.

وهذه الشبهة لا يمكن أن تصمد أمام المناقشة؛ إذا عرفنا أنّ هذه الكتب الدينيّة قد تعرّضت للتحريف والتزوير؛ مضافًا إلى أنّ ملاحظة محتوى الخلاف بين القرآن الكريم والكتب الدينيّة الأخرى يدعونا بنفسه للإيمان بصدق القرآن الكريم، حين نجد التوراة والإنجيل يذكران في قصص هؤلاء الأنبياء مجموعة من الخرافات والأوهام يتجاوزها القرآن الكريم، وينسبان إلى الأنبياء أعمالاً ومواقف لا تصحّ نسبتها إليهم ولا تليق برسل الله والقوّامون على شريعته ودينه، بل لا تليق بمصلحين عاديّين من عامّة البشر؛ كما يتبيّن ذلك بوضوح عند المقارنة بين القرآن والكتب الدينيّة الأخرى[٢].

٣. الشبهة الثالثة

إنّ أسلوب القرآن في تناوله الأفكار والمفاهيم وعرضها لا ينسجم مع أساليب

---

[١]- حسن، دراسات القرآن الكريم عند المستشرقين على ضوء علم نقد الكتاب المقدّس، م.س، ص٣.

[٢]- للاطّلاع التفصيليّ على هذه المقارنة، انظر: البلاغي، الهدى إلى دين المصطفى، ج٢.

البلاغة العربيّة، ولا يسير على الطريقة العلميّة في المنهج والعرض؛ وذلك لأنّه يجعل المواضيع المتعددة متشابكة بعضها مع بعض، فبينما يتحدث القرآن في التاريخ ينتقل إلى موضوع آخر من الوعد والوعيد والحكم والأمثال والأحكام وغير ذلك من الجهات، فلا يجعل القارئ قادرًا على الإلمام بالأفكار القرآنية، مع أنّ الموضوعات القرآنيّة لو كانت معروضة على شكل فصول وموضوعات مستقلّة لكانت الفائدة المترتبة عليه أعظم والاستفادة منه أسهل، وكان العرض منسجمًا مع الأسلوب العلمي المنهجي الصحيح.

وتناقش هذه الشبهة بالآتي:

- **الأولى:** أنّ القرآن الكريم ليس كتابًا علميًّا ولا كتابًا مدرسيًّا؛ فهو ليس كتاب فقه أو تاريخ أو أخلاق؛ وإنّما هو كتاب هداية وتربية، وهدفه الأساس هو إحداث التغيير الاجتماعي. والأسلوب القرآني خضع لهذا الهدف في طريقة العرض وفي التدرّج، في النزول وفي غير ذلك من الظواهر القرآنيّة؛ كوجود الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.

- **الثانية:** أنّ هذه الطريقة في العرض يمكن أن تعتبر إحدى الميزات التي يتجلّى فيها الإعجاز القرآني بصورة أوضح؛ فإنّه بالرغم من هذا التّشابك في الموضوعات تمكّن القرآن الكريم من الاحتفاظ بجمال الأسلوب وقوّة التأثير وحسن الوقع على الأسماع والنفوس؛ الأمر الذي يدلّل على براعة متناهية وقدرة عظيمة على عرض الموضوعات وطرح الأفكار.

٤. الشّبهة الرابعة

لا شكّ أنّ ذوي القدرة والمعرفة باللغة العربيّة يتمكّنون من الإتيان بمثل بعض

الكلمات القرآنية، وحين تتوفر هذه القدرة في بعض الكلمات فمن المعقول أن تتوفر أيضًا في كلمات أخرى. وهذا ينتهي بنا إلى أن نجزم بوجود القدرة على الإتيان بسورة أو أكثر من القرآن الكريم لدى أمثال هؤلاء؛ لأنّ من يقدر على بعض القرآن يمكن أن نتصور فيه القدرة على الباقي بشكل معقول.

والمناقشة في هذه الشبهة واضحة؛ لأنّ الإعجاز القرآني يتمثّل في جانبين رئيسين؛ هما: جانب الأسلوب والتركيب البياني، وجانب المضمون والمحتوى والأفكار. وفي كلّ من الجانبين لا مجال لهذا الوهم والخيال.

أمّا في جانب المضمون، فمن الواضح أنّ القدرة على إعطاء فكرة أو فكرتين لا يعني القدرة على إعطاء هذا المقدار الكبير المنسجم من الأفكار والمفاهيم وفي الظروف الموضوعية والذاتية نفسها التي جاء فيها القرآن الكريم. والتحدّي الذي شرحناه سابقًا كان ضمن الظروف الخاصّة التي عاشها النبيّ محمّدﷺ وجاء فيها القرآن الكريم.

وأمّا في جانب الأسلوب؛ فإنّ القدرة على جملة أو مقدار من الكلمات لا يعني القدرة على تمام التركيب بعناصره المتعددة التي لا يمكن أن توجد أو تتوفر إلا ضمن التركيب بكامله. وقد استند بعض المستشرقين لفكرة الصرفة بأنّه يمكن الإتيان بمثل القرآن وسيأتي الكلام عنها.

٥. الشبهة الخامسة

القرآن ليس معجزة، وإنْ كان يعجز جميع البشر عن الإتيان بمثله؛ فالمعجزة يجب أن تكون صالحة لأنْ يتعرّف جميع الناس على جوانب التحدّي فيها؛ كونها دليل النبوّة التي يُراد بواسطتها إثبات النبوّة لهم. والكلام البليغ لا يكفي في إعجازه عجز

الناس عن الإتيان بمثله، لأنّ معرفة جوانب التحدي والإعجاز فيه، من بلاغته وسمو التعبير فيه لا تتوفر إلا للخاصة منهم الذين يمارسون الكلام العربي ويعرفون دقائق تركيبه وميزاته.

ويمكن أن تناقش هذه الشبهة بالآتي:

- الشبهة تتضمن اعترافًا بالإعجاز، ولكنّها تناقش في دائرته وقدرة الناس على فهم هذا الإعجاز واستيعابه.

- الإيمان بالمعجزة لا يتوقّف على التجربة الشخصية ولكلّ فرد فرد، وإنّما يمكن أن يتحقق ذلك عن طريق معرفة ذوي الاختصاص والخبرة من الناس، الشيء الذي يجعلنا نصدّق بالمعجزة، وهذا هو السبيل الوحيد لإيماننا بكثير من حقائق الكون وخصائص عالم الطبيعة.

- إنّ فكرة الإعجاز في القرآن الكريم من الممكن أن تُشرَح وتُوضَّح على نطاق واسع، وليس ذلك ممّا يتعسّر فهمها، فيفهمها الناس على حدّ سواء؛ العربي منهم وغير العربي، وذوو الاختصاص وغيرهم؛ لأنّ إعجاز القرآن لا يختصّ بالجانب البلاغي من أسلوبه، بل هو المعجزة الخالدة التي لا تفنى، والتي لا تختصّ بأمّة دون أخرى. وهناك جوانب كثيرة للإعجاز القرآني.

ثانيًا: القسم الثاني من الشبهات حول إعجاز القرآن

١. شبهة نفي الإعجاز عن القرآن

ذهب تيودور نولدكه فيما يتعلّق بالإعجاز القرآني مذهبًا يفرغ المعجزة من محتواها، بل ويفسّرها بما لا يمكن أن ينسجم مع المفهوم الذي يراد من المعجزة، إذ يفسّرها بما يستحيل صدوره عقلاً؛ وفي ذلك يقول: «إذا تفحّصنا تحدّي محمّد

عن كثب، اكتشفنا أنّه لم يتحدّ خصومه أن يأتوا بما يضاهي القرآن من ناحية شعرية أو خطابية (بلاغية)، بل بما يضاهيه من حيث الجوهر (العقائد). وهذا ما لم يكن في وسع أعدائه بطبيعة الحال. فكيف كان لهم أن يدافعوا عن الإيمان القديم بالآلهة، وكانوا على اقتناع شديد به، بالطريقة نفسها التي دافع فيها ذاك عن وحدة الله وما يتعلّق بها من عقائد؟»[1].

ما ذكره نولدكه يرجع إلى المحال العقلي الذي تكون استحالته ذاتيّة! وأمّا المعجزة فلا تتعلّق بالمحال الذاتي، بل هي تتعلّق بما هو من المحال العلمي؛ كتخلّف المعلول عن علّته المعتادة، أو من المحال العرفي؛ كشفاء المرضى بإمرار اليد على موضع المرض. فإتيان المشركين بما هو توحيدي مع بقائهم على الشرك هو من الإتيان بالمتنافيين ذاتًا؛ وهذا خارج عن المعجزة.

٢. شبهة نفي العجز عن الإتيان بمثل القرآن

حاول نولدكه إثبات بعض المحاولات الناجحة -بزعمه- في معارضة القرآن والإتيان بمثله، فقال: «لم يتلاشَ تحدّي محمّد من دون صدى، ففي أثناء حياته وبعد فترة قليلة من وفاته ظهر في أماكن مختلفة من شبه الجزيرة العربية رجال ادّعوا أنّهم أنبياء قومهم، وأنّهم يتلقّون الوحي من الله. هؤلاء هم لقيط بن مالك العماني، وذو الخمار عبهلة بن كعب الأسود اليمني، وطليحة الأسدي، ومسيلمة التميمي، وأخيراً النبيّة سجاح. وقد اطلقوا آيات لم تصلنا منها إلا أقوال مسيلمة، وهي مع أنّها لا تتعدّى كونها شذرات فقط، تطلعنا على الأفكار الدينية التي نشرها هذا الرجل. ولكونه دينًا وعى قوّته وأراد أن يجذب إليه العالم كلّه؛ لأنّه الدين الحقّ الأفضل، أعلن الإسلام الفتي الذي كان يجاهد من أجل بقائه أنّ كلّ هذه الحركات خداع

---

[1]- نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ج١، ص٥٠-٥١.

الشيطان وعمله»[١].

وتعقيبًا على هذا الكلام، يمكن القول: إنّ هذا العدد الكبير من أدعياء النبوّة، من الذين لم يدّعوها إلا بعد أن شاهدوا ما وصل إليه النبي من سطوة، وما حقّقه من انتصارات على أعدائه حتى أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجًا؛ فنظروا إلى الأمر من زاويتهم الماديّة البحتة، ورأوا في انتصار النبي غلبة له على خصومه، ومن هنا أطلق أبو سفيان كلمته المشهورة حين قال للعباس عمّ النبي يوم فتح مكّة: «لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا»[٢].

فالمسألة عنده وعند أمثاله مجرّد ملك وزعامة دنيويّة، ولذلك كثر أدعياء النبوّة عندما فتح الله عليه، وتصوّروا أنّ بإمكانهم بلوغ ما بلغه النبي بمجرّد ادّعاء النبوّة والتظاهر بنزول الوحي عليهم، وإلا أين كانوا حينما كان المسلمون مستضعفين، يتخطّفهم الناس من كلّ جانب، وذاقوا ما ذاقوا من العذاب والعنت والحصار والمقاطعات؟!

نعم إنّ الأمر كما يقول نولدكه، فقد حاول هؤلاء الحمقى، كما حاول غيرهم قديمًا وحديثًا الإتيان بكلام يعارض فيه القرآن بزعمه، فأخفق في ذلك من ناحيتين؛ هما:

- أنّه أثبت عدم فهمه لمعنى المعارضة

- أنّه جاء بكلمات متهافتة مضحكة؛ كمحاولات مسيلمة الكذّاب وغيره!

---

[١]- نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ص٥١.

[٢]- المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٣، ص٢٠٨.

الأفكار الرئيسة:

- الموقف الذي ساد في البيئة الاستشراقيّة هو عدم الإقرار بإعجاز القرآن الكريم.

- يمكن تقسيم شبهات المستشرقين على إعجاز القرآن إلى قسمين:

• الشّبهات التي تدّعي النقص والخطأ في الأسلوب والمحتوى القرآنيّ.

• الشّبهات التي تنفي الإعجاز في القرآن، وأنّ البشر غير قادرين على الإتيان بمثله.

- من شبهات القسم الأوّل:

• الشبهة الأولى: عدم انسجام بعض الآيات مع قواعد اللغة والفصاحة والبلاغة! ويردّها: ملاحقة الأمثلة والتفصيلات التي تسردها الشبهة وبيان انطباقها مع القواعد العربيّة المختلفة وانسجامها معها. ومناقشة أصل الفكرة بأنّ تأسيس قواعد اللغة العربيّة كان في وقت متأخّر على نزول القرآن الكريم...

• الشبهة الثانية: مخالفة القرآن الكتب السماوية الأخرى في حوادث كثيرة ينسبها إلى الأنبياء وأممهم. ويردّها: هذه الشبهة لا يمكن أن تصمد أمام المناقشة؛ إذا عرفنا أنّ هذه الكتب الدينيّة قد تعرّضت للتحريف والتزوير...

• الشبهة الثالثة: أسلوب القرآن في تناوله الأفكار والمفاهيم وعرضها لا ينسجم مع أساليب البلاغة العربيّة، ولا يسير على الطريقة العلميّة في المنهج والعرض. ويردّها: أنّ القرآن الكريم ليس كتابًا علميًّا ولا كتابًا مدرسيًّا. وأنّ هذه الطريقة في العرض يمكن أن تعتبر إحدى الميزات التي يتجلّى فيها الإعجاز القرآني بصورة أوضح.

• الشّبهة الرابعة: إمكانيّة معارضة القرآن والإتيان بمثل بعضه على مستوى اللغة والأسلوب. ويردّها: الإعجاز القرآني يتمثّل في جانبين رئيسين؛ هما: جانب الأسلوب

والتركيب البياني، وجانب المضمون والمحتوى والأفكار. وفي كلّ من الجانبين لا مجال لهذا الوهم والخيال.

• الشبهة الخامسة: القرآن ليس معجزة، وإنْ كان يعجز جميع البشر عن الإتيان بمثله... ويردّها: الشبهة تتضمن اعترافًا بالإعجاز، ولكنّها تناقش في دائرته وقدرة الناس على فهم هذا الإعجاز واستيعابه...

- من شبهات القسم الثاني: شبهة نفي الإعجاز عن القرآن، وشبهة نفي العجز عن الإتيان بمثل القرآن.

فكِّروأَجِب:

١. تكلّم عن شبهة «عدم انسجام بعض الآيات مع قواعد اللغة والفصاحة والبلاغة!»، مع تفنيدها.

٢. ادّعى المسشرقون «أنّ أسلوب القرآن في تناوله الأفكار والمفاهيم وعرضها لا ينسجم مع أساليب البلاغة العربيّة، ولا يسير على الطريقة العلميّة في المنهج والعرض»؛ بيِّن هذه الدعوى مع تفنيدها.

٣. بيّن شبهة «نفي الإعجاز عن القرآن» مع تفنيدهما.

٤. إشرح وناقش شبهة «نفي العجز عن الإتيان بمثله».

الدرس الواحد والعشرون

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (٣)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يطّلع على خلفية اهتمام المستشرقين بالدراسات اللغويّة للقرآن الكريم.

٢. يفهم أبرز الشبهات النحويّة المثارة من المستشرقين على مواضع من القرآن لنفي إعجازه.

٣. يناقش ويفنِّد هذه الشبهات ويبطلها.

ادّعاء نفي الإعجاز لوقوع أخطاء لغويّة في القرآن (١)

أوّلًا: اهتمام المستشرقين بالدراسات اللغوية للقرآن

زعم جملة من المستشرقين وجود مجموعة من الأخطاء اللغوية في القرآن الكريم، بل بعضهم اعتبر أنّ هناك أخطاء نحويّة كثيرة في القرآن الكريم، فقالوا: إنّ الإعجاز القرآني يرتكز بصورة رئيسة على فصاحته وبلاغته أي (لغته). ولقد وضع العرب قبل الإسلام -حسب ادّعاء هؤلاء- قواعد وأسسًا للفصاحة والبلاغة والنطق، تعتبر هي المقياس الرئيس في تمييز الكلام البليغ من غيره. وعلى هذه القواعد والأسس يجب أن تقاس النصوص.

والحال مع المسلمين مختلف تمامًا؛ لأنّهم قلبوا القاعدة حين جعلوا القرآن هو القياس الذي يتحكّم في صحّة قواعد اللغة أو خطئها، فكان يجب على المسلمين أن يجعلوا من هذه القواعد مقياسًا يحكموا به على القرآن، وليس العكس؛ كما هو حاصل. وبالرغم من ذلك نجد في القرآن بعض الآيات التي لا تنسجم مع هذه القواعد، بل تخالفها؛ الأمر الذي يدعونا إلى القول إنّ القرآن ليس معجزًا؛ لأنّه لم يسِر على نهج القواعد العربيّة وأصولها!

وزعمَ هؤلاء بوجود أخطاء لغويّة، يصدر عن موقف عام للمستشرقين حيال القرآن الكريم، وهو إنكار المصدر الإلهي للقرآن الكريم، ونفي إعجازه. ومع إجماعهم على هذا الرأي، فقد انقسموا إلى فريقين:

- **الأوّل:** أنّ القرآن قد نُقل من مصادر أخرى، وألّفه النبيّ محمّد وادّعى أنّه موحى به من الله تعالى، ويمثّل هذا الفريق جملة من المستشرقين منهم: سبنجر، ونولدكه، ومرجليوث، وجولدتسيهر، وبرجستراسر، وغيرهم. ويرى هؤلاء أنّ سبب الأخطاء اللغوية في القرآن هو علاقة اللغة العربيّة باللغات الشرقيّة القديمة.

- **الثاني:** يرى أنّ القرآن الكريم إنّما هو نتاج جمعي تطوّر على امتداد القرنين الأوّل والثاني الهجريّين، واشترك في وضعه جملة من الكتّاب والأدباء والشعراء

والخلفاء وغيرهم، ويمثّل هذا الفريق جملة من المستشرقين؛ منهم: يهودا دي نيفو، وبيلامي، ومايكل كوك، وباتريسيا كرون، وغيرهم. ويرى هذا الفريق أنّ السبب في وجود الأخطاء اللغوية للقرآن الكريم، هو ما قام به محمّد ومَن جاء مِن بعده في وضع القرآن، وكما يرون أنّ طبيعة اللغة العربيّة آنذاك، هي السبب المباشر لهذه الأخطاء اللغوية في القرآن.

ويعتبر نولدكه من أوائل علماء الاستشراق الذين تحدّثوا عن أخطاء لغوية في القرآن، وتحدّث عن مصادر القرآن، واعتبره عمل بشري قام به النبيّ محمّد؛ أي أنّه عمل يعتريه النقص والخطأ وهي لوازم الطبيعة البشرية، وقد أطلق على القرآن أوصافًا كثيرة تنسجم مع العمل البشري، بل الظاهر من بعض تعابيره أنّه عمل بشري غير مُتقَن، فقال عن القرآن: «إنّه غير متناسب الأجزاء»، و«أسلوب نشاز»، و«غير جميل»، وغير ذلك. واقترح على النبيّ أنّه كان عليه «أن يتأمّل طويلاً في محتوى وحيه قبل أن يبرزه للعالم. لكنّه لم يعرْ اهتمامًا كبيراً لأسلوبه»[١]. وسار على خطى نولدكه أكثر المستشرقين الذين كتبوا في هذا المجال.

ثانيًا: شبهات برجستراسر في الأخطاء اللغويّة

يعتبر برجستراسر أوّل من فصَّل القول في الزعم بوجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم؛ وذلك في الجزء الثالث من كتاب «تاريخ القرآن» لنولدكه؛ وهو الكتاب الذي أكلمه برجستراسر بعد وفاة نولدكه[٢]. وقد بُني هذا الجزء على ثلاثة فصول خُصِّص الفصل الأوّل للرسم، وبُني على أربعة مباحث: المبحث الأوّل في أخطاء النصّ العثماني.

ويقول في أوّل الفصل الثالث في أخطاء النصّ العثماني: «اعترف المسلمون منذ زمن طويل بأنّ نصَّ القرآن الذي أصدرته اللَّجنة التي عيَّنها عثمان لم يكن كاملاً

[١]- انظر: نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ص٥-٨.

[٢]- اعتنى بهذا الجزء الثالث «أوطو برتزل»، تتصدَّر هذا الجزء مقدّمة مهمّة لـ«أوطو برتزل» بينَّ فيها أنَّه بعد موت «فريدريك شفالي» وضع «غوتهلف برجستراسر» على عاتقه إنجاز هذا الجزء، لكنَّه توفي ولم يتمكَّن من مشاهدة نتائج أبحاثه حول هذا الموضوع، فأكمل العمل «أوطو برتزل»، مع «جولدتسيهر»، وهذان المستشرقان بدآ الاهتمام بـ«القراءات القرآنيَّة». ثمَّ إنَّ المستشرق «هاينرش سميرس» كان قد بيَّن في مقدّمة الجزء الثاني في أيلول من سنة ١٩١٩م أنَّ الجزء الثالث من تاريخ القرآن الكبير هو جزء مُخَصَّص للقراءات القرآنيَّة.

على وجه الإطلاق، ويوجد بين أيدينا عددٌ من الروايات التي أخذت على هذا النصّ أخطاءه المباشرة»[١].

روايات اللَّحن وخطأ الكتّاب في المصحف العثماني

١. الرواية الأولى

اعتمد عليها برجستراسر لدعم رأيه في وجود أخطاء لغوية هي رواية اللَّحن وأردفها برواية خطأ الكتّاب المرويّة عن عائشة[٢] والرواية الأولى؛ هي: «لمّا كتُبت المصاحف عُرضت على عثمان، فوجد فيها حروفًا من اللحن، فقال: لا تغيّروها ؛ فإنّ العرب ستغيّرها -أو قال ستعرّبها بألسنتها- لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف»[٣].

وقد كفانا علماء أهل السنّة مؤونة الردّ:

- أنّه لا تصحّ أسانيد هذه الآثار، وضعف أسانيدها يشكّك في دقّة متونها. وعن مصدر هذه المتون، قال الداني: «هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجّة، ولا يصحّ به دليل من جهتين، إحداهما: أنّه -مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه- مرسل؛ لأنّ ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئًا، ولا رأياه، وأيضًا، فإنّ ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان، لما فيه من الطعن عليه، مع محلّه من الدين ومكانه من الإسلام، وشدّة اجتهاده في بذل النصيحة، واهتباله بما فيه الصلاح للأمّة. فإنْ قال: فما وجه ذلك عندك لو صحّ عن عثمان؟ قلت: وجهه أن يكون عثمان أراد باللحن المذكور في التلاوة دون الرسم»[٤].

يقول محمّد رشيد رضا صاحب تفسير المنار: «وروي عن عثمان أنّه قال: إنّ في كتابة المصحف لحنًا ستقيمه العرب بألسنتها، وقد ضعّف السخاوي هذه الرواية وفي سندها اضطراب وانقطاع. فالصواب أنّها موضوعة، ولو صحّت لما صحّ أن يعدّ ما

---

[١]- نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ج٣، ص٤٤٣-٤٤٤.

[٢]- انظر: م.ن، ص٤٤٥.

[٣]- السجستانيّ، كتاب المصاحف، م.س، رقم ١١٠، ج١، ص٢٣٥.

[٤]- انظر: الكرديّ، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص٦٦.

هنا من ذلك اللحن؛ لأنّه فصيح بليغ...»[١].

وهو رأي الرافعي ومحمّد أبو زهرة، فقد وصف محمّد أبو زهرة هذه الأحاديث المنافية لتواتر القرآن بـ: «الروايات الغريبة البعيدة عن معنى تواتر القرآن الكريم، التي احتوتها بطون بعض الكتب؛ كالبرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، التي تجمع كما يجمع حاطب ليل، يجمع الحطب والأفاعي، مع أنّ القرآن؛ كالبناء الشامخ الأملس الذي لا يعلق به غبار». ثمّ استشهد بكلام الرافعي القائل: «... ونحسب أنّ أكثر هذا ممّا افترته الملحدة» وقال: «وإنّ ذلك الذي ذكره هذا الكاتب الإسلاميّ الكبير حقّ لا ريب فيه»[٢].

- وأجيب عن رواية عثمان ورواية عائشة الآتية: بأنّ هذا بعيد جدًّا؛ لأنّ الّذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والفصاحة والقدوة على ذلك، فكيف يتركون في كتاب الله لحنًا يصلحه غيرهم، فلا ينبغي أن ينسب هذا لهم، قال ابن الأنباري: ما روي عن عثمان لا يصحّ لأنّه غير متّصل، ومحال أنّ يؤخّر عثمان شيئًا فاسدًا ليصلحه غيره. وقال الزمخشري في الكشّاف: ولا يلتفت إلى ما زعموا...»[٣].

- هناك جملة من العلماء حاولوا توجيه رواية عثمان وأمثالها من الروايات؛ بما يتناسب مع الإجماع على عدم تحريف القرآن الكريم يمكن فهم كلام عثمان على أنّه أراد باللحن: اللحن في التلاوة؛ بسبب اشتباه الرسم على الناس في بعض الأحيان، فطمأنّ بأنّ سلامة ألسنة العرب ستصحّح تلاوة من يخطئ في قراءة كلمات القرآن. هذا تفسير أبي عمرو الداني للحديث.

٢. الرواية الثانية

ما روي عن عائشة: يرويه هشام بن عروة عن أبيه، قال: سألت عائشة عن لحن القرآن: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ**﴾ (المائدة: ٦٩)، ﴿**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ (النساء: ١٦٢)، و﴿**قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ**﴾ (طه: ٦٣)،

---

[١]- رضا، تفسير المنار، ج٦، ص٦٤.

[٢]- أبو زهرة، المعجزة الخالدة، ص٤٣.

[٣]- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (المعروف بتفسير الخازن)، ج١، ص٤٢٢.

فقالت: يا ابن أختي! هذا عمل الكُتّاب، أخطؤوا في الكِتَاب[١].

أمّا الردّ على هذه الرواية:

- تشكيك علماء أهل السنّة في هذه الرواية. وقد تنوعّت طرق التشكيك، فمنهم من اكتفى «بالاستبعاد»، وآخر يقول: «فيه نظر»، وثالث يقول: «لا يخفى ركاكة هذا القول»، ورابع يقول: «لا يلتفت...»، وخامس يقول: «غريب...»، وبعض العلماء حكم بوضع هذه الأحاديث، فقال: الحكيم الترمذي: «... ما أرى مثل هذه الروايات إلاّ من كيد الزنادقة....[٢]»

- الآيات التي ذكرت في الرواية ليس صحيحًا أنّ فيها لحن، فقد قال الزمخشري: «(والمقيمين) نصب على المدح؛ لبيان فضل الصلاة؛ وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على أمثلة وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنًا في خطّ المصحف...»[٣].

وقال الرازي: «وأمّا قوله: ﴿**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ ففيه أقوال؛ الأوّل: روي عن عثمان وعائشة أنّهما قالَا: إنّ في المصحف لحنًا وستقيمه العرب بألسنتها. واعلم: أنّ هذا بعيد؛ لأنّ هذا المصحف منقول بالنقل المتواتر عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه»؟![٤].

- بعضهم حاول أن يوجّه رواية عائشة أيضًا بأنّه يمكن فهم كلامها على أنّها ترى أنّه لو اختيرت القراءات الأخرى الموافقة للمشهور من قواعد اللغة العربيّة بين العامّة لكان أفضل، فتخطئتها للكتاب بمعنى مخالفة القراءة المشهورة، والوجه الفاشي في العرب من أعاريبها. وهذا التوجيه هو ملخّص ما ذكره الطبري في جامع البيان.

[١]- انظر: السيوطي، الدرّ المنثور، م.س، ج٢،ص٧٤٥؛ الإتقان في علوم القرآن، م.س، ج١، ص٥٣٦؛ الطبري، تفسير الطبري، ج٦، ص٢٥.

[٢]- الميلانيّ، التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، ص١١٧.

[٣]- الزمخشري، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص٥٨٢.

[٤]- الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج١١، ص١٠٥-١٠٦.

الأفكار الرئيسة:

- زعم جملة من المستشرقين وجود مجموعة من الأخطاء اللغوية في القرآن الكريم، بل بعضهم اعتبر أنّ هناك أخطاء نحويّة كثيرة في القرآن الكريم.

- زعم المستشرقين وجود أخطاء لغويّة، يصدر عن موقف عام لهم حيال القرآن الكريم، وهو إنكار المصدر الإلهي للقرآن الكريم، ومع إجماعهم على هذا الرأي، فقد انقسموا إلى فريقين: الأوّل: أنّ القرآن قد نُقل من مصادر أخرى، وألّفه النبيّ محمّد. الثاني: يرى أنّ القرآن الكريم إنّما هو نتاج جمعي تطوّر على امتداد القرنين الأوّل والثاني الهجريّين، واشترك في وضعه جملة من الكتّاب والأدباء والشعراء والخلفاء وغيرهم.

- يعتبر نولدكه من أوائل علماء الاستشراق الذين تحدّثوا عن أخطاء لغوية في القرآن. وسار على خطى نولدكه أكثر المستشرقين الذين كتبوا في هذا المجال.

- يعتبر برجستراسر أوّل من فصَّل القول في الزعم بوجود أخطاء لغوية في القرآن الكريم، وقد اعتمد على مجموعة من الروايات الواردة في كتب أهل السنّة.

- لا تصحّ أسانيد هذه الآثار، وضعف أسانيدها يشكّك في دقّة متونها. وقد وجّه علماء أهل السنّة هذه الروايات بتوجيهات عدّة لا تتنافى مع إعجاز القرآن.

فكِّر وأَجِب:

١. تكلّم عن اهتمام المستشرقين بالدراسات اللغويّة للقرآن؛ مبينًا أقوالهم في هذا الصدد.

٢. ما هي الشبهات النحويّة التي طرحها برجستراسر؟

٣. بيّن ما هو مستند برجستراسر في ما طرحه من شبهات؟

٤. كيف نردّ الشبهات النحويّة التي طرحها برجستراسر؟

الدرس الثاني والعشرون

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (٤)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على أبرز الشبهات اللغويّة التي طرحها المستشرق جيمس بيلامي.

٢. يشرح ظاهرة الالتفات في القرآن الكريم ولماذا أثار المستشرقون الشبهات حولها.

٣. يتعرّف على أساليب ردّ هذه الشبهات وتفنيدها.

ادّعاء نفي الإعجاز لوقوع أخطاء لغويّة في القرآن (٢)

ولا بدّ من أن نلفت عناية المهتمين في الردّ على أمثال هذه الشبهات -التي بالمناسبة صدرت من بعض المسلمين العرب، وليست من مختصّات الفكر الاستشراقي، وإنْ كنّا نلحظ أنّ أكثر شبهات هؤلاء ترجع إلى شبهات المستشرقين أو هي شبيهة بها إلى حدّ كبير- يمكن اتّباع أكثر من أسلوب في الردّ.

أوّلًا: أساليب ردّ شبهات المستشرقين اللغويّة على القرآن

من هذه الأساليب:

١. الأسلوب الأوّل: التتبّع الجزئي

بأنْ نعمد إلى تتبّع كلّ الجزئيات التي عرضها هؤلاء وادّعوا أنّها تخالف قواعد اللغة، ونجيب عن كلّ جزئية، ونبيّن الأوجه النحويّة واللغويّة وغير ذلك، من خلال الرجوع إلى الكتب الرئيسة في هذا المجال؛ كالكشاف للزمخشري، وإعراب القرآن للنحاس، وإعراب القرآن للزجاج، وكتب النحو العربي والبلاغة وغيرها من الكتب. وسنشير إلى بعض النماذج في هذا المجال. طبعًا هذا مع التسليم بصحّة هذه القواعد النحويّة وسلامتها.

٢. الأسلوب الثاني: بيان القواعد الكلّيّة

بأنْ نبيّن القواعد الكلّيّة التي بنيت على بعض الظواهر القرآنيّة التي لحظها في الآيات ويظنّها مَن لا خبرة له ولا تمرّس باللغة العربيّة أنّها مخالفة للقواعد النحوية،

فعلى سبيل المثال: فإنّ ما اعتقده بعض المستشرقين؛ أمثال: نولدكه، وتبعه آخرون على ذلك؛ من عدم المطابقة بين العدد والمعدود، أو المذكّر والمؤنّث، أو غير ذلك، واستهجن من هذا الأمر واعتبره غير حسن، بل غير طبيعي؛ وهو ما يسمّيه التحوّل النحوي في القرآن، أنّ كلّ هذه الأمور خاضعة لظاهرة بلاغية معروفة ومشهورة بين علماء اللغة؛ بعنوان الالتفات. وسنشير إلى هذا الموضوع ولو باختصار. وعلى كلّ حال يمكن الدمج بين الأسلوبين.

ثانيًا: الأخطاء التي ذكرها بيلامي والردّ عليها

ادّعى جيمس بيلامي أنّ القرآن قد تطوّر عبر التاريخ في القرنيين الهجريَّين الأوَّلين، واعتبر أنّ الأخطاء وقعت بسبب النُّساخ، وانصبت جهوده على مجموعة من «أخطاء النقل» أو الأخطاء الإملائية. ومن الأخطاء التي ذكرها:

١. استند بيلامي إلى الروايات المنقولة عن عثمان في قضية الرسم، وقد تقدّمت الإجابة عن ذلك.

٢. استند إلى بعض الروايات المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام والتي تنقل أنّ الإمام علي عليه السلام اعترض على بعض الأخطاء في نسخ المصاحف من قبل قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ (الواقعة: ٢٩)، وقال إنّ الصحيح هو «وطلع منضود».

٣. ذكر جملة من الأخطاء وأرجعها إلى القرّاء والنُّساخ والسبب في رأيه خلوّ القرآن الكريم من النقط والإعجام ومن ضعف الرواية الشفوية في التلقي عن النبيّ، لذا لم تصمد الرواية في وجه الكتابات غير المعجمة، ولأجل ذلك سقط القرّاء في أخطاء في المفردات والتعبيرات[١]. ومن الأخطاء التي ذكرها:

---

[١]- انظر: آدم، المستشرقون ودعوى الأخطاء اللغويَّة في القرآن، ص٢٤-٢٥.

- حصب أم حطب: قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٨)، وقد فسّرت العبارة «حصب جهنم»؛ بمعنى «كل ما يلقى فيها لتشتعل به». وهي المرة الوحيدة التي يستعمل فيها القرآن هذه كلمة. والصحيح عنده هو «حطب»؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (الجنّ: ١٥)، ويعتبر بيلامي أنّ الخطأ من النُّساخ، فقد أبدلوا الطاء صادًا.

والصحيح: على الرغم من اختلاف التعبير في آيتين كريمتين من آيات القرآن الكريم بالنسبة إلى ما يلقى في نار جهنم؛ بهدف الإحراق، فالنتيجة واحدة؛ وهي الاحتراق، ولكنّ هناك فرقًا لطيفًا بين التعبيرين.

الحَصَبْ هي جمع حصبة؛ وهي الحجارة والحصى الصغيرة التي تُقذف باليد أو بالآلات اليدوية، وقد أكّد القرآن الكريم بأنّ مصير العابدين للأصنام كمصير الأصنام؛ فكلّها تُقذف في نار جهنّم لتحترق.

وقد يُتصور فرقًا لطيفًا بين الحطب والحصب، وهو أنّ الله عَزَّ وجَلَّ أراد احتقار الأوثان التي تعبد من دون الله وتشبيهها بالحصى الصغيرة التي لا قيمة لها ولا هيبة، فترمى في نار جهنّم مع من كانوا يعبدونها.

- حِطةٌ أم خِطأة: قال تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (البقرة: ٥٨)، قال بيلامي الصحيح «خِطأة».

- مثاني أم متالي: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر: ٨٧)، صحّحها إلى المتَالي اسم مفعول من المتْلُو.

- أمنيته أم إملائه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا

إِذَا تمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (الحجّ: ٥٢). وعند بيلامي «إلا إذا يُملي ألقى الشيطان في إملائه».

- أماني أم أمالي، قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ (البقرة: ٧٨)، فزعم بيلامي أنّها أماليَّ.

- كلمة صبغة في قوله تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾ (البقرة: ١٣٨)، فزعم أنّه ينبغي أن تغيّر إلى «صنيعة الله».

- كلمة أعراف في قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ**﴾ (الأعراف: ٤٦)، فيرى بيلامي أنّها أجراف؛ بمعنى المكان العالي. إلى غيرها من الافتراضات التي افترضها.

ثالثًا: ظاهرة الالتفات في القرآن الكريم

اعتبر بعض المستشرقين أنّ هناك أخطاء نحوية كثيرة في الآيات القرآنيّة سببها عدم التطابق بين التذكير والتانيث، والإفراد والجمع، والعدد والمعدود، والصفة والموصوف، وغير ذلك. والواقع أنّهم يجهلون أساليب القرآن، وطرائقه البيانيّة؛ ومن ذلك أسلوب الالتفات أو العدول.

ويمكن تعريف أسلوب الالتفات في القرآن أنّه: نَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى آخَرَ، مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ، وَمِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ، وَمِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ، وَمِنَ الْخِطَابِ إِلَى التَّكَلُّمِ، وَمِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ.

١. مثالُ الالْتِفَاتِ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ

قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم**﴾ (يونس: ٢٢).

في الكلامِ الْتِفَاتٌ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ، وَلَو جَرَى الكلامُ عَلَى نسقٍ وَاحِدٍ لَكَان في غير كلام الله تعالى: (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِكُمْ).

٢. مِثَالُ الالْتِفَاتِ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (الإسراء: ١). في هذه الآيةِ الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ في قوله: ﴿**الَّذِي أَسْرَى**﴾، إِلَى التَّكَلُّمِ في قوله: ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾. وفيها الْتِفَاتٌ آخرُ مِنَ التَّكَلُّمِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾، إِلَى الْغَيْبَةِ في قوله: ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

٣. مِثَالُ الالْتِفَاتِ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْجَمْعِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ**﴾ (البقرة: ١٧).

في هذه الآيةِ الْتِفَاتٌ مِنَ الْوَاحِدِ في قوله: ﴿**مَا حَوْلَهُ**﴾ إِلَى الْجَمْعِ في قوله: ﴿**بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾، وَلَو جَرَى الكلامُ عَلَى نسقٍ وَاحِدٍ لَكَان في غير كلام الله تعالى: (ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِ وَتَرَكَهُ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُ). وَلا شك أن الالْتِفَاتَ أَفْصَحُ فِي الْكَلَامِ، وأوقعُ في النفوسِ، وَأَبْلَغُ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ[١].

وما نريد أن ننبّه عليه أنّ كثيراً من إشكالات المستشرقين المتعلّقة بهذه الأمور سببها عدم فهمهم لظاهرة الالتفات والتي هي أحد أوجه البلاغة في اللغة العربية.

وهناك إشكالات متعدّدة على الإعراب أوردها المستشرقون؛ من قبيل قولهم: إنّ

---

[١]- دياب، «أمثلة على أسلوب الالتفات في القرآن».

هذه الجملة في القرآن خطأ؛ لأنّها لا تتناسب مع قواعد الإعراب المعروفة. وقد ألّف علماء اللغة العربيّة وغيرهم من الفقهاء والمحدّثين كتبًا للإجابة عن هذا النوع من الأسئلة؛ وذلك لتوجيه ما قد نسمّيه مشكلة في الإعراب. ونحن نعتقد أنّ الأصل هو التمسّك بالقرآن، لا بالتوجيهات اللغوية؛ لأنّ القرآن منقول إلينا بالتواتر؛ وهو أفصح كلام العرب، بل نحن المسلمون نعتقد بالإعجاز البلاغي للقرآن.

ومن هذه الكتب يمكن مراجعة ما كتب عن المشكل في الإعراب؛ من قبيل: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، وكتاب «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، وكتاب «البستان في إعراب مشكلات القرآن» لأبي الهيثم الجيلي (ت ٧١٧هـ)، وغيرها من الكتب.

الأفكار الرئيسة:

- يمكن اتّباع أكثر من أسلوب في الردّ على الشبهات اللغويّة للمستشرقين. ومن هذه الأساليب: الأسلوب الأوّل: التتبّع الجزئي: بأنْ نعمد إلى تتبّع كلّ الجزئيات التي عرضها هؤلاء وادّعوا أنّها تخالف قواعد اللغة، ونجيب عن كلّ جزئية، ونبيّن الأوجه النحوية واللغوية وغير ذلك، من خلال الرجوع إلى الكتب الرئيسة في هذا المجال. الأسلوب الثاني: بيان القواعد الكلّيّة: بأنْ نبيّن القواعد الكلّيّة التي بنيت على بعض الظواهر القرآنيّة التي لحظها في الآيات ويظنّها مَن لا خبرة له ولا تمرّس باللغة العربيّة أنّها مخالفة للقواعد النحوية.

- ادّعى جيمس بيلامي أنّ القرآن قد تطوّر عبر التاريخ في القرنيين الهجريَّين الأوَّلين، واعتبر أنّ الأخطاء وقعت بسبب النُّساخ، وانصبت جهوده على مجموعة من «أخطاء النقل» أو الأخطاء الإملائية. ومن الأخطاء التي ذكرها: استند بيلامي إلى الروايات المنقولة عن عثمان في قضية الرسم، وإلى بعض الروايات المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام والتي تنقل أنّ الإمام علي عليه السلام اعترض على بعض الأخطاء في نسخ المصاحف. إيراد جملة من الأخطاء وإرجاعها إلى القرّاء والنُّساخ؛ بسبب خلوّ القرآن الكريم من النقط والإعجام.

- اعتبر بعض المستشرقين أنّ هناك أخطاء نحوية كثيرة في الآيات القرآنيّة سببها عدم التطابق بين التذكير والتأنيث، والإفراد والجمع، والعدد والمعدود، والصفة والموصوف، وغير ذلك.

- الواقع أنّهم يجهلون أساليب القرآن، وطرائقه البيانيّة؛ ومن ذلك أسلوب الالتفات أو العدول.

- هناك إشكالات متعدّدة على الإعراب أوردها المستشرقون؛ من قبيل قولهم: إنّ هذه الجملة في القرآن خطأ؛ لأنّها لا تتناسب مع قواعد الإعراب المعروفة.

- ألّف علماء اللغة العربيّة وغيرهم من الفقهاء والمحدّثين كتبًا للإجابة عن هذا النوع من الأسئلة؛ وذلك لتوجيه ما قد نسمّيه مشكلة في الإعراب.

فكِّر وأَجِب:

١. ما هي الأساليب المناسبة في ردّ الشبهات اللغويّة للمستشرقين على القرآن؟

٢. ما هي الأخطاء الإملائيّة التي ادّعى بيلامي وقوعها في القرآن؟ وما هو مستنده في ذلك؟ وكيف نردّ دعواه؟

٣. ما هي الشبهات الأسلوبيّة التي ادّعى المستشرقون وقوعها في القرآن؟

٤. كيف نردّ الشبهات الأسلوبيّة من خلال ظاهرة الالتفات؟

الدرس الثالث والعشرون

إعجاز القرآن في دراسات المستشرقين (٥)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على بعض آراء المستشرقين المنصفين في إعجاز القرآن.

٢. يطّلع على أنموذج تطبيقي للإعجاز العلمي عند موريس بوكاي.

٣. يقوِّم هذا الأنموذج التطبيقي للإعجاز العلمي عند موريس بوكاي.

الإعجاز العلمي عند موريس بوكاي

خلق السماوات والأرض أنموذجًا

تعدّ قضيّة خلق السموات الأرض من القضايا التي تحدّث عنها القرآن الكريم تأكيدًا لقدرته الله تعالى المطلقة، وقد كثرت الآيات القرآنيّة التي تعالج هذه القضيّة[١].

اهتمّ المستشرق موريس بوكاي بهذه القضيّة محاولاً البحث فيها عن مدى توافقها مع العلم الحديث، مقارنًا إيّاها بالرواية التوراتيّة في القضيّة ذاتها، ومن ثمّ عمد إلى تطبيق منهجيّته -التي ذكرناها سابقًا- حول هذه القضيّة، فكانت المقارنة سبيله، والنزعة النقديّة أداته، والموضوعيّة سمته.

أوّلًا: خلق السموات والأرض بين التوارة والقرآن

أوّل ما لفت نظر بوكاي في قضيّة خلق السموات والأرض أنّه إذا كانت التوراة تذكر قضيّة الخلق متتابعة في موضع واحد[٢]، فإنّ القرآن خلافًا لذلك يسردها في مواطن متعدّدة في سور عدّة؛ بما تحمل من مشاهد، ويعطيها الدقّة المطلوبة في الوقائع المتلاحقة التي تعبّر عنه.

وعلى الرغم من أنّ بوكاي كان يدرك جيّدًا أنّ قضيّة الخلق في القرآن لم تكن تختلف في نظر الكثير من مفكّري الغرب عنها في التوراة، بل لعلّهم كانوا يجدون في مثل هذه المقابلات متعة تؤيّد من وجهة نظرهم الزعم باقتباس القرآن من التوراة، غير أنّه كان يرى في هذا خطأً كبيرًا، فيقول: «وأظنّ أنّ هذا الفهم خاطئ؛ لأنّ بينهما

---

[١]- انظر: على سبيل المثال لا الحصر: سورة ق، الآية ٣٨؛ سورة ص، الآية ٢٧؛ سورة الفرقان، الآية ٥٩؛ سورة طه، الآية ٤؛ سورة النمل، الآية ٦٠؛ سورة الإسراء، الآية ٩٩؛ سورة يونس، الآيتان ٣، ٦؛ سورة الحجر، الآية ٨٥؛ سورة الأنعام، الآية ١؛ سورة لقمان، الآية ٢٧؛ سورة الزمر، الآية ٥؛ فضلاً عن العديد من الآيات القرآنيّة.

[٢]- انظر: سفر التكوين، الإصحاح الأوّل.

فروقًا واضحة، حيث نكتشف في القرآن إيجابيّات في المسائل التي ليست ثانويّة، من الناحية العلميّة نعجز أن نعثر على مثيل لها في التوراة التي تحوي على شروح وزيادات خلا منها القرآن»[١].

ثانيًا: المراد باليوم في خلق السماوات والأرض

يرى بوكاي فروقًا بين الروايتين: الرواية التوراتيّة الكهنوتيّة والرواية القرآنيّة من الناحية العلميّة لا يكابر في الاعتراف بوجود توافق في بعض الأخبار الواردة فيهما، كالإخبار بأيّام الخلق الستّة التي ذُكرت في كلتا الروايتين[٢]، ومن ثمّ فقد حازت قضيّة الأيّام السّتة على بعض الاهتمام من هذا المستشرق الفرنسيّ.

فالرواية التوراتيّة تذكر قضيّة الخلق في ستّة أيام ثمّ تتبعها بيوم راحة حسب الاعتقاد اليهوديّ، وهو يوم السبت، اتّباعًا لله تعالى الذي استراح -بزعمهم- بعد ستّة أيام من العمل في خلق السماوات والأرض. وهذا الاعتقاد لا أصل له في عقيدتنا الإسلاميّة؛ كونه يشبّه الله تعالى حاشاه بالإنسان في مسألة التعب والراحة[٣]، وهذا لا يجوز في حقّ الخالق سبحانه؛ لأنّه يتنافى مع مبدأ تنزيه الله تعالى عن الندّ والشبيه والتجسيم وغيرها من الأمور التي تجوز في حقّ الإنسان، حيث عالم الشهادة، لا الله تعالى.

ثالثًا: فهم موريس بوكاي لليوم

لفت نظر بوكاي مفهوم كلمة يوم في الروايتين، ومن ثمّ تتبّع المدلول المقصود فيهما؛ الأمر الذي أوصله إلى نتيجة مهمّة تكشف عن الأبعاد العلميّة التي تقوم عليها قضيّة الخلق في القرآن، خلافًا للقضيّة ذاتها في التوراة.

ويذهب بوكاي إلى أنّ مفهوم كلمة يوم في التوراة محدّدة بالمسافة الزمنيّة المعتبرة

[١]- انظر: موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص١٦٥.

[٢]- انظر: سفر التكوين، الإصحاح الأول؛ القرآن الكريم، سورة السجدة، الآية ٤.

[٣]- انظر: سفر التكوين: ٢/ ٢، وسفر الخروج: ١٧/ ٣١.

بين مطلعين للشمس أو مغربين لها متتابعين بالنسبة إلى ساكن الأرض؛ بما يعني أنّ اليوم المحدّد على هذه الصورة إنّما هو حصيلة دوران الأرض حول نفسها. فيقول: «إنّه لواضح أنّه لا يمكننا منطقيًّا التحدّث في إطار هذا التحديد لمعنى الأيّام في نفس الوقت الذي لم يظهر فيه في الواقع ما يحقّق تجمعه على هذه الصورة في دورات الخلق الأولى حسب رواية التوراة، بمعنى أنّ وجود الأرض ودورانها حول الشمس»[1].

وهذه في الحقيقة ملاحظة جديرة بالتأمّل؛ لأنّه لا معنى لليوم باعتبار دوران الأرض حول نفسها، ولم يكن ثمّة أرض ولا سماء قبل خلقهما؛ فالعلم الحديث توصّل إلى أنّ تعاقب الليل والنهار ينتج عن دوران الأرض حول نفسها، فبأيّ منطق تستخدم الرواية التوراتيّة اليوم على معنى لم يتحدّد إلّا بعد خلق السماوات والأرض، وليس أثناءهما؟!

وبناءً على هذا التصوّر فقد أخذ بوكاي على المترجمين والمفسّرين كونهم لم ينتبهوا إلى هذا المعنى العلميّ الذي تحمله كلمة يوم القرآنيّة، فيقول: «إنّنا لا نعرف كيف نعتب على المترجمين عدم إعطائهم الكلمة العربيّة معناها الأكثر شيوعًا، كذلك تظهرها الترجمات عادة... وقليلة تلك هي ترجمات القرآن وشروحه التي تفيد بأنّ كلمة أيّام ينبغي أن تفهم حقيقةً بمعنى الدورات الزمنيّة»[2].

لكن من المؤكّد أنّ المترجمين والمفسّرين القدامى لم يكونوا على دراية بهذا المعنى الجديد؛ وذلك لأنّ العلم لم يتوصّل إلى مفهوم اليوم إلّا حديثًا، فضلًا عن أنّ كثيراً منهم ربما لم يكن على اتصال دائم بمعطيات العصر الحديث، فكانت المعلومة غائبة عنه.

ولا مشكلة عند بوكاي في أن تعني كلمة الأيّام معناها العاديَّ المعروف، لكنّ

---

[١]- انظر: بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، م.س، ص١٦٦.

[٢]- م.ن، ص١٦٦.

الإشكاليّة عنده في أن نفهم كلمة الأيّام -أيّام خلق الكون- في القرآن على هذا المعنى، فيقول: «إنّ فهمنا للفظة الأيّام الواردة في القرآن بالمعنى الذي ندركه عادةً هو مهزلة»[١].

رابعًا: مستند بوكاي في تعيين المراد من اليوم

إنّ التفسير الصحيح لكلمة الأيّام في القرآن عند بوكاي هو الامتداد الزمنّي الطويل أو الدورة الزمنيّة ممتدّة الطول، لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه: عَلَام اعتمد بوكاي في تفسيره هنا؟ يمكننا القول إنّه اعتمد على الآيات القرآنيّة الآتية:

قول الله تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ**﴾ (السجدة: ٥).

وقوله سبحانه: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ (المعارج: ٤).

وهذا يعني أنّ اليوم مدّة زمنيّة ممتدّة، أي له امتداد زمنيّ طويل.

لكنّ بوكاي يتّخذ من الدورات الزمنيّة الممتدّة معبراً إلى القول إنّ الأيّام في الآيات القرآنيّة السابقة تعبرّ عن مراحل خلق الكون أو مراحل تشكّل الكون، فيقول: «وعلى هذا فإنّه يمكننا القول إنّ القرآن يعبرّ عن مراحل خلق العالم بأنّها ستّة، وبمعنى دورات طويلة من الزمن، والعلم الحديث لم يسمح للناس بالتأكيد بإثبات المراحل المتنوّعة للتكوين الممتدّ التي انتهت بتكوين العالم، ولكنّه أوضح شكليًّا بأنّه يُراد منها دورات زمنيّة طويلة»[٢].

---

[١]- انظر: بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، م.س، ص١٦٨.

[٢]- م.ن، ص١٦٨.

خامسًا: عدم تتابع نظام خلق السموات والأرض عند بوكاي

السؤال الذي يطرح نفسه هنا والذي حاول بوكاي أن يضع إجابة له مؤدّاه: هل هناك نظام في خلق السماوات والأرض؟ ويقصد هل هناك نظام متتابع في خلقهما؟ قبل الإجابة على هذا السؤال يجب التأكيد على أنّ خلق السموات والأرض ذُكر في بعض المواضع في القرآن الكريم، كما في (سورة الأعراف، الآية ٥٤)، و(سورة فصلت، الآيات ٩-١٢).

وهناك بعض الآيات التي ذُكر فيها خلق الأرض أوّلًا؛ كما في (سورة البقرة، الآية ٢٩)، و(سورة طه، الآية ٤). وهناك آيات أخرى ذُكر فيها خلق السماء أوّلًا؛ كما في (سورة الأعراف، الآية ٥٤)، و(سورة يونس، الآية ٣)، و(سورة هود، الآية ٧)، وغيرها من الآيات.

ويستنتج المسشرق بوكاي من هذه الآيات أنّه ليس هناك نظام محدّد في خلق السماوات والأرض، وهو يقصد بذلك أنّه ليس هناك تتابع واضح بين أحداث خلق السماوات والأرض.

لكن يجب القول هنا إنّ ما ذهب إليه بوكاي من عدم وجود تتابع واضح بين أحداث خلق السماوات والأرض لا يقصد به النقد، أو الزعم بعدم وضوح قضيّة خلق الكون في القرآن، وكلّ ما هنالك أنّ الرجل أراد أن يقول إنّ خلق السماوات والأرض كان متداخلاً، فلم يخلق الله الأرض كاملاً، ثمّ فرغ لخلق السماوات، وإنّما كان الخلق متداخلاً حتى اكتمل البناء جملة واحدة، فهذا ما كان بوكاي يعمل على تأكيده والمضيّ فيه.

فبوكاي يؤكّد على أنّ ذكر القرآن المرحلة التي بسط فيها الله تعالى الأرض، وجعلها صالحة للزرع، وارد زمنيًّا بالضبط بعد أن تحقّق تكوّن الأيّام والليالي، مبيّنًا أنّ القرآن ذكر مجموعتين من الأحداث؛ إحداهما تتعلّق بالأرض، وهي متتابعة في الزمن، وبناءً عليه يفترض وجود الأرض ضرورة قبل أن تُبسط، ومن ثمّ فوجودها

كان قائمًا حين أقام الله السماء، «ويستخلص من هذا ظاهرة معيّة التطوّر السماويّ والأرضيّ مع تداخل بعض الأحداث، فلا لزوم إذن للبحث عن أيّ تفسير خاصّ لما هو مذكور في القرآن في موضوع الخلق من ورود ذكر الأرض قبل السماوات أو العكس؛ لأنّ موضع الكلمات في النصّ هنا لا يثبت النظام الذي تمّ فيه الخلق إذا لم تتمّ تحقيقات في ذلك»[١].

سادسًا: إثبات التتابع الزمني في خلق السموات والأرض

لكن من خلال التأمّل في مجمل الآيات التي تعرض لخلق السماوات والأرض نستطيع أن نؤكّد على أنّ خلق السماوات والأرض مرّ بالمراحل التالية:

- الأولى: مرحلة الرتق والفتق، وذلك يتّضح في قول الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ (الأنبياء: ٣٠). وهذا يعني أنّ السماوات والأرض كانتا مجموعين في شيء واحد، ثمّ تمّ الفصل بينهما[٢]. فالرتق هو الجمع والضم، ففي معجم القاموس المحيط فتقه أي شقّه، والرتق عكس ذلك بمعنى جمعه وضمّه[٣].

- الثانية: مرحلة خلق الأرض، ولكن ليس على سبيل الاكتمال والتمام، ويتّضح ذلك في موضعين اثنين من كتاب الله تعالى، في الموضع الأوّل قول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة: ٢٩). فجملة ﴿**خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ**﴾؛ أي أصلها، يقال إنّ خلق هنا بمعنى قدّر ما سيكون من أرزاق. والموضع الثاني في سورة فصّلت؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا**

[١]- انظر: بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، م.س، ص١٧٠.

[٢]- انظر: حمدانين، الإعجاز العلميّ الكوني في القرآن الكريم، ص٤؛ الصوفي، آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة الموسوعة الكونيّة الكبرى، ج٣، ص١٤١.

[٣]- انظر: المعجم الوسيط، ص٣٢٧.

وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (فصلت: ٩-١٢).

- الثالثة: خلق السماوات السبع[١]، كما يتضح في سورة البقرة الآية رقم ٢٩ المشار إليها، فيكون بذلك خلق السماوات السبع بما فيها بعد خلق الأرض.

- الرابعة: دحو الأرض[٢]، حيث أخرج منها الله تعالى الماء والمرعى والأشجار وغير ذلك. وذلك يتّضح في قول الله تعالى: **﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾**. أمّا في قول الله تعالى: **﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾** (النازعات: ٢٧-٣١)؛ فلا يُتوهم فيها تعارض؛ لأنّ الأرض خُلقت أوّلاً غير مدحوّة، ثمّ خُلقت السماوات السبع، ثمّ دُحيت الأرض بتقدير ما عليها.

ومن ثمّ نفهم أنّه بعد فتق السماوات والأرض -حيث كانتا رتقًا- خُلقت الأرض غير مدحوّة، ثمّ خُلقت السماوات، ثمّ دُحيت الأرض، فاكتمل البناء.

وهناك وجه آخر لقوله تعالى: **﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾**، أي مع ذلك، فكلمة بعد بمعنى مع، مثل قوله تعالى: **﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾**، وبها قرأ مجاهد **(والأرض مع ذلك دحاها)**[٣].

والوجه الأخير تحديدًا هو الذي يؤيّد ما ذهب إليه المستشرق موريس بوكاي عندما ذهب إلى أنّ خلق السماوات والأرض لم يكن فيه تتابع، وإنّما تمّ جملةً واحدة، بمعنى أنّ الخلق كان على الجانبين، وتداخل أحداث الخلق بينهما.

---

[١]- انظر: الصوفي، آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة الموسوعة الكونيّة الكبرى، م.س، ج٣، ص١٤١.

[٢]- انظر: النجار، من آيات الإعجاز العلميّ... الأرض في القرآن الكريم، ص١٣١.

[٣]- انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج١٦، ص١٠-١٨.

سابعًا: تعدّد العوالم عند بوكاي

يقول بوكاي: «والرقم ٧ ورد في القرآن أربعًا وعشرين مرّة لمعدودات مختلفات، ومعناه في الغالب هو الكثرة دون أن نتأكّد من معرفة سبب هذا الاستعمال بهذا المعنى، ويبدو أنّ الرقم ٧ عند اليونان وعند الرومان يحمل أيضًا معنى الكثرة غير المحدودة، ولقد ورد هذا الرقم في القرآن سبع مرّات مضافًا إلى السماوات، ومرّة بمعنى السماوات المضمرة، ومرّة أخرى مع الطرائق التي هي فوقنا»[١].

وبوكاي هنا يحاول أن يتّخذ من النصّ القرآنيّ سندًا له في القول بتعدّد العوالم انطلاقًا من تعدّد ذكر كلمة العالمين في القرآن، ومن ارتباط السماوات بالعدد سبعة الذي يدل على الكثرة عند العرب أكثر من كونه مجرّد رقم، وهذا يعني عنده أنّ السماوات كثيرة، وهذا دليل على تعدد العوالم أو العالمين. والحقيقة أنّ هذه القضيّة لم تثبت إلى الآن يقينًا من الناحية العلميّة. لكن على حدّ تعبير أحد الباحثين، فإنّ هذا الاكتشاف العلميّ إذا ثبت فإنّه لا يعدله أيّ اكتشاف علميّ آخر، بل تتضاءل كلّ العلوم أمام هذا الاكتشاف[٢].

وهذا يعني عند بوكاي أنّ السماء ليست واحدة، وبالتالي الأرض كذلك، «فالسماوات إذن كثيرة، وكذلك الأرضون، وليست هذه من المدهشات لقارئ القرآن المعاصر، أن يجد في نصّ من نصوص هذا العصر الإخبار بأنّ أراضي كثيرة مثل أرضنا يمكن أن تكون في الكون، وهو ما لم يستطع الناس حتى زماننا أن يصلوا إلى كشف حقيقته»[٣].

ولعلّ المتأمّل في كتاب الله تعالى يجد أن ما ذهب إليه بوكاي ليس هناك ما يمنعه من نصوص القرآن، بل ربما يجد ما يؤيّده؛ كما في (سورة الطلاق، الآية ١٢).

---

[١]- انظر: بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، م.س، ص١٧١.

[٢]- انظر: الصوفي، آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة الموسوعة الكونية الكبرى، م.س، ج٣، ص١٩٧.

[٣]- انظر: بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، م.س، ص١٧٢-١٧٣.

فالعدد سبعة في القرآن عند بوكاي عدد يفيد الكثرة، أي أنّ هناك سماوات كثيرة وكذلك أراضيَ كثيرة، ومن ثمّ يستنتج من النصّ القرآنيّ أنه لا يوجد سوى أرض هي أرض الناس، وأنّه يوجد أمثال لها في الكون[١].

ويلخّص بوكاي النقاط الرئيسة التي يعرّفنا القرآن بها في معرض حديثه عن قضيّة الخلق فيما يأتي[٢]:

- وجود ستّ دورات للخلق على العموم.
- تداخل فترات خلق السماوات وخلق الأرض.
- خلق الكون من جرم بدائيّ أوحد يشكّل كتلة انقسمت فيما بعد.
- كثرة السماوات وكثرة الأراضي.
- وجود خلق وسيط بين السماوات والأرض.

لكن بوكاي لم يكن ليقف عند حدود استنتاج هذه النقاط من النصّ القرآنيّ، وألزم نفسه بعرضها على العلم الحديث، وكانت المفاجأة التي أدهشته ولا زالت تدهشنا من عظمة القرآن ذي المصدريّة الإلهيّة، والذي لا ينطق عن هوى ولا يحوي خطأً، ولا يرتضي تعارضًا. ومن ثمّ عرض هذه النقاط على العلم الحديث وبيان موافقته لها، لتكشف عن نتائج كبيرة هي في التحليل الأخير تهدم الافتراءات والشبهات التي حاكها الغرب طيلة قرون عن القرآن والإسلام.

[١]- انظر: بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، م.س، ص١٧٣.

[٢]- انظر: م.ن، ص١٧٤.

الأفكار الرئيسة:

- اهتمّ المستشرق موريس بوكاي بالإعجاز العلمي؛ كما في مسألة خلق السماوات والأرض؛ محاولاً البحث فيها عن مدى توافقها مع العلم الحديث، مقارنًا إيّاها بالرواية التوراتيّة في القضيّة ذاتها، ومن ثمّ عمد إلى تطبيق منهجيّته، في هذه القضيّة، فكانت المقارنة سبيله، والنزعة النقديّة أداته، والموضوعيّة سمته.

- يرى بوكاي وجود ستّ دورات للخلق على العموم.

- يذهب بوكاي إلى تداخل فترات خلق السماوات وخلق الأرض.

- يرى بوكاي أنّ خلق الكون من جرم بدائيّ أوحد يشكّل كتلة انقسمت فيما بعد.

- يعتقد بوكاي بكثرة السماوات وكثرة الأراضي.

- يرى بوكاي وجود خلق وسيط بين السماوات والأرض.

- لم يقف بوكاي عند حدود استنتاج هذه النقاط من النصّ القرآنيّ، وألزم نفسه بعرضها على العلم الحديث، وكانت المفاجأة التي أدهشته ولا زالت تدهشنا من عظمة القرآن ذي المصدريّة الإلهيّة، والذي لا ينطق عن هوى ولا يحوي خطأً، ولا يرتضي تعارضًا. ومن

- عرض بوكاي هذه النقاط على العلم الحديث وبيان موافقته لها، لتكشف عن نتائج كبيرة هي في التحليل الأخير تهدم الافتراءات والشبهات التي حاكها الغرب طيلة قرون عن القرآن والإسلام.

فكّر وأَجِب:

١. تكلّم عن اهتمام موريس بوكاي بالإعجاز العلمي في القرآن، مبيّنًا خلاصة ما ذهب إليه من نتائج في بحثه لخلق السموات والأرض في القرآن.

٢. ما هو مراد موريس بوكاي من اليوم في خلق السموات والأرض؟ ولماذا؟

٣. ما هو رأي بوكاي في التتابع الزمني لخلق السموات والأرض؟ وكيف تقوِّمه؟

٤. ما هو تقويمك لهذا النوع من آراء المستشرقين حول القرآن.

الدرس الرابع والعشرون

النسخ في دراسات المستشرقين (١)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على معنى النسخ لغةً واصطلاحًا.

٢. يعرض المراد من النسخ في كلمات المستشرقين.

٣. يستخلص الرأي الجامع للمستشرقين في النسخ.

مدخل

تطالعنا كتب كثيرة في مسألة «الناسخ والمنسوخ» في القرآن، وقد أُلِّفت كتب مستقلّة فيها، وقلّما تجد كتاب تفسير لم يتعرّض للآيات الناسخة والمنسوخة، وهناك آيات كثيرة ادُّعي نسخها. وقد جمعها أبو بكر النّحاس في كتابه «الناسخ والمنسوخ» فبلغت (١٣٨ آية). وهناك نقاشات بين العلماء في عدد الآيات المنسوخة أوصلها بعضهم إلى بضع آياتٍ؛ أيّ أنّ العدد أقلّ ممّا ذكره النّحاس بكثير[١].

مع العلم أنّ كثيراً من هذه الآيات التي ادُّعي أنّها من الناسخ والمنسوخ هي ليست كذلك، ولا ينطبق عليها مصطلح النّسخ الذي أراده علماء التفسير، بل فيه خلط بين النّسخ والتخصيص والتقييد وغير ذلك، وقد أطلق النّسخ كثيراً على التخصيص في التفسير المنسوب إلى ابن عباس. بل أغلب ما يطلق عليه النسخ في النصوص القديمة يراد به التخصيص. يقول الشيخ معرفة: «فإطلاق النّسخ على التخصيص كان شائعًا في متداول السلف، ومن ثمّ أكثروا القول في عدد الآي المنسوخة»[٢].

أوّلًا: تعريف النّسخ لغةً واصطلاحًا

١. النّسخ لغةً

النسخ في اللغة: إزالة شيء بشيء يتعقّبه؛ كنسخ الشمس الظلّ، فتارة يفهم منه الإزالة، وطوراً يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران معًا، ومن هنا يكون معنى نسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقّبه، قال الله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**﴾ (البقرة: ١٠٦)[٣].

---

[١]- انظر: مركز الثقافة والمعارف القرآنيّة، علوم القرآن عند المفسرِّين، ج٢، ص٦٢١.

[٢]- معرفت، التمهيد في علوم القرآن، م.س، ج٢، ص٢٧١.

[٣]- الأصفهانيّ، مفردات غريب القرآن، م.س، ص٤٩٠.

٢. النّسخ اصطلاحًا

النّسخ هو: رفع أمر ثابت في الشريعة المقدّسة بارتفاع أمده وزمانه؛ لأنّ الحكم في الشريعة المقدّسة له نحوان من الثبوّت:

- **الأوّل:** ثبوت ذلك الحكم في عالم التشريع والإنشاء، والحكم في هذه المرحلة يكون مجعولاً على نحو القضية الحقيقيّة، ولا فرق في ثبوته بين وجود الموضوع في الخارج وعدمه، وإنّما يكون قوام الحكم بفرض وجود الموضوع. فإذا قال الشارع: شرب الخمر حرام -مثلاً- فليس معناه أنّ هنا خمرًا في الخارج. ورفع هذا الحكم في هذه المرحلة لا يكون إلا بالنّسخ.

- **الثاني:** ثبوت ذلك الحكم في الخارج؛ بمعنى أنّ الحكم يعود فعليًا بسبب فعلية موضوعه خارجًا، كما إذا تحقّق وجود الخمر في الخارج، فإنّ الحرمة المجعولة في الشريعة للخمر تكون ثابتة له بالفعل، وهذه الحرمة تستمرّ باستمرار موضوعها، فإذا انقلب خلاًّ فلا ريب في ارتفاع تلك الحرمة الفعلية التي ثبتت له في حال خمريتّه، ولكنّ ارتفاع هذا الحكم ليس من النّسخ في شيء[١].

ويعرّفه العلامة الطباطبائي بأنّه: «الإبانة عن انتهاء أمد الحكم وانقضاء أجله»[٢].

وعرّفه العلامة معرفت بأنّه: «رفع تشريعٍ سابق -كان يقتضي الدّوام حسب ظاهره- بتشريعٍ لاحق، بحيث لا يمكن اجتماعهما معًا، إمّا ذاتًا، إذا كان التنافي بينهما بيّنًا، أو بدليلٍ خاص، من إجماعٍ أو نصٍّ صريح»[٣].

وإذا أردنا أن نبسِّط فكرة النّسخ؛ فهي وفق الآتي:

يصدر حكم شرعي أوّل؛ كالتوجّه إلى بيت المقدّس على سبيل المثال، ثمّ يصدر حكم آخر ناظر إلى الحكم الأوّل ورافع له؛ كالتوجّه إلى البيت الحرام، فالأوّل يسمّى الحكم المنسوخ والثاني الحكم الناسخ، وينتج عن هذه العملية الآتي:

---

[١]- انظر: الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص٢٧٦-٢٧٧.

[٢]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١، ص٢٤٩.

[٣]- معرفت، التمهيد في علوم القرآن، م.س، ج٢، ص٢٦٧.

- **أوّلًا:** وقْفُ العمل بالحكم السابق؛ وهو التوجّه في الصلاة إلى بيت المقدس.

- **ثانيًا:** إحلال حكم آخر مكان الأوّل؛ مثل التوجّه إلى المسجد الحرام بدل التوجّه إلى بيت المقدس؛ بمعنى أنّ النّص الأوّل يبقى نصًّا قرآنيًّا وما يُنسخ هو الحكم فقط؛ لأنّ علماء الإمامية -كما سيأتي- لا يوافقون على نسخ التلاوة؛ أي رفع النّص القرآنيّ.

- **ثالثًا:** لا بدّ أن يكون ظاهر النصّ الأوّل يقتضي الدوام، لا أن يكون محدّدًا من البداية بأمد معينّ؛ أيّ لولا ورود النصّ الثاني؛ وهو التّوجه إلى المسجد الحرام في مثالنا، لكانَ العمل بالنّص الأوّل؛ وهو الصلاة إلى بيت المقدّس هو المتعينّ؛ لأنّ ظاهره الدوام.

- **رابعًا:** لا بدّ من وجود حكمة قصدها الشارع المقدّس من عملية النّسخ؛ سواء تبينّ لنا ذلك أم لا.

وقد ذُكرت شروط متعدّدة للنسخ؛ منها: تحقّق التنافي بين تشريعين وقعا في القرآن؛ بحيث لا يمكن اجتماعهما في تشريع مستمرّ، تنافيًا ذاتيًا، ومنها: أن يكون التنافي كلّيًّا على الإطلاق، لا جزئيًّا، ومنها: أنْ لا يكون الحكم السابق محدّدًا بأمدٍ صريح، ومنها: أن يتعلّق النّسخ بالتّشريّعيات، وغير ذلك[١].

ثانيًا: النسخ في كلام المستشرقين

كتب جماعةٌ من المستشرقين الكتب والمقالات في مسألة النسخ في الإسلام، وخاصّة النسخ في القرآن، واعتبروا أنّ ذلك كان وسيلة للنبيّ لتغيير الأحكام السابقة والعدول عنها، واعتبروا كذلك أنّ من الأسباب التي أدَّتْ إلى ظهور فكرة الناسخ والمنسوخ بين المسلمين تبرير التناقضات في القرآن، والاختلاف بين القرآن والسنّة، واختلاف فتاوى الفقهاء[٢].

---

[١]- انظر: معرفت، التمهيد في علوم القرآن، م.س، ج٢، ص٢٧٢- ٢٧٥.

[٢]- انظر: الحاجّ، نقد الخطاب الاستشراقي، م.س، ج١، ص٣٨٦.

وقد اعترض المستشرقون على النّسخ واعتبره بعضهم دليل على بشريّة النّص القرآني؛ ومن هؤلاء:

١. منتجمري وات

ذكر المستشرق «مونتجمري وات» في مؤلّفه «محمّد» أنّ مفهوم النّسخ فيه نحو من تصويب للنصّ، فيقول: «وربّما يكون قد حاول -أي النبيّ محمّد- أن يُصوَّب النّص إذا أحسَّ أنّ النصَّ الموحى به يحتاج إلى إصلاح»[١].

٢. أجنتس جولدتسيهر

أرجع المستشرق جولدتسيهر النّسخ في القرآن إلى التطوّر الداخليّ فيه، وأنّ النبيّ اضطرّ لذلك، فقال: «إنّ الرّسول نفسه قد اضطرّ بسبب تطورّه الداخلي الخاصّ، وبحكم الظروف التي أحاطت به إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة، إلى أن يعترف أنّه يُنسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه إليه»[٢].

٣. رودنسون

أشار المستشرق رودنسون (**Rodinson**)، في مؤلّفه «محمّد» إلى تلك الآراء التي صرّح بها ريتشارد بل (**R. Bell**)، حيث قال: «إنّ القرآن الموجود بين أيدينا قد تعرّض إلى مراجعات عديدة، والتي حسب رأيه تبينّ أنّها خضعت لدراسة قامت على وثائق مكتوبة، وأنّ هذا العمل قد أنجز تحت رعاية محمّد؛ وإنْ لم يكن قد قام به من تلقاء نفسه... (ثمّ يخرج في قوله باستنتاجين متباينين، فيعلن): «أنّ هذه المراجعات لم تكن خالية من الأخطاء والنتائج السيّئة. فالله يعيد وحيه ويعدّله... ولكنّ الله أجاب بأنّه يملك الحرّيّة المطلقة في فعل ما يشاء وتعديل رسالته كيفما يبتغي. ألم تكن حكمة الله اقتضت مراعاة الضعّف الذي يعتري البشر، فيخفّف من الواجبات الملقاة عليهم، وذلك بنسخها، وإحلال أحكام أخرى أخفّ منها لمصلحتهم؟»[٣].

[١]- وات، محمّد في مكّة، م.س، ص١٢٢.

[٢]- جولدتسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، م.س، ص٣٣.

[٣]- الحاجّ، نقد الخطاب الاستشراقيّ، م.س، ج١، ص٣٨٥.

٤. روبير برونشنج

يرى المستشرق «روبير برونشنج» أنّ النّسخ في القرآن هو بسب التناقض الذي يظهر بين الآيات ولتجاوز التناقض شُرِّع النّسخ، ويرى أيضًا أنّه لا يمكن القبول بتغيير أو تبديل الأحكام الإلهية الصادرة من الله تعالى المتصف بالحكمة والخلود[١].

فهو يدّعي أنّ القرآن من تأليف النبيّ؛ فهو يبدّل ويغيّر فيه كيفما شاء، والسبب في ذلك اعتقاد هؤلاء أنّ القرآن هو من صنع محمّد وليس وحيًا إلهيًّا.

٥. جون بروتون

يعتقد جون بورتون؛ وهو أشهر مستشرق تناول بحث النسخ، وهو أستاذٌ سابق في جامعة سانت أندروز، أنّ بعض الآيات حُذفت أثناء جمع القرآن، وما النسخ إلاّ لتبرير ذلك.[٢] وهذا التصوُّر نقرؤه أيضًا في كتاب «محمّد في مكّة»، لمونتغمري واط؛ إذ يقول مثلاً: «أصبح نسخ حكم الآية وبقاء تلاوته أمرًا مشروعًا ومعتبراً في بعض الموارد التي أُهملت الأحكام المستنبطة من آيات القرآن بقصد مطابقتها لأحكام الفقه»[٣]، معتبرًا أنّ مسألة النسخ ومصاحف الصحابة عللٌ تقتضي عدم انتساب جمع القرآن إلى النبيّ[٤].

٦. روبرت برانس جيف

تعرَّض روبرت برانس جيف، في كتابه: «دراسات إسلامية»، وفي هامش موضوع «المنطق والقانون في الإسلام»، بصورةٍ مختصرة لبحث النسخ، حيث يعتقد «أنّ المسلمين أدخلوا النسخ إلى القرآن؛ بوصفه معيارًا قانونيًا؛ لإلغاء

---

[١]- الحاجّ، نقد الخطاب الاستشراقيّ، م.س، ج١، ص٣٨٥.

[2]- Burton, John: The collection of the quran, London, Cambridge University Press, 1979, P.50.

نقلاً عن: بيدگلي؛ وآخرون، «إنكار النسخ في القرآن الكريم نظرة تاريخيَّة»، ص٤١٧-٤١٨.

[٣]- شريفي، بررسي ونقد ديدگاه هاي مستشرقان درباره نسخ در قران كريم [بحث ونقد نظريَّات المستشرقين حول النسخ في القرآن الكريم]، ص٩١.

[٤]- م.ن، ١١٨.

التناقضات الموجودة في النصوص القرآنيّة»[١].

لقد استخدم المستشرقون مسألة النسخ، وخصوصًا في القرن الأخير، سلاحًا يرمون به القرآن، ويتّهمونه بالاختلاف والتناقض والتحريف. وإذا دقّقنا النظر قليلاً، فسوف نرى أنّ منكري النسخ في هذا القرن قريبون للاتّفاق على هذه المسألة. ويمكن القول: إنّ إنكار النسخ من كثيرٍ من هؤلاء هو نوعٌ من الدفاع عن القرآن وصيانته، ودفعٌ للاتهامات والشبهات التي تستهدفه، تلك الشبهات التي تتأتّى من قبول النسخ في القرآن، وما «شبهة نقصان القرآن وتحريفه» إلاّ واحدة منها.

ومن خلال المراجعة والتمحيص للأقوال المتقدّمة من آراء المستشرقين في النّسخ نستنتج النقاط الآتية:

- اعتبارهم أنّ النّسخ إنمّا هو أداة أو وسيلة استغلّها الرسول لتغيير أحكام كان قد أصدرها، ثمّ ما لبث أن أدرك عدم مسايرتها للأوضاع الجديدة، وكذا عدم فاعليّتها في حلّ المشاكل المستجدّة.

- التّغيير حسب ادعاءهم كان بيد الرسول ولكنّه صلى الله عليه وآله ينسبه إلى الله تعالى.

- وجود فكرة النسخ هي لإلغاء التناقضات الموجودة في النصوص القرآنيّة.

- النسخ لتبرير الآيات التي حذفت أثناء جمع القرآن.

- يزعم هؤلاء أيضًا أنّه لا يمكن أن تصدر الأحكام ثمّ تنسخ من قبل الله، فهذا لا ينسجم مع عالم الغيب، والذي يعلم مسبقًا عدم ملاءمة هذه الأحكام للأوضاع المستقبلة، فالنّسخ مخالف للعلم والحكمة، ومن هنا انتهى الأمر بهم إلى القول ببشريّة النصّ القرآنيّ.

---

[1]- Brunschvig, Robert: Etudes d'islamologie, Paris, Maisonneuve et Larose, 1979, 2: 347–348.

نقلاً عن: بيدگلي؛ وآخرون، «إنكار النسخ في القرآن الكريم نظرة تاريخيّة»، م.س، ص٤١٧-٤١٨.

الأفكار الرئيسة:

- النسخ هو رفع أمر ثابت في الشريعة المقدّسة بارتفاع أمده وزمانه.

- ذُكرت شروط متعدّدة للنسخ؛ منها: تحقّق التنافي بين تشريعين وقعا في القرآن؛ بحيث لا يمكن اجتماعهما في تشريع مستمرّ، تنافيًا ذاتيًا، ومنها: أن يكون التنافي كلّيًّا على الإطلاق، لا جزئيًا، ومنها: أنْ لا يكون الحكم السابق محدّدًا بأمدٍ صريح، ومنها: أن يتعلّق النّسخ بالتّشريّعيات، وغير ذلك.

- كتب جماعةٌ من المستشرقين الكتب والمقالات في مسألة النسخ في الإسلام، وخاصّة النسخ في القرآن.

- اعترض المستشرقون على النّسخ واعتبره بعضهم دليل على بشريّة النّص القرآني؛ ومن هؤلاء: منتجمري وات، وأجنتس جولدتسيهر، ورودنسون، وروبير برونشنج، وجون بروتون، وروبرت برانس جيف، ...

- من خلال المراجعة والتمحيص لآراء المستشرقين في النّسخ نستنتج النقاط الآتية:

- اعتبارهم أنّ النّسخ إنّما هو أداة أو وسيلة استغلّها الرسول لتغيير أحكام كان قد أصدرها، ثمّ ما لبث أن أدرك عدم مسايرتها للأوضاع الجديدة، وكذا عدم فاعليّتها في حلّ المشاكل المستجدّة.
- التّغيير حسب ادعاءهم كان بيد الرسول ولكنّه ﷺ ينسبه إلى الله تعالى.
- وجود فكرة النسخ هي لإلغاء التناقضات الموجودة في النصوص القرآنيّة.
- النسخ لتبرير الآيات التي حذفت أثناء جمع القرآن.
- النسخ يستلزم القول ببشريّة النصّ القرآنيّ.

فكِّر وأَجِب:

١. ما المراد بالنسخ؟ وما هي شروطه؟

٢. بيّن معنى النسخ في كلمات المستشرقين بالنسخ ؟

٣. ما هي خلفية اهتمام المستشرقين بالنسخ؟

٤. ما هو تقييمك لنظرة المستشرقين إلى قضية النسخ.

الدرس الخامس والعشرون

النسخ في دراسات المستشرقين (٢)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يشرح ويناقش شبهة منافاة النسخ للعلم والحكمة الإلهيّتين.

٢. يرد ما ذكره المستشرقون من أنّ «النّسخ نظريّة جاء بها المسلمون لإزالة التعارض بين الآيات المتناقضة».

٣. يفهم جواب العلامة الطباطبائي في التنافي بين النصوص.

شبهات المستشرقين على النسخ

من خلال تتبع آراء المستشرقين، نرصد ثلاث شبهات أساسيّة أثاروها على النسخ، نستعرض منها شبهتين في هذا الدرس، على أن نستكمل الشبهة الثالثة في الدرس اللاحق.

أوّلًا: الشبهة الأولى: «منافاة النسخ للعلم والحكمة الإلهيّتين»

١. بيان الشبهة

لا يصحّ أن يكون في كلام الله ناسخ ومنسوخ؛ لأنّ الناسخ والمنسوخ في كلام الله هو ضدّ حكمته وصدقه وعلمه، فالإنسان لقصور عنده يضع قوانين ويغيّرها ويبدلّها بحسب ما يبدو له من أحوال وظروف. لكنّ الله يعلم بالأشياء قبل حدوثها.

وهذه الشبهة على النّسخ قديمة وقد أوردها اليهود على أصل النّسخ وتقريرها: أنّ النّسخ يستلزم إمّا البَدَاء (أي الجهل)، وإمّا العبث؛ وكلاهما لا يصحّ نسبتهما إلى الله تعالى.

فالنّسخ يستلزم الباطل، وكلّ ما يستلزم الباطل، فهو باطل؛ فالنتيجة تكون أنّ النّسخ باطل.

بيان وجه الملازمة

تشريع الحكم من الله تعالى لا بدّ أن يتضمّن مصلحة ما، فالتّشريع من دون مصلحة يتنافي مع حكمة الشارع.

فرفع الحكم الثابت بحكم آخر؛ وهو ما نسمّيه الناسخ: إمّا أن يكون مع بقاء المصلحة وعلم الشارع بذلك؛ فهذا ينافي الحكمة ويلزم منه العبثيّة في التّشريع.

وإمّا مع عدم علمه بالمصلحة الواقعيّة؛ وهو البَدَاء؛ بمعنى انكشاف المصحلة الجديدة أمامه؛ وهو ما يتحقّق في القوانين الوضعيّة.

وبالنتيجة: وعلى كلا الفرضين يكون وقوع النّسخ في الشريعة محالاً؛ لأنّه يستلزم المحال. إمّا البَدَاء وإمّا العبث؛ وهما محالان على اللّه؛ لأنّهما نقص لا يتّصف بهما[١].

٢. جواب الشبهة

للردّ على الشبهة نقدِّم مقدِّمة مختصرة عن تقسيم الأحكام، فالحكم المجعول من الشارع يقسم إلى قسمين رئيسين؛ هما:

- **الأوّل:** الحكم المجعول الذي لا يكون وراءه بعث وزجر حقيقيّان؛ كالأوامر والنواهي التي تجعل ويقصد بها الامتحان ودرجة الاستجابة. وهذا ما نسميّه بالحكم الامتحاني.

- **الثاني:** الحكم المجعول الذي يكون بداعٍ حقيقي من البعث والزّجر، حيث يقصد منه تحقيق متعلّقة بحسب الخارج. وهذا ما نسميّه بالحكم الحقيقي.

والقسم الأوّل دوره ينتهي بالامتحان نفسه، فيرتفع حين ينتهي الامتحان؛ لحصول فائدته وغرضه.

---

[١]- انظر: الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص٢٧٩.

والقسّم الثاني من الحكم، يمكن أن نلتزم بالنّسخ فيه دون أن يستلزم ذلك شيئًا من البَدَاء أو العبث ومخالفة الحكمة، حيث يمكن أن نضيف فرضًا ثالثًا إلى الفرضين اللذين ذكرتهما الشبهة. وهذا الفرض هو: أن يكون النسخ لحكمة كانت معلومة للّه سبحانه من أوّل الأمر ولم تكن خافية عليه، وإنْ كانت مجهولة عند الناس غير معلومة لديهم، فلا يكون هناك بَدَاء؛ لأنّه ليس في النّسخ من جديد على اللّه؛ لعلمه سبحانه بالحكمة مسبقًا؛ كما أنّه لا يكون عبث لوجود الحكمة في متعلّق الحكم الناسخ وزوالها في متعلّق الحكم المنسوخ، وليس هناك ما يشكّل عقبة في طريق تعقّل النّسخ هذا... إلا الوهم الذي يأبى تصوّر ارتباط مصلحة الحكم بزمان معينّ بحيث تنتهي عنده. أو الوهم الذي يرى في كتمان هذا الزمان المعينّ عن الناس جهلاً من اللّه بذلك الزمان. وهذا الوهم يزول حين نلاحظ بعض النّظائر الاجتماعية التي نرى فيها شيئًا اعتياديًا ليس فيه من المحال أثر ولا من العبث والبَدَاء. فالطبيّب حين يعالج مريضًا ويرى أنّ مرحلة من مراحل المرض التي يجتازها المريض يصلح لها دواء معينّ فيصف له هذا الدواء لمدّة معيّنة، ثمّ يستبدله بدواء آخر يصلح لمرحلة أخرى... لا يوصف عمله بالعبث والجهل[1].

فالحكمة في النّسخ هي الأساس الأوّل لمشروعيّته، وهذه الحكمة تتجلّى في تحقيق مصالح الناس التي هي المقصود الأصلي في تشريع الأحكام؛ لأنّ هذه المصالح قد تختلف باختلاف الأحوال والأزمان. فإذا شُرِّع حكم لتحقيق مصلحة، ثمّ زالت تلك المصلحة كان المناسب لذلك أن ينتهي الحكم الذي شُرِّع لها. ولذلك فليس في النصّ القرآني ما يمكن تسميته نسخ مخالف للحكمة أو موجب للعبث.

[١]- انظر: الحكيم، علوم القرآن، م.س، ص١٩٦-١٩٩.

ثانيًا: الشبهة الثانية: «النّسخ نظريّة جاء بها المسلمون لإزالة التعارض بين الآيات المتناقضة»

١. بيان الشبهة

من المعروف أن التّعارض بين النّصّين لا يوجب النّسخ بينهما؛ ما لم يصل الأمر إلى درجة التناقض؛ لأنّه قد يُرفع التعارض؛ كما هو معروف في علم الأصول من خلال التخصيص، أو التّقييد، أو غير ذلك.

والسؤال الأساس كيف يمكن حلّ شبهة ملازمة النّسخ لبشريّة النّص القرآني؟ لأنّنا نفترض تناقضًا بين الآيات. ومن المعروف أنّه لا اختلاف بين الآيات القرآنيّة؛ فضلاً عن تناقضها.

٢. جواب الشبهة

يكمن الرافع للتنافي بين الناسخ والمنسوخ بعد استقراره بينهما بحسب الظهور اللّفظي، في الحكمة والمصلحة الموجودة بينهما. وقد ميّز العلامة الطباطبائي بين الرافع للتنافي الحاصل بين الناسخ والمنسوخ من جهة، وبين الرافع للتّنافي الحاصل بين العامّ والخاصّ، والمطلق والمقيّد، والمجمل والمبيّن من جهة أخرى؛ باعتبار الثاني هو قوّة الظهور الموجودة في الخاصّ والمقيّد والمبيّن بالنسبة لما يقابلها من العامّ والمطلق والمجمل[١].

فالناسخ يشتمل على ما في المنسوخ من كمال ومصلحة، فتكون الآية المتأخّرة

---

[١]- انظر: الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١، ص٢٥٠.

ناسخة لحكم الآية المتقدّمة، فالرافع للتنافي بين الناسخ والمنسوخ هو الحكمة والمصلحة التي يشتمل عليها.

ولا يرى العلامة الطباطبائي ثمّة تعارض أو تناقض في النّسخ، فيقول: «النّسخ كما أنّه ليس من المناقضة في القول؛ وهو ظاهر، كذلك ليس من قبيل الاختلاف في النظر والحكم، وإنّما هو ناشئ من الاختلاف في المصداق؛ من حيث قبول انطباق الحكم يومًا لوجود مصلحته فيه وعدم قبوله الانطباق يومًا آخر لتبدّل المصلحة من مصلحة أخرى توجب حكمًا آخر، ومن أوضح الشواهد على هذا أنّ الآيات منسوخة الأحكام في القرآن مقترنة بقرائن لفظية تومىء إلى أنّ الحكم المذكور في الآية سينسخ؛ كقوله تعالى: ﴿**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا**﴾ (النساء: ١٥).

يقول العلامة الطباطبائي: انظر إلى التلّويح الذي تعطيه الجملة الأخيرة[١]، والآيات المنسوخة، كما يرى الطباطبائي لا تخلو من إيماء إلى النّسخ، كما في قوله تعالى: ﴿**فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾ (البقرة: ١٠٩)، المنسوخ بآية القتال، وقوله تعالى: ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا**﴾ (النساء: ١٥)، المنسوخ بآية الجلد، فقوله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾، وقوله: ﴿**أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا**﴾، لا يخلو من إشعار بأنّ الحكم مؤقّت مؤجّل سيلحقه نسخ.

بهذا أجاب العلامة الطباطبائي على ما يعنيه التّنافي بين النصوص، أو على ما

[١]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ص٦٩.

إذا اقتضى أحد الدليلين المتساويين في القوّة نقيض ما يقتضيه الآخر، إذ هو يرى أنّ التّعارض هو في الظاهر، وليس تعارضًا حقيقيًا؛ لأنّ كلام الله تعالى منزّه عن الاختلاف[١]، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيراً**﴾ (النساء: ٨٢). «ففي الواقع لا يوجد تعارض حقيقي بين آيات الكتاب، إذ أنّ ترتّب النّسخ على وقوعه دليل، على أنّه لم يبقَ بين النّصين تعارض حقيقي؛ من حيث إنّ الحكمين أحدهما منسوخ بالآخر يجب أن يختلف زمن العمل بهما، فاتّحاد الزمان بين الحكمين، وهو شرط لتحقّق التعارض، مانع من النّسخ، واختلاف الزمن فيهما، وهو شرط لوقوع النّسخ، مانع من التعارض»[٢].

[١]- لمزيدٍ من التفصيل في النسخ في القرآن عند العلاَّمة الطباطبائيّ، انظر: فرد، علوم القرآن عند العلاَّمة آية الله السيِّد محمّد حسين الطباطبائيّ(قده) دراسة مقارنة، النسخ عند الطباطبائيّ.

[٢]- الأوسي، الطباطبائيّ ومنهجه في التفسير، ص٢٢٥.

الأفكار الرئيسة:

- من خلال تتبع آراء المستشرقين، نرصد شبهتين اثنين أساسيّتين على النسخ؛ هما: شبهة «منافاة النسخ للعلم والحكمة الإلهيّتين»، وشبهة «النّسخ نظريّة جاء بها المسلمون لإزالة التعارض بين الآيات المتناقضة».

- بيان الشبهة الأولى: وقوع النّسخ في الشريعة محالاً؛ لأنّه يستلزم المحال. إمّا البَدَاء وإمّا العبث؛ وهما محالان على اللّه؛ لأنّهما نقص لا يتّصف بهما.

- جواب الشبهة الأولى: أنّ النسخ لحكمة كانت معلومة للّه سبحانه من أوّل الأمر ولم تكن خافية عليه، وإنْ كانت مجهولة عند الناس غير معلومة لديهم، فلا يكون هناك بَدَاء؛ لأنّه ليس في النّسخ من جديد على اللّه؛ لعلمه سبحانه بالحكمة مسبقًا؛ كما أنّه لا يكون عبث لوجود الحكمة في متعلّق الحكم الناسخ وزوالها في متعلّق الحكم المنسوخ.

- بيان الشبهة الثانية: كيف يمكن حلّ شبهة ملازمة النّسخ لبشريّة النّص القرآني؟ لأنّنا نفترض تناقضًا بين الآيات. ومن المعروف أنّه لا اختلاف بين الآيات القرآنيّة؛ فضلاً عن تناقضها.

- جواب الشبهة الثانية: يكمن الرافع للتنافي بين الناسخ والمنسوخ بعد استقراره بينهما بحسب الظهور اللّفظي، في الحكمة والمصلحة الموجودة بينهما. فالناسخ يشتمل على ما في المنسوخ من كمال ومصلحة.

- التّعارض بين الناسخ والمنسوخ هو في الظاهر، وليس تعارضًا حقيقيًا؛ لأنّ كلام الله تعالى منزّه عن الاختلاف؛ فاتّحاد الزمان بين الحكمين، وهو شرط لتحقّق التعارض، مانع من النّسخ، واختلاف الزمن فيهما، وهو شرط لوقوع النّسخ، مانع من التعارض.

فكِّر وأَجِب:

١. إشرح المراد بشبهة المستشرقين بـ«منافاة النسخ للعلم والحكمة الإلهيّتين».

٢. ناقش ورد شبهة المستشرقين بـ«منافاة النسخ للعلم والحكمة الإلهيّتين».

٣. إشرح المراد بشبهة المستشرقين بأنّ «النّسخ نظريّة جاء بها المسلمون لإزالة التعارض بين الآيات المتناقضة».

٤. ناقش مرتكزات شبهة «النّسخ نظريّة جاء بها المسلمون لإزالة التعارض بين الآيات المتناقضة».

الدرس السادس والعشرون

النسخ في دراسات المستشرقين (٣)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على أقسام النسخ، وعلى الجائز منه والمرفوض.

٢. يتعرّف على شبهة نسخ التلاوة التي تمسّك بها المستشرقون.

٣. يفنِّد هذه الشبهة ويبطلها.

شبهات المستشرقين على النسخ

الشبهة الثالثة: «شبهة نسخ التلاوة»

من المباحث التي تطرح عادة في مباحث النسخ هو «مبحث نسخ التلاوة»، وجملة من علماء الإمامية وبعض الباحثين في مجال علوم القرآن الكريم يدرجون هذا المبحث في مباحث تحريف القرآن أو صيانة القرآن من التحريف؛ لأنّهم يعتبرون أنّ هذا النوع من النسخ هو القول بالتحريف بالنقيصة، ولكنّ علماء أهل السنّة يدرجون هذا البحث في مباحث النسخ؛ باعتبار أنّه نوع من أنواع النسخ المقبول عندهم. ولذا أدرجنا البحث في مباحث النسخ.

أوّلًا: معنى نسخ التلاوة

قالوا النسخ في القرآن يقع على ثلاثة أقسام:

١. نسخ التلاوة مع بقاء الحكم الشرعي

٢. نسخ الحكم الشرعي مع بقاء التلاوة

٣. نسخ الحكم والتلاوة معًا[١].

ثانيًا: الأدلّة على نسخ التلاوة

استدلّ بعض علماء أهل السنّة على فكرة نسخ التلاوة بآيتين؛ هما:

- الأولى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (البقرة: ١٠٦).

---

[١]- انظر: الشيرازيّ، اللمع في أصول الفقه، ج١٠، ص٢٩.

فيكون المعنى -بحسب زعمهم- ما ننسخ من آية من آيات القرآن أو نمحها من الأذهان، نأتِ بآيات قرآنية خير منها أو مثلها.

- الثانية: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (النحل: ١٠١).

فيكون المعنى فيها أيضًا: إذا بدّلنا آية من آيات سور القرآن مكان آية أخرى.

وبتبنّي علماء أهل السنّة لفكرة نسخ التلاوة يتمكّنون -حسب زعمهم- من حلٍّ للرّوايات التي تحدّثت عندهم عن نقصان القرآن الكريم، وقالوا: إنّها نسخت تلاوتها، أي أنّ الله سبحانه كان قد أنزل على نبيّهﷺ تِلكم الآيات والسور، ثمّ نسخها مع حكمها أو بدون حكمها.

ثالثًا: نفي دلالة الآيتين على نسخ التلاوة

ذهب بعض علماء الإمامية إلى أنّ هاتين الآيتين لا تدلّان على نسخ التلاوة أصلاً؛ وذلك لأمور، منها:

١. أنّ لفظ «آية» في قوله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ...**﴾ إذا ورد في القرآن الكريم بصيغة المفرد فإنّه يراد به الأمر العظيم الخارق للعادة، لا الفقرة القرآنيّة.

٢. ولو سُلِّمَ، أنّ قوله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ...**﴾ المراد به النسخ، فقد ورد في مقام التعريض بأهل الكتاب والمشركين، فلا بدّ وأن يراد به نسخ ما ورد في الشرائع السابقة؛ لأجل هذه القرينة السياقية. وسياق الآيات هو الآتي: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ (البقرة: ١٠٦-١٠٨).

فمع وجود هذه القرائن قبل الآية وبعدها نعلم أنّ المقصود من الآية ها هنا هو

تبديل استقبال بيت المقدس في الصلاة بحكم استقبال الكعبة فيها، ومن ثمّ ندرك أنّ المقصود من تبديل آية مكان آية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ...﴾ تبديل حكم استقبال بيت المقدس في الصلاة بحكم استقبال الكعبة فيها، أو نظائره[١].

رابعًا: نماذج مدّعاة لنسخ التلاوة

أورد علماء أهل السنّة نماذج كثيرة على نسخ التلاوة، نذكر منها:

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عباس: قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أنّ الله قد بعث محمّدا صلى الله عليه [وآله] وسلم بالحقِّ، وأنزل عليه الكتاب، فكان ممّا أنزل عليه آية الرجم، قرآناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، ورجمنا بعدَه، فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجمَ في كتاب الله، فيضلُّوا بترك فريضة أنزلها الله، وأنّ الرجمَ في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أحصَن من الرجال والنساء، إذا قامت البيّنة، أو كان الحبل، أو الاعتراف[٢].

ومنها: آية: «لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم» ثبت في صحيح البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب في خطبته المشهورة قوله: «ثمّ إنّا كنّا نقرأ في ما نقرأ من كتاب الله أنْ: (لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم)، أو (أنّ كفرًا بكم أن ترغبوا عن آبائكم)»[٣].

بعد هذا البيان لا نستطيع توجيه اللوّم إلى المستشرقين، لذهابهم إلى القول بالتحريف استنادًا إلى فكرة «نسخ التلاوة» الموجودة في كتب أهل السنّة، ولا بدّ من رفضه نظرًا للوازمه الباطلة وهي التحريف الذي هو أمر باطل بالإجماع، وللأسف لا يقبل بعض الباحثين حتى النقاش في أصل فكرة نسخ التلاوة، فيقول: «إنّ من

[١]- انظر: العسكري، القرآن الكريم وروايات المدرستَيْن، م.س، ج٢، ص٣٥١ وما بعدها؛ مرتضى العامليّ، حقائق هامَّة حول القرآن، ص٣١٤.

[٢]- البخَّاري، صحيح البخَّاري، م.س، ح٦٨٣٠؛ ابن الحجَّاج القشيري النيسابوريّ، صحيح مسلم، م.س، ح١٦٩١.

[٣]- البخَّاري، صحيح البخَّاري، م.س، ح٦٨٣٠.

أبرز سمات أهل الأهواء -في هذا الزمان- معاداة صحيحِ السنّة النبوية، والتذرُّعَ إلى إبطالها بأدنى ملابسة وأهون الأسباب، بل وجعل الأهواءِ والعقول البشرية القاصرة حاكمةً عليها قبولاً وردًا،... ومن تلك البابة: مسألةُ نسخ التلاوة مع بقاء الحكم الشرعيّ، حيث لا يفتأ أهل الأهواء ينكرونها قديمًا وحديثًا، ولا يقتصر الأمر على مجرَّد الإنكار، بل يتعدَّى إلى رمي ما صحَّ من الأحاديث في إثباتها بأقذع الألفاظ وأسوأ العبارات»[١].

خامسًا: رأي المستشرقين في نسخ التلاوة

استغلّ المستشرقون طرح أهل السنّة وتبريرهم لوقوع نسخ التلاوة؛ ليشنِّعوا على القرآن الكريم ويلصقوا به تهمة التحريف بالنقيصة.

فقد سعى المستشرق جون برتون في بحث نسخ التلاوة وبقاء الحكم، إلى الإشارة إلى تأثير بعض الآراء الأصوليَّة للشافعي في ظهور هذا الشكل من النسخ وتكوُّنه؛ فقد بيّن آية الرجم بالتفصيل، وذكر بهذا الصدد مطالب كثيرة حول هل إنّ مصدر عقوبة الرجم هو القرآن أو السنّة[٢].

وربط المستشرق جون جلكريست بين نسخ التلاوة وجمع القرآن؛ حيث فقدت نصوص كثيرة من القرآن النازل أولاً ونسخ بما نزل لاحقًا، فلم يدوّن في القرآن الذي جُمع لاحقًا[٣].

وقد فهم النسخ من قوله تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ**

---

[١]- «نسخ التلاوة دون الحكم والردّ على شبهات المنكرين».

[٢]- انظر:

Burton ((Abrogation)) Encyclpaedia Of The Quran, Vol.1, P.17.

[٣]- انظر:

Gilchrist, John, Jam Al Quran, P.282.

مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٠٦)؛ بأنّه حذف وإلغاء ورفع الآية من القرآن كلّيًّا وتغيير النصّ؛ فيقول: «هنالك مقاطع قرآنيّة أخرى تدعم التأويل الواضح، من بينها: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (النحل: ١٠١)، هذه الآية تدلّ بوضوح على استبدال وحذف بعض النصوص من القرآن نفسه، فهي لا تقول إنّ الله استبدل كتابًا معينًا (التوراة والإنجيل) بكتاب آخر، بل استبدل آية بأخرى»[١].

وتمثّل جلكريست لنسخ التلاوة في القرآن بما ورد من حديث عن عمر بن الخطاب ادّعى فيه نسخ تلاوة آية من القرآن؛ وهي آية الرجم! فيقول: «لا تعنينا هنا الانعكاسات أو التطمينات اللاهوتية والشرعيّة لمبدأ النسخ، ولكن ما يعنينا فقط هو الجمع الفعلي للنصّ القرآني نفسه. السؤال هنا هو هل كانت هذه الآية مرّة جزءًا من النصّ القرآني أو لا، وإذا كانت جزءًا فلماذا هي الآن محذوفة من صفحاتها؟!»[٢].

وقد عنون نولدكه أحد موضوعات كتابه: «تاريخ القرآن» بعنوان: «ما لا يتضمّنه القرآن ممّا أوحي إلى محمّد»، وذكر فيه كثيرًا من الشواهد التي أفادها من بعض الروايات التي وردت في كتب الحديث والتفسير عند أهل السنّة؛ كآية الرغبة، وآية الرضاع، وآية الرجم، ...[٣].

سادسًا: رأي علماء الإماميّة في نسخ التلاوة

رفض علماء الإمامية «نسخ التلاوة» واعتبروه ضربًا من التحريف؛ لأنّ هناك ملازمة واضحة بين القول بنسخ التلاوة؛ الذي هو «رفع الآية من المصحف الشريف بعد نزولها»، وبين التحريف بالنقيصة. يقول السيد الخوئي: «نسخ التلاوة

---

[1]- Ibid, P.85.

[2]- Gilchrist, John, Jam Al Quran, P.282.

[٣]- انظر: نولدكه، تاريخ القرآن، م.س، ص٢١١-٢٢٨.

دون الحكم: قد مثّلوا لذلك بآية الرّجم فقالوا: إنّ هذه الآية كانت من القرآن، ثمّ نُسخت تلاوتها وبقي حكمها، وقد قدّمنا لك في بحث التحريف أنّ القول بنسخ التلاوة هو نفس القول بالتحريف، وأوضحنا أنّ مستند هذا القول أخبار آحاد وأنّ أخبار الآحاد لا أثر لها في أمثال هذا المقام»[١].

ويقول العلامة معرفت: هناك مزعومة لهج بها كثير من أصحاب الحديث وجماعة من أصوليّ العامّة، حاولوا معالجة ما صحّ لديهم من روايات تنمّ عن ضياع كثير من آي القرآن، فحاولوا توجيهها بأسلوب مُختلَق، قالوا: إنّها من منسوخة التلاوة، ولو فرض الحكم باقيًا مع الأبد. كما في آية «الرضعات العشر» وآية «رجم الشيخ والشيخة» وآية «لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» وغيرهنّ كثير، حسبوها آيات قرآنية، كانت تتلى على عهده صلى الله عليه وآله، لكنّها رفعت في ما بعد ونسيت عن الصدور، وإن بقي حكمها واجب العمل أبدًا. وبهذا الأسلوب الغريب حاولوا توجيه ما عساه كان ثابتًا لديهم من صحاح الأحاديث.

وأمّا علماؤنا المحقّقون فقد شطبوا على روايات كهذه تخالف صريح القرآن، ولم يصحّ لديهم شيء من أسانيدها بتاتًا، ولأنّ كتاب الله العزيز الحميد أعزّ شانًا وأعظم جانبًا من أن يحتمل التحريف[٢]. وقد تقدّم الكلام عن شبهات المستشرقين على آية الرجم وغيرها في مبحث تحريف القرآن الكريم.

وأكّد السيد الخوئي أيضًا: بأنّ نسخ التلاوة هذا إمّا أن يكون قد وقع من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وإمّا أن يكون ممّن تصدّى للزعامة من بعده، فإنْ أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فهو أمر يحتاج إلى الإثبات. وقد اتّفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه، وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب حتى بالسنّة المتواترة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، وعلى ذلك فكيف تصحّ نسبة النسخ إلى النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بأخبار هؤلاء

[١]- الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن، م.س، ص٢٨٣-٢٨٤.

[٢]- انظر: معرفت، صيانة القرآن من التحريف، م.س، ص٢٤-٢٥.

الرواة؟ مع أنّ نسبة النسخ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله تنافي جملة من الروايات التي تضمّنت أنّ الإسقاط قد وقع بعده. وإنْ أرادوا أنّ النسخ قد وقع من الذين تصدّوا للزعامة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله فهو عين القول بالتحريف[١].

فالمسألة لا محيص منها (مانعة خلو)، لا تخلو: إمّا الالتزام بسقوط هذه الروايات وأمثالها من العشرات عن الاعتبار، أو الالتزام بصحّة هذه الروايات واعتبارها ورفعها فوق مستوى الشبهات، وبالتالي «إنّ الالتزام بصحّة هذه الروايات؛ التزام بوقوع التحريف في القرآن»[٢].

فيثبت بذلك سقوط هذه الروايات جميعها عن الاعتبار والنظر العلمي؛ لما تقدّم، ولاصطدامها بالقاعدة المجمع عليها بين المسلمين والتي يجب الاعتماد عليها، ولا يمكن الاستغناء عنها، وهي «عدم وقوع التحريف في القرآن، وأنّ الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله»[٣].

يقول العلامة الطباطبائي: «وأمّا حملهم الرواية وسائر ما ورد في التحريف وقد ذكر الآلوسي في تفسيره أنّها فوق حدّ الإحصاء على منسوخ التلاوة، فقد عرفت فساده، وتحقّقت أنّ إثبات منسوخ التلاوة أشنع من إثبات أصل التحريف»[٤].

---

[١]- انظر: معرفت، صيانة القرآن من التحريف، م.س، ص٢٠٥-٢٠٦.

[٢]- م.ن، ص٢٠١.

[٣]- معرفت، صيانة القرآن من التحريف، م.س، ص٢٠٠.

[٤]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١٢، ص١٢٥.

الأفكار الرئيسة:

- النسخ في القرآن يقع على ثلاثة أقسام: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم الشرعي، ونسخ الحكم الشرعي مع بقاء التلاوة، ونسخ الحكم والتلاوة معًا.

- استدلّ بعض علماء أهل السنّة على فكرة نسخ التلاوة بآيتين من القرآن.

- ذهب بعض علماء الإمامية إلى أنّ هاتين الآيتين لا تدلّان على نسخ التلاوة أصلاً.

- أورد علماء أهل السنّة نماذج كثيرة على نسخ التلاوة؛ كآية الرغبة، وآية الرجم، وآية الرضاع...

- استغلّ المستشرقون طرح أهل السنّة وتبريرهم لوقوع نسخ التلاوة؛ ليشنّعوا على القرآن الكريم ويلصقوا به تهمة التحريف بالنقيصة. ومن هؤلاء المستشرقين: جون برتون، وجون جلكريست، ونولدكه...

- رفض علماء الإمامية «نسخ التلاوة» واعتبروه ضربًا من التحريف؛ لأنّ هناك ملازمة واضحة بين القول بنسخ التلاوة؛ الذي هو «رفع الآية من المصحف الشريف بعد نزولها»، وبين التحريف بالنقيصة.

- يرى علماؤنا المحقّقون أنّ هذه الروايات تخالف صريح القرآن، ولم يصحّ لديهم شيء من أسانيدها بتاتًا، ولأنّ كتاب الله العزيز الحميد أعزّ شانًا وأعظم جانبًا من أن يحتمل التحريف.

فكِّر وأَجِب:

١. ما المراد بنسخ التلاوة؟ وكيف استُدّل عليه من القرآن؟

٢. كيف نردّ ما أثاره المستشرقون حول نسخ التلاوة .

٣. بيّن تأثّر المستشرقين بآراء أهل السنّة ورواياتهم في نسخ التلاوة.

٤. ما الدليل على بطلان نسخ التلاوة بحسب ما استدّل به علماء الإماميّة؟

الدرس السابع والعشرون

ترجمة القرآن عند المستشرقين (١)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يطّلع على اهتمام المستشرقين بترجمة القرآن، وترجماتهم الأولى.

٢. يتعرّف على معنى الترجمة وأقسامها.

٣. يبيّن مشروعيّة الترجمة وشروطها.

أوّلًا: اهتمام المستشرقين بترجمة القرآن

من أبرز جهود المستشرقين في مجال الدراسات القرآنية عنايتهم الخاصّة بترجمة القرآن الكريم إلى أمّهات اللغات العالميّة، وقد جاءت على نحوين:

١. ترجمة كلّيّة لكلّ القرآن الكريم

ففي أوروبا تمّت أوّل ترجمة للقرآن بين عامي (١١٤١-١١٤٣م)، إلى اللغة اللاتينية بتوجيه وبطلب من الأب: (بيتروس فينيرا بيليس) المعروف بـ(بطرس المبجّل).

ونشر المستشرق الإيطالي (أريفاين) أوّل ترجمة من القرآن إلى الإيطالية.

ثمّ ترجم القرآن إلى اللغة الألمانية (شنيجر ألنور مبرجي) عام ١٦١٦م، وأعقبت ذلك ترجمة إلى الفرنسية بقلم (سيور دوريز) في باريس عام ١٦٤٧م.

وفي إيطاليا يبدو أنّ الأب (دومينيك جرمانوس) (١٥٨٨-١٦٧٠م) قام بأوّل ترجمة للقرآن إلى اللاتينية.

وعمل جورج سيل (١٦٩٧-١٧٣٦م) على ترجمة القرآن إلى اللغة الإنكليزية.

وصدرت الترجمة الروسية للقرآن في عام (١٧٧٦م) بفي سنت بطرسبرج (لينينجراد)؛ بينما نجد أنّ أوّل ترجمة علميّة إلى الروسية قام بها (سابلوكوف) (١٨٠٤-١٨٨٠م) عام ١٨٧٨م، ثمّ توالت ترجمة القرآن ترجمة كلّيّة إلى لغات عدّة.

٢. ترجمة جزئيّة لبعض سور القرآن

ترجم القرآن جزئيًا كازيميرسكي البولوني (١٨٠٨-١٨٨٧م) إلى الفرنسية.

وترجم مقاطع عدّة من القرآن إلى الإسبانية المستشرق السويدي سترستين.

ونقل المستشرق الدانماركي بول **(Bull)** أجزاء عدّة من القرآن إلى الدانماركية[1].

---

[١]- انظر: الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنيّة، م.س، ص٦٣-٦٩.

ثانيًا: معنى الترجمة ومشروعيّتها

١. تعريف الترجمة

التَّرْجَمَة أو النَّقْل هي عملية تحويل نصّ أصلي مكتوب (ويسمّى النصّ المصدر) من اللغة المصدر إلى نصّ مكتوب (النصّ الهدف) في اللغة الأخرى. فتعدّ الترجمة نقل للحضارة والثقافة والفكر[١].

وهي بعبارة أوضح: نقل الكلام أو النصّ من لغته الأصلية التي كُتِب بها إلى لغة أخرى، مع الالتزام بنقل الكلمات بطريقة صحيحة لتتشابه مع معانيها الأصلية حتى لا يؤدّي إلى تغيير في معنى النصّ الأصلي.

والترجمة في الأساس ليست مجرّد نقل كلّ كلمة بما يقابلها في اللغة الهدف، ولكن نقل لقواعد اللغة التي توصل المعلومة، ونقل للمعلومة ذاتها، ونقل لفكر الكاتب وثقافته وأسلوبه أيضًا.

٢. أقسام الترجمة ومشروعيّتها

إنّ البحث في ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى تارة يكون عن إمكانية الترجمة؛ أي هل ترجمة القرآن ممكنة أصلاً؟ وهذا مرتبط بتحرير معنى الترجمة المراد في هذه الأبحاث، وأخرى يكون البحث عن المشروعيّة والجواز؛ أي هل تجوز(شرعًا) ترجمة القرآن الكريم؟ وهذا السؤال يُسأل عادة بعد حسم إمكانية الترجمة، ونعتقد أنّه لا حاجة للخوض في بحث إمكانية الترجمة؛ لأنّ ترجمة القرآن؛ كما سيظهر، هي مرتبة من مراتب تفسير القرآن، وتفسير القرآن مع إحراز الشروط العلميّة، والمنهجية جائز، بل مطلوب أيضًا.

وفي البداية نعرض أقسام الترجمة، ثمّ نبين بعد ذلك مشروعية ترجمة القرآن الكريم.

---

[١]- انظر: مندي، مدخل إلى دراسات الترجمة نظريَّات وتطبيقات، ص١٨.

أ. أقسام الترجمة

ولكي تتّضح الإجابة؛ سواء عن إمكانية الترجمة أم مشروعيّتها، لا بدّ من الالتفات إلى أقسام الترجمة، فالترجمة على ما هو المعروف تقسم إلى قسمين؛ هما:

- **الترجمة الحرفيّة:** وهي نقل ألفاظ من لغة إلى لغة أخرى؛ بحيث تقابل اللفظة بمثلها من غير إخلال بترتيب الكلام المترجم.

وقد عرّفها بعض الباحثين بأنّها: «نقل ألفاظ من لغة إلى نظائرها من اللغات الأخرى؛ بحيث يكون النظم موافقًا للنظم، والترتيب موافقًا للترتيب»[١]. فالترجمة الحرفية هي عملية محاكاة للأصل؛ وهي تشبه وضع المرادف مكان مرادفه، أو ذِكْر المقابل للفظ من اللغة الأخرى، وهذا غير ممكن في اللغة العربيّة؛ لعدم وجود لغة مشابه لها في سعتها وأساليبها البلاغية، فكلّ هذه الأمور تختصّ بها اللغة العربيّة دون غيرها، ويقلّ نظيرها في اللغات الأخرى، فإذا تُرجم القرآن ترجمة حرفية فيلزم منه تغيير المعنى.

- **الترجمة التفسيريّة أو المعنويّة:** وهي أن ينقل مضمون الكلام إلى لغة أخرى من غير التزام بنظم الألفاظ وترتيبها أو عدد الكلمات المترجم إليها. ففي الترجمة التفسيرية لا نراعي المحاكاة بين الأصل واللغة المنقولة لها، بل يعمد المترجم إلى المعنى الذي يدل عليه تركيب الأصل فيفهمه بالدقّة في المرحلة الأولى، ثمّ يصبّه بقالب آخر باللغة الأخرى يؤدّي المعنى الموجود في الأصل، ولا يتوقّف عند كلّ مفردة ويستبدلها بلفظ مساوي لها. وهذا هو الفرق الأساس بينها وبين الترجمة الحرفيّة.

ويمكن تعريفها بأنّها: بيان معنى الكلام بلغة أخرى، من غير تقيّد بترتيب الأصل أو مراعاة لنظمه[٢].

---

[١]- القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٣١٣.

[٢]- م.ن، ص٣١٣.

- الفروق بين الترجمة التفسيرية والتفسير

الترجمة تفسيريّة سُمّيت بذلك؛ لأنّ حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التفسير وما هي بتفسير، فما هو الفرق بين الأمرين؟

فالتفسير لغة: تفعيل مشتق من جذر (فسْر) التي تعني الإبانة، والفصل، والإيضاح، وكشف المغطّى، وإظهار المعنى المعقول[١]، وقد ورد لفظ التفسير مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾ (الفرقان: ٣٣)، أي: بيانًا وكشفًا[٢].

أمّا التفسير اصطلاحًا فله تعريفات عدّة؛ منها: «هو بيان معاني الآيات القرآنيّة والكشف عن مقاصدها ومداليلها»[٣].

والترجمة تختلف عن التفسير بالآتي:

- الاهتمام بالكلية والأداة التعبيرية في الترجمة دون التفسير.

- الترجمة لا تكون إلا نقلاً لمعنى الألفاظ من لغة إلى أخرى، في حين أنّ التفسير يكون كذلك ويكون تعبيراً عن المعنى بألفاظ أخرى في اللغة نفسها.

- صيغة الترجمة استقلالية يراعى فيها الاستغناء بها عن أصلها وحلولها محلّه، بينما التفسير قائم أبدًا على الارتباط بأصله، فبالتفسير لا يمكن قطع التراكيب بعضها عن بعض.

- الترجمة لا يجوز فيها الاستطراد، أمّا التفسير فيجوز، بل قد يجب فيه الاستطراد.

- الترجمة تتضمّن عرفًا دعوى الوفاء بجميع معاني الأصل ومقاصده، بينما

[١]- الأصفهانيّ، مفردات غريب القرآن، مادَّة (فسر)، ص٣٨٠.

[٢]- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، م.س، ج٧، ص٢٩٦.

[٣]- الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، م.س، ج١، ص٤.

التفسير قائم على كمال الإيضاح؛ سواء أكان بطريق إجمالي أو تفصيلي، متناولاً كافة المعاني والمقاصد، أو مقتصرًا على بعضها دون الآخر[١].

وهناك فوارق أخرى بين التفسير والترجمة، وما ذُكر يكفي لبيان الفرق بينهما.

ب. حُكم ترجمة القرآن الكريم

قبل بيان الحكم الشرعي للترجمة، نعطي مثالاً للفرق بين الترجمة الحرفية والترجمة التفسيرية، فلو أراد المترجم أن يترجم قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا**﴾ (الإسراء: ٢٩). فالمترجم ترجمة حرفية يأتي بكلام من لغة الترجمة يدلّ على النهي عن ربط اليد في العنق، وعن مدّها غاية المدّ، مع مراعاة ترتيب الأصل ونظامه، ولكنّ هذا التعبير الجديد يخرج في أسلوب ما يرمي إليه الأصل من النهي عن التقتير والتبذير، بل قد يستنكر المترجم لهم ويقول: ما باله ينهى عن ربط اليد بالعنق وعن مدّها غاية المدّ.

أمّا إذا أردت ترجمة تفسيرية، فإنّك بعد أن تفهم المراد؛ وهو النهي عن التقتير والتبذير في أبشع صورة منفردة، تعمد إلى هذه الترجمة، فتأتي بعبارة تدلّ على هذا النهي المراد في نفوس المترجَم لهم أكبر الأثر وأوفاه في استبشاع التقتير والتبذير، بدون رعاية في نظمه وترتيبه اللفظي[٢].

- **الترجمة الحرفيّة**

لا بدّ من الالتفات إلى نقطة جوهريّة عقديّة مهمّة في مبحث الترجمة الحرفيّة للقرآن؛ وهي أنّنا نعتقد بوصفنا مسلمين أنّ القرآن وحي إلهي، فهو ليس كأيّ نصّ آخر، ولا يشبه أي كتاب آخر، فالقرآن بلفظه ومعناه نزل على قلب النبيّ صلى الله عليه وآله، والقرآن -حسب تعريفه المشهور بين الباحثين في علوم القرآن- هو: الوحي الإلهي المنزل على خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله **لفظًا ومعنًى وأسلوبًا**، والمكتوب في المصاحف، والمنقول عنه بالتواتر.

[١]- انظر: البوطي، من روائع القرآن تأمُّلات علميَّة وأدبيَّة في كتاب الله عزَّ وجلّ، ص٢٧٦.

[٢]- انظر: الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص١١٢.

وبناءً على هذا التعريف، فإنّ أيّ ترجمة للقرآن هي نقل لمضمون القرآن وبيانه وتوضيحه بلغة أخرى؛ لأنّ القرآن بلفظه ومعناه معجز.

فـ«لا يجد المرء أدنى شبهة في حرمة ترجمة القرآن ترجمة حرفيّة، فالقرآن هو كلام الله المنزل على رسوله المعجز بألفاظه ومعانيه المتعبّد بتلاوته، ولا يقول أحد أنّ الكلمة المترجمة هي نفسها كلام الله. فإنّ الله لم يتكلّم إلا بما نتلوه بالعربيّة، ولن يتأتى الإعجاز بالترجمة؛ لأنّ الإعجاز خاصّ باللغة العربيّة»[١].

ويمكن صياغة دليل على استحالة الترجمة الحرفية؛ وفق الآتي: ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المحال، وكل ما يستلزم المحال محال.

بيان الملازمة

الترجمة بهذا المعنى تقتضي نقل كلّ الأساليب البلاغية (وهي وجه إعجاز القرآن).

وكلّ نقل بهذا المعنى (أي نقل كلّ الأساليب البلاغية) يقتضي الإتيان بمثل للقرآن، والإتيان بمثل القرآن ممتنع.

فالترجمة الحرفية للقرآن ممتنعة (أي مستحيلة).

وجه الاستحالة مرتبطة بعوامل كثيرة؛ منها: ترتيب الجملة في اللغة العربيّة، والخصائص التعبيريّة للغة، ففي العربيّة هناك الحقيقة والمجاز، والتشبيه والاستعارة والكنايات، واللغة العربيّة من أوسع اللغات استعمالاً للأساليب البيانية وعلم البديع، ولا يقابلها شيء في اللغات الأخرى.

- **الترجمة التفسيريّة**

أمّا الترجمة التفسيريّة أو المعنويّة: فهي ممكنة؛ لأنّها لون من تفسير القرآن الكريم، فكما يفسَّر القرآن باللغة العربيّة لبيان معانيه، وشرح الغامض، وتفصيل

[١]- القطان، مباحث في علوم القرآن، م.س، ص٣١٤.

المجمل، فكذلك تفسيره بأيّ لغة أخرى ممكن؛ لنقل المعاني وتوضيحها بلغة أخرى، فإنّ المترجَم عندئذ هو فهم المترجِم للمراد بالآية؛ حسب طاقته البشريّة[١].

ولكي يتّضح حكم الترجمة التفسيرية للقرآن، لا بد من التمييز بين المعاني الأصلية للقرآن والمعاني الثانوية، فللقرآن نوعان من المعاني: معانٍ أصليّة، ومعانٍ ثانويّة:

- **المعاني الأصليّة:** هي التي يستوي في فهمها كلّ مَن عرف مدلولات الألفاظ المفردة وعرف وجوه تراكيبها معرفة إجماليّة.
- **المعاني الثانويّة:** هي خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام، وبها كان القرآن معجزاً[٢].

إنّ ترجمة المعاني الثانوية أمر غير ميسور أصلاً؛ لأنّها مرتبطة بالإعجاز البياني للقرآن، والمعاني الأصليّة فقط هي التي يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى.

يقول الشاطبي: «إنّ ترجمة القرآن على الوجه الأوّل ممكن، ومن جهته صحّ تفسير القرآن وبيان معانيه للعامّة، ومن ليس لهم فهمٌ يقوى على تحصيل معانيه، ومع هذا فإنّ ترجمة المعاني الأصلية لا تخلو من فساد، فإنّ اللفظ الواحد قد يكون له معنيان أو أكثر فيضع المترجم لفظًا يدلّ على معنى واحد، حيث لا يجد لفظًا يشاكل اللفظ العربي في ضمان تلك المعاني. وقد يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي، فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي. ولهذا وقعت أخطاء في ترجمة معاني القرآن»[٣].

والترجمة التفسيرية للمعاني الأصلية للقرآن الكريم جائزة بشروط، نذكر منها:

- معرفة المترجِم لأوضاع اللغتين؛ لغة الأصل، ولغة الترجمة.

---

[١]- انظر: الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، م.س، ج٢، ص١١٤-١٢٢.

[٢]- انظر: القطان، مباحث في علوم القرآن، م.س، ص٣١٤.

[٣]- انظر: م.ن، ص٣١٥.

- معرفته لأساليبهما وخصائصهما.

- وفاء الترجمة بجميع معاني الأصل ومقاصده على وجه مطمئن.

- أن تكون صيغة الترجمة مستقلّة عن الأصل؛ بحيث يمكن أن يستغنى بها عنه؛ بأن تحلّ محلّه؛ كأنّ لا أصل هناك ولا فرع[١].

ثالثًا: ترجمة القرآن الكريم في رأي علماء الإمامية

يقول السيد الخوئي(قده): «لقد بعث الله نبيّه لهداية الناس فعزّزه بالقرآن، وفيه كلّ ما يسعدهم ويرقى بهم إلى مراتب الكمال، وهذا لطف من الله لا يختصّ بقوم دون آخر، بل يعمّ البشر عامّة، وقد شاءت حكمته البالغة أن ينزّل قرآنه العظيم على نبيّه بلسان قومه، مع أنّ تعاليمه عامّة، وهدايته شاملة، ولذلك فمن الواجب أن يفهم القرآن كلّ أحد ليهتدي به.

ولا شكّ أنّ ترجمته ممّا يعين على ذلك، ولكنّه لا بدّ وأن تتوفّر في الترجمة براعة وإحاطة كاملة باللغة التي ينقل منها القرآن إلى غيرها؛ لأنّ الترجمة مهما كانت متقنة لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن، بل ويجري ذلك في كلّ كلام؛ إذ لا يؤمن أنْ تنتهي الترجمة إلى عكس ما يريد الأصل.

ولا بدّ -إذن- في ترجمة القرآن من فهمه، وينحصر فهمه في أمور ثلاثة:

١. الظهور اللفظي الذي تفهمه العرب الفصحى.

٢. حكم العقل الفطري السليم.

٣. ما جاء من المعصوم في تفسيره.

وعلى هذا تتطلّب إحاطة المترجم بكلّ ذلك؛ لينقل منها معنى القرآن إلى لغة أخرى.

[١]- انظر: الزرقانيّ، مناهل العرفان في علوم القرآن، م.س، ج٢، ص١١٣.

وأمّا الآراء الشخصيّة التي يطلقها بعض المفسّرين في تفاسيرهم، لم تكن على ضوء تلك الموازين فهي من التفسير بالرأي، وساقطة عن الاعتبار، وليس للمترجم أن يتّكل عليها في ترجمته.

وإذا رُوعي في الترجمة كلّ ذلك، فمن الراجح أن تنقل حقائق القرآن ومفاهيمه إلى كلّ قوم بلغتهم؛ لأنّها نزلت للناس كافّة، ولا ينبغي أن تحجب ذلك عنهم لغة القرآن؛ ما دامت تعاليمه وحقائقه لهم جميعًا»[١].

ومع مراعاة الضوابط السابقة يجوز لنا ترجمة معاني القرآن إلى لغة أخرى، أمّا الألفاظ بدقّتها مع الأسلوب الإعجازي للقرآن، فترجمة هذه الأمور غير ممكنة أصلاً؛ كما تقدّم، ولذا فقهاء الإمامية يعتبرون ترجمة القرآن ليست القرآن الكريم نفسه، فلا يمكن الاحتجاج بترجمة القرآن بنحو الإعجاز لناقلها؛ لأنّ إعجاز القرآن النظمي والبلاغي بلغته الأمّ، لا بغيره من اللغات، بل حتى بترجمته إلى المعنى العربي الدارج لا يكون معجزاً إلا بألفاظه التي نزل بها حصرًا.

ويقول الشيخ الأعظم الأنصاري(قدس سره): «لأنّ ترجمة القرآن لا يصدق عليه القرآن، ولا يجعل منه المقصود الأصلي من القرآن؛ وهو نظمه المعجز، بخلاف ترجمة الذِكْر؛ الذي لو لم يصدق عليه خصوص الذِكْر المأثور، لكنْ يحصل منه المقصود الأصلي منه...»[٢].

ويقول آقا ضياء الدين العراقي: «(و) كيف كان (لا يجزئ) في الصلاة (الترجمة)؛ أي ترجمة القرآن؛ لعدم صدق القراءة التي هي عبارة عن ذِكر ألفاظ القرآن بقصد حكاية كلامه تعالى، كما هو الشأن في قراءة عبارة شخص أو شعر أو غيره»[٣].

وأمّا جواز الترجمة فيرى علماء الإمامية جواز ذلك، بل رجحانه.

ويقول المحقّق الطهراني في الذريعة: «نعم يمكن ترجمة خصوص ظواهر آيات

[١]- الخوئيّ: البيان في تفسير القرآن، م.س، ص٥٠٥-٥٠٦.

[٢]- الأنصاري، كتاب الصلاة، ج١، ص٥٨٣.

[٣]- العراقي، شرح تبصرة المتعلِّمين، ج٢، ص١٦.

الأحكام والآداب والقصص وأمثالها من القرآن بلغة أخرى، وإنْ فات بالترجمة جميع المزايا التي بها عجزت الأنس والجنّ عن الإتيان بآية واحدة مثله، ومع ذلك تُعدّ عند أهل العرف هذه الترجمة كسوة ثانية لمعاني تلك الألفاظ الآلهية، فينبغي أن يراعى في كتاب الترجمة جميع الشؤون والاحترامات العرفية التي لأصله، ويحترز عن هتكه وتوهينه بمجرّد تلك الإضافة، وأمّا سائر الأحكام الثابتة في شرع الإسلام، من حرمة المسّ من غير طهر، وحرمة التنجيس، ووجوب إزالة النجاسة عنه، ووجوب القراءة به في الصلاة، ووجوب الإنصات لها، وغير ذلك فإنّما يلحق جميعها لنفس تلك الآيات والسور العربيّة؛ وهي خاصّة بها بعينها، وأمّا ترجمتها بلغة أخرى فلا يترتّب عليها شيء من تلك الآثار مطلقًا، وإنْ طابقتها حرفًا بحرف، إذ لا يخرج كتاب الترجمة عن كونه تأليف البشر نظير كتب التفاسير الفارسية والهندية التي هي ترجمة وزيادة شروح وبيانات، وقد ترجم القرآن بكثير من اللغات قديمًا وحديثًا»[١].

ويقول الشيخ محمّد جواد مغنية: «وتسأل: هل تجوز ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية؟ ومع الجواز هل تجري أحكام القرآن على ترجمته فلا يمسّها إلا المطهّرون؟ **الجواب:** لا شبهة ولا ريب في جواز ترجمة القرآن إلى كلّ اللغات، بل ورجحانها أيضًا؛ لأنّ القرآن هو رسالة اللّٰه والإسلام إلى الإنسانية كلّها، والترجمة عامل أساسي على بثّ هذه الرسالة الإلهية المحمّدية وانتشاره...»[٢].

وبالنتيجة

هناك فرق بين ترجمة نفس القرآن الكريم إلى لغة أخرى؛ فهذا أمر غير ممكن أصلاً، وبين ترجمة معاني القرآن؛ أي تفسير القرآن، فهذا أمر ممكن، بل واجب علينا من باب تبليغ الإسلام إلى غير العرب وبلغاتهم الخاصّة، بالإضافة إلى أنّ علمنا بوجود تحريفات متعمّدة أو غير متعمّدة في ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، قد يوجب علينا القيام بهذه المهمّة؛ وهي ترجمة القرآن.

---

[١]- الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، م.س، ج٤، ص١٢٤.

[٢]- مغنيّة، التفسير الكاشف، ج٦، ص٤٠٩.

الأفكار الرئيسة:

- من أبرز جهود المستشرقين في مجال الدراسات القرآنية عنايتهم الخاصّة بترجمة القرآن الكريم إلى أمّهات اللغات العالميّة، وقد جاءت على نحوين: ترجمة كلّيّة لكلّ القرآن الكريم، وترجمة جزئيّة لبعض سور القرآن.

- التَّرْجَمَة أو النَّقْل هي عملية تحويل نصّ أصلي مكتوب (ويسمّى النصّ المصدر) من اللغة المصدر إلى نصّ مكتوب (النصّ الهدف) في اللغة الأخرى.

- الترجمة على ما هو المعروف تقسم إلى قسمين؛ هما: الترجمة الحرفيّة، والترجمة التفسيريّة أو المعنويّة

- يوجد فروق عدّة بين الترجمة التفسيرية والتفسير.

- يمكن صياغة دليل على استحالة الترجمة الحرفية؛ وفق الآتي: ترجمة القرآن بهذا المعنى تستلزم المحال، وكل ما يستلزم المحال محال.

- الترجمة التفسيريّة أو المعنويّة ممكنة؛ لأنّها لون من تفسير القرآن الكريم.

- لا بد من التمييز بين المعاني الأصلية للقرآن والمعاني الثانوية.

- ترجمة المعاني الثانوية أمر غير ميسور أصلاً؛ لأنّها مرتبطة بالإعجاز البياني للقرآن، والمعاني الأصليّة فقط هي التي يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى.

- الترجمة التفسيرية للمعاني الأصلية للقرآن الكريم جائزة بشروط.

- يفرّق الإماميّة بين ترجمة نفس القرآن الكريم إلى لغة أخرى؛ فهذا أمر غير ممكن أصلاً، وبين ترجمة معاني القرآن؛ أي تفسير القرآن، فهذا أمر ممكن، بل واجب علينا من باب تبليغ الإسلام إلى غير العرب وبلغاتهم الخاصّة، بالإضافة إلى أنّ علمنا بوجود تحريفات متعمّدة أو غير متعمّدة في ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، قد يوجب علينا القيام بهذه المهمّة؛ وهي ترجمة القرآن.

فكِّر وأَجِب:

١. تكلّم عن أسباب اهتمام المستشرقين بترجمة القرآن الكريم.

٢. ما هي الترجمات الأولى للقرآن.

٣. ما المراد بالترجمة؟ وما هي أقسامها؟ وما هو الجائز منها؟

٤. بيّن رأي علماء الإماميّة بترجمة القرآن الكريم.

الدرس الثامن والعشرون

ترجمة القرآن عند المستشرقين (٢)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على تاريخ ترجمات المستشرقين لمعاني القرآن.

٢. يطّلع على دوافعهم وأهدافهم من هذه الترجمات.

٣. يتعرّف على واقع هذه الترجمات وما فيها من تحريف وتشويه.

أوّلًا: تاريخ ترجمات المستشرقين لمعاني القرآن

تُرجم القرآن أولاً إلى اللغات: الفارسية، والسريانية واللاتينية. فقد نقل السرخسي عن أبي حنيفة أنّ الفرس كتبوا إلى سلمان رضي الله عنه أنْ يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرؤن ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية[١].

وترجمت آيات من القرآن قام بها مترجمون غير مسلمين؛ وبخاصّة من القساوسة السريان؛ حيث تضمّ مكتبة مانشستر البريطانية، والمتحف البريطاني في لندن مجموعة من المخطوطات باللغة السريانية يرجع تاريخها إلى عهد هشام بن عبد الملك. ويقول الفيكونت دوطرازي[٢] في دراسته عن القرآن إنّه اطّلع على ترجمة سريانية للقرآن كاملة، ويتوقّع طرازي أنّ الذي ترجم هذه النسخة القديمة هو باسيل مطران الرها في حدود سنة ١١٤٥ م[٣].

وفي أوروبا، رعى «بطرس المبجل»[٤] رئيس دير كلوني **(Cluny)** الشهير أولَ ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية، فقد عهد بهذه الترجمة إلى العالم الإنجليزي **(Robert Ketton)** بمساعدة الألماني «هرمانوس» وراهب إسباني آخر مجهول

---

[١]- السرخسي، المبسوط، ج١، ص٣٧.

[٢]- الفيكونت فيليب دي طَرّازي: لبنانيّ من طائفة كنيسة السريان الكاثوليك من أصولٍ سوريَّة حلبيَّة. مؤسِّس دار الكتب الوطنيَّة في لبنان، وأمين دار الآثار في بيروت، وعضو المجمع العلميّ العربيّ في دمشق. ولد في ٢٨ أيَّار من عام ١٨٦٥م و توفي في ٧ آب من عام ١٩٥٦م في عاليه-لبنان. له مؤلَّفات عدَّة، منها: خزائن الكتب العربيَّة في الخافقين (أربع مجلدات)؛ اللغة العربيَّة في أوروبا ثروتها ومكانته؛ عصر العرب الذهبيّ؛ عصر السريان الذهبيّ؛ بحث علميّ تاريخيّ في القرآن؛ وغيرهم الكثير. (للاطِّلاع أكثر، انظر: ar.wikipedia.org).

[٣]- أبو ليلة، القرآن من المنظور الاستشراقيّ، م.س، ص٣٨٣.

[٤]- بطرس المبجَّل أو بطرس المحترم أوبطرس المكرَّم أو بطرس الموقَّر (باللاتينيّة: **Petrus Venerabilis**، بالفرنسيَّة: **Pierre le Vénérable**) (١٠٩٢-١١٥٦م): راهبٌ ولاهوتيّ فرنسيّ، رئيس دير كلوني في جنوب فرنسا. شكَّل بطرس فريق ترجمة لنقل أعمال من العربيَّة إلى اللاتينيَّة، من أهمّ ما ترجمه هذا الفريق القرآن، وتعتبر أوَّل ترجمة غربيَّة للقرآن. (انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، م.س، ص١١٠-١١١).

الاسم، وقد استغرقت هذه الترجمة ثلاث سنوات من ١١٤١م إلى ١١٣٤م[١].

فاللغة اللاتينية هي اللغة الأولى التي ترجم إليها القرآن الكريم، ويبدو أنّ الترجمة اللاتينية التي صار لها رواج في اللغات الأوروبية هي ترجمة دير كلوني. وقد ترجمت نسخة كلوني إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية والفرنسية والإنكليزية والروسية. والمهمّ أن نعلم أنّ حركة ترجمة القرآن الكريم من المستشرقين عرفت مدارس متخصّصة عنيت بالموضوع أشهرها وأهمّها: المدرسة الإسبانية، والمدرسة الألمانية، والمدرسة الإنجليزية.

ثانيًا: دوافع المستشرقين وأهدافهم من ترجمة القرآن

عندما نقوم باستقراء لبعض الترجمات سنجد أنّ أهداف المترجمين وأغراضهم تختلف؛ بحسب توجّهاتهم الدينيّة والفكرية، ويمكن تقسيم هذه الأغراض إلى نوعين من المحاولات:

- محاولات منصفة، قام بها مستشرقون أمثال: آرثر ج. آربري[٢]، كان غرضهم الأساس هو إيصال رسالة القرآن الكريم وتوضيحها لمن لا يتقن اللغة العربية.

- محاولات غير منصفة، قام بها أناس حاقدون على الدين الإسلاميّ، وكان غرض بعضهم هو طمس معالم الدين الإسلاميّ الصافية والتشكيك في رسالة الإسلام.

---

[١]- الحاجّ، نقد الخطاب الاستشراقيّ، م.س، ج١، ص٢٥٨.

[٢]- آربري، آرثر جون (Arthur John Arberry) (١٩٠٥-١٩٦٩م): مستشرق بريطانيّ اختصّ في التصوّف والأدب الفارسيّ. في أوائل الخمسينيّات أراد آربري إصدار ترجمة جديدة للقرآن، فأصدر أوّلًا ترجمة لمختارات من بعض آيات القرآن مع مقدِّمة طويلة، وصدر ذلك بعنوان: (The Holy Koran) أيْ (القرآن الكريم)، وفي العام ١٩٥٥م نشر الترجمة المفسّرة للقرآن بعنوان: (The Koran Interpreted) أيْ (القرآن مفسَّرًا). له مؤلَّفات عدَّة، منها: تحقيق كتاب «التعرُّف إلى أهل التصوُّف» للكلاباذي (القاهرة ١٩٣٤م)؛ تحقيق كتاب «الرياضة» للحكيم الترمذي (القاهرة ١٩٤٧م)؛ تفسير القرآن الكريم (الإصدار الأوّل ١٩٥٥م)؛ «خمسون قصيدة لحافظ الشيرازي» مع ترجمة إلى الإنكليزيَّة؛ «صفحات من كتاب اللمع»؛ ترجمة «زنبقة سينا» لمحمّد إقبال؛ ترجمة مسرحيَّة «مجنون ليلى» لأحمد شوقي.

يقول يوهان فوك[١] في تأريخه للدراسات العربيّة في أوروبا: «ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكنيسة بترجمة القرآن واللغة العربية، فكلّما تلاشى الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوّة السلاح، بدا واضحًا أنّ احتلال البقاع المقدّسة لم يؤدِّ إلى ثني المسلمين عن دينهم، بقدر ما أدّى إلى عكس ذلك، وهو تأثُّر المقاتلين الصليبيّين بحضارة المسلمين وتقاليدهم ومعيشتهم في حلبات الفكر»[٢].

ويضيف أنّ: «هذه الفكرة التي أدّت إلى ترجمة القرآن قد شهدت توسّعًا من خلال تنقّلات الوعّاظ الدينيّين لطائفتي الدومنيكان والفرنسيسكان»[٣].

ويقول جورج سيل في مقدّمة ترجمته للقرآن: إنّ الهدف منها هو تسليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيريّة ضد الإسلام والمسلمين؛ لأنّهم وحدهم قادرون على مهاجمة القرآن بنجاح، وأنّ العناية الإلهية قد ادَّخَرَتْ لهم مجد إسقاطه[٤].

وقد حاول جملة من الباحثين تنويع وتقسيم الأهداف التي كانت وراء ترجمة هؤلاء للقرآن الكريم من أهداف دينية، علمية، اقتصادية، سياسية، استعمارية، وغير ذلك، ولكن يمكن إرجاع أهدافهم التي وضعوها للترجمة إلى هدفين أساسيين؛ هما:

١. البحث العلمي والتقني للترجمة

لم يخلو ميدان ترجمة القرآن من بعض المترجمين المنصفين نسبيًا؛ أمثال: (**Ar-berry. J Arthur**) آرثر ج. آربري، وقد أطلق عليها عنوان: (**The Koran In-**

[١]- يوهان فك (**Johann Wilhelm Fück**) (١٨٩٤-١٩٧٤م): مستشرق ألمانيّ. من آثاره: «العربيَّة: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب» - نقله إلى العربيَّة: عبد الحليم النجَّار، وكذلك ترجمه رمضان عبد التوَّاب سنة ١٩٨٠م. (انظر: الزركلي، الأعلام، م.س، ج٣، ص٢٨٤).

[٢]- فوك، يوهان: تاريخ حركة الاستشراق، م.س، ص١٦-١٧.

[٣]- م.ن، ص٢٢.

[٤]- غراب، رؤية إسلاميَّة للاستشراق، ص٣٥.

terpreted) أي القرآن مترجمًا. وفي مقدمة كتابه دافع آربري عن القرآن الكريم وفصاحته وقوة عبارته وجمال أسلوبه ضد افتراءات المستشرقين، ومن أبرزهم (**Thomas Carlyle**)، إذ وصمه بالوحشية لعدم تذوقه لبلاغة القرآن وعدم فهمه لنصوصه، ورغم أنّ آربري لا يؤمن بأنّ القرآن كلام الله تعالى، بل هو عمل قوة خارقة (**Supernatural Power**) غير أنه يثبت بطلان زعم المستشرقين أمثال مارجليوث (**Margoliouth**) وجب (**Gibb**) من أنّ القرآن هو كلام محمّد صلى الله عليه وآله[١].

فالاستفادة من تراث المسلمين -بوصفه عملاً علميًّا- كان من ضمن الأهداف الرّئيسة لبعض المستشرقين عندما أقدموا على جمع تراث المسلمين، ومن بينها الكلام المعجز القرآن الكريم.

٢. التشويه والتضليل والتشكيك؛ بهدف تضعيف الإسلام ونصرة اليهوديّة والنصرانية ودول الاستعمار

إنّ الغالبية العظمى من هؤلاء هم حاقدون على الإسلام ومتعصّبون لأفكارهم الدينيّة؛ أمثال: (**Wherry, George Sale, Rodwell, and Palmer**) القسّيس وهيري، وجورج سيل، ورودويل، وبامر، وغيرهم، وليس مستغربًا أن يكون عنوان أوّل ترجمة إنجليزية للقرآن المنقولة عن الترجمة الفرنسية هو: (**Mahomet of Al-coran**) أي قرآن محمّد للكاتب الإنجليزي (**Alexander Ross**) ألكزندر روس، وغيرهم. ولبيان مدى حقد هؤلاء وتعمّدهم تويشه الحقيقة نذكر أنموذجًا على ذلك:

ترجمة آرثر ج. آربري	ترجمة روديل(Rodwell)
ترجمة قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَرْ﴾ إلى: **so pray unto thy Lord and sacrifice** وهي ترجمة صحيحة.	ترجم: **and slay the victims** أي (أقتل الضحايا)[2].

[١]- انظر: ساب، دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنكليزيّة للمستشرق الإنكليزيّ آرثر ج. آربري، ص٢-٨.

[٢]- ساب، دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنكليزيّة للمستشرق الإنكليزيّ آرثر ج. آربري، م.س، ص١١.

ثالثًا: واقع الترجمات الاستشراقيّة للقرآن

١. ترجمات محرَّفة ومشوَّهة

ذكر الباحثون أمثلة كثيرة من واقع ترجمات المستشرقين المحرّفة، ومن ذلك ما ذكره صالح البنداق من وجوه التشويه؛ وهي الآتية:

- القيام بالترجمة الحرّة؛ كما يراه المترجِم، وتحاشي الترجمة العلميّة للقرآن؛ كما تقتضيه آياته وألفاظه.

- التقديم والتأخير والحذف والإضافة.

- إزاحة الآيات القرآنيّة من مكانها التوقيفي لتضليل القارئ، وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النصّ القرآني[١].

يقول محمّد رشيد رضا صاحب تفسير المنار إنّ: «ترجمات القرآن التي يعتمد عليها علماء الإفرنج في فهم القرآن كلّها قاصرة عن أداء معانيه التي تؤدّيها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر»[٢].

فالترجمة اللاتينية الأولى للقرآن (ترجمة بطرس الموقر) التي تمّت عام ١١٤٣م اضطلعت بتقديم مضمون الفكرة فقط، ولم تكترث بأسلوب الأصل العربي وصياغته، وقام الدافع التنصيري حائلاً أمام الوفاء بتحقيق هذا الغرض[٣].

وقد كانت هذه الترجمة مشوّهة الأصل الذي نبعت منها الترجمات الأخرى؛

[١]- انظر: البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص٩٧.

[٢]- رضا، الوحي المحمّديّ، م.س، ص٢٤.

[٣]- انظر: فوك، تاريخ حركة الاستشراق، م.س، ص١١.

فمنها نبعت الترجمة الإيطالية الأولى التي أشرف عليها أريفابيني عام ١٥٤٧م، وفي سنة ١٦١٦م ترجم سالمون شفايجر إلى الألمانية عن الإيطالية، وعن الألمانية إلى الهولندية في سنة ١٦٤١م[١].

وعن هذه الترجمة اللاتينية الأولى وضع الحاخام اليهودي يعقوب بن إسرائيل أوّل ترجمة بالعبريّة عام ١٦٣٤م[٢].

٢. الإضافة على النصّ القرآنيّ

لم يكتفِ هؤلاء بتشويه النصّ القرآني، بل قاموا بوضع إضافات خاصّة من عندهم أو من نصوص التوارة، تقول إحدى الباحثات عن ترجمات القرآن إلى الفرنسية: «رجعت إلى خمس وعشرين ترجمة للقرآن بالفرنسية، فوجدتها كلّها محرَّفة، وتضيف نصوصًا من التوارة إلى آيات القرآن الكريم، دون الإشارة إلى ذلك»[٣].

٣. التصرّف في سور القرآن بالتقديم والتأخير

وممّن قام بهذا الفعل المستشرق رودويل، في الطبعة الأولى من ترجمته عام (١٨٨٦م/ ١٣٠٤هـ)، فقد رتّب السور على ترتيب زمني؛ حسب نزولها، فبدأ بسورة العلق، واختتم بسورة المائدة، وزعم أنّ هذا الترتيب التاريخي يعطي صورة صحيحة واضحة لسيرة الرسول العقلية والتطوّرات الجارية في النظريات القرآنيّة. أمّا في توزيع السور على تواريخ نزولها فقد كان اعتماده على بحث نولدكه **(Nöldeke)** في كتابه: (تاريخ القرآن) **(Geschichte des Qurans)**.

---

[١]- انظر: فوك، تاريخ حركة الاستشراق، م.س، ص١٨.

[٢]- انظر: البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، م.س، ص٩٦.

[٣]- عبد المحسن، الغارة التنصيريَّة على أصالة القرآن الكريم، ج١، ص٤٩.

٤. ضمّ إضافات جديدة

أضاف بعض المترجمين بجانب القرآن مقدّمات وملاحق محرّفة لكلام الله، وهي عبارة عن مقدّمات تفسيرية وملاحق شارحة، لا لمضمون النصّ المترجَم، بل مناقشات ضدّ أصالة القرآن، وسخرية من محتواه.

وهكذا فقد تضمّنت الترجمة اللاتينية الأولى (ترجمة بطرس الموقّر) التي قام بها الراهب الإنجليزي روبرت الرتيني، والراهب الألماني هرمان الدالماني، عدداً من المقدّمات والملاحق سمِّيت بمجموعة (دير كلوني)، وهي[١]:

- خطاب بطرس إلى بيرنهارد (القديس برنار دى كليوفر).
- مجموعة مختصرة من الوثائق الشيطانية المضادّة للطائفة الإسلاميّة الكافرة.
- مقدّمة روبرت الرتيني.
- (تعاليم محمّد) لهرمان الدالماني.
- (أمّة محمّد ونشوزها) لهرمان الدالماني.
- تاريخ المسلمين (أخبار المسلمين المعيبة المضحكة).

والترجمة اللاتينية التي قام بها الراهب الإيطالي لودوفيجومرّتشي ١٦٩٨م بموافقة البابا أنوسنت الحادي عشر، جاءت الترجمة في قسمين:

يشتمل القسّم الأوّل على النصّ العربي للقرآن مع ترجمته اللاتينية وحواشي

[١]- انظر: فوك، تاريخ حركة الاستشراق، م.س، ص١٧.

جزئية للردّ على بعض المواضع، ويشتمل القسّم الثاني على كتاب: (الرائد إلى الردّ على القرآن)[١].

أمّا ترجمة جورج سيل الإنجليزية التي ظهرت في لندن عام ١٧٣٤م وأعيد طبعها أكثر من ثلاثين مرّة، فقد تضمّنت مقدّمة جدليّة ضدّ القرآن وصفت في أدبيات التنصير بأنّها قيِّمة وأنّها أفضل وصف موضوعي للإسلام[٢].

[١]- انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، م.س، ص٣٠٣.

[٢]- انظر: غراب، رؤية إسلاميَّة للاستشراق، م.س، ص٣٥-٣٦.

الأفكار الرئيسة:

- رعى «بطرس المبجل» رئيس دير كلوني الشهير أولَ ترجمة للقرآن الكريم إلى اللاتينية، فقد عهد بهذه الترجمة إلى العالم الإنجليزي روبرت كيتون بمساعدة الألماني «هرمانوس» وراهب إسباني آخر مجهول الاسم، وقد استغرقت هذه الترجمة ثلاث سنوات من ١١٤١م إلى ١١٣٤م.

- ترجمت نسخة كلوني إلى اللغات الإيطالية والألمانية والهولندية والفرنسية والإنكليزية والروسية.

- حركة ترجمة القرآن الكريم من المستشرقين عرفت مدارس متخصّصة عنيت بالموضوع أشهرها وأهمّها: المدرسة الإسبانية، والمدرسة الألمانية، والمدرسة الإنجليزية.

- أهداف المترجمين وأغراضهم تختلف؛ بحسب توجّهاتهم الدينيّة والفكرية، ويمكن تقسيم هذه الأغراض إلى نوعين من المحاولات: محاولات منصفة، ومحاولات غير منصفة.

- يمكن إرجاع أهدافهم التي وضعوها للترجمة إلى هدفين أساسيين؛ هما: البحث العلمي والتقني للترجمة، والتشويه والتضليل والتشكيك؛ بهدف تضعيف الإسلام ونصرة اليهوديّة والنصرانية ودول الاستعمار.

- واقع الترجمات الاستشراقيّة للقرآن: ترجمات محرَّفة ومشوَّهة، وتضيف على النصّ القرآنيّ ما ليس منه، وتتصرّف في سور القرآن بالتقديم والتأخير، وتضمّ إضافات جديدة محرّفة للقرآن.

فكِّر وأَجِب:

١. تكلّم عن تاريخ ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم.

٢. ما هي دوافع المستشرقين وأهدافهم من ترجمة القرآن؟

٣. ما هو واقع ترجمات المستشرقين للقرآن؟

٤. ما هي التحريفات والتشويهات التي لحقت ترجمات المستشرقين للقرآن؟

الدرس التاسع والعشرون

ترجمة القرآن عند المستشرقين (٣)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على مناهج المستشرقين وأساليبهم في ترجمة القرآن الكريم.

٢. ينقد قواعد ترجمة القرآن عند المستشرقين.

٣. يطّلع على أوّل ترجمة للقرآن الكريم ويقوّمها.

أوّلًا: مناهج ترجمات المستشرقين للقرآن وأساليبهم

إنّ ترجمات المستشرقين لمعاني القرآن الكريم -في غالبها- ترجمات غير أمينة، ولا يمكن أن تعبرِّ عن المعاني الحقيقيّة للقرآن، بل تشوّه معانيه وتحرّفها؛ لأنّها تنطلق من اعتقاد أساس راسخ عند هؤلاء المترجمين؛ وهو رفض حقيقة أنّ القرآن منزَل من عند الله، والادّعاء أنّه تأليف النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله، ومحاولة إثبات أنّه نقل عن القدامى، أو قلَّدهم، والعمل على إبراز أنّ القرآن الكريم مليء بالعبارات المثيرة للسخرية أو الغموض، وأنّه لا يتضمّن أيَّ تشريع يذكر، ومن طرائقهم في تمرير هذا الكذب والبهتان: اختيارهم لعبارات معيّنة، واستخدامهم الهوامش والتعليقات في آخر الصفحات، إضافة إلى المقدّمات التي يكتبونها، والتي تعطي لهم المساحة الكافية للتزييف.

يقول موريس بوكاي «وإذا أمعنت النظر في طرائق المستشرقين لترجمة القرآن، علمت أنّه من غير الممكن أن تحصل على واحدة يُطْمَأن إليها بين ترجماتهم»[١].

أمّا القواعد المنهجيّة والأساليب التي اتّبعها المستشرقون وقادت إلى هذه النتائج السيئة والكارثية في بعض الأحيان في ترجمة القرآن، يمكن تلخيصها في الآتي:

١. الترجمة الحرفيّة

اعتمد المستشرقون في ترجمة القرآن على النصّ، وليس المعنى، ونلحظ هذه القاعدة من خلال عناوين بعض الترجمات، بل بعض المستشرقين صرّحوا بذلك في مقدّمات ترجماتهم.

يقول جاك بيرك في مقدّمة ترجمته: «تعمّقت من خلال دراساتي المتواصلة والمستمرّة؛ بحيث أكون في مستوى ترجمة النصّ، ولكي لا يحدث أيّ تقصير في النصّ الفرنسي الذي يتوخّى تقديم القرآن الكريم بكلّ أبعاده اللغوية والروحية إلى لغة أخرى»[٢].

جاء في مقدّمة ن.ج داود لترجمته المنشورة بعنوان: (**The Koran A new**

[١]- بوكاي، الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون خلل ترجمتهم للقرآن الكريم، ص١٣٩٦.

[٢]- اللوندي، إشكاليَّة ترجمة القرآن الكريم، ص٩٨.

Translation) «وفي إعداد هذه الترجمة الجديدة قصدت أن أقدّم للقارئ نسخة من القرآن بالإنجليزية المعاصرة... وأمددت القارئ بحواشٍ تفسيريةٍ تفاديًا لقلب النصّ إلى تفسير؛ بدلاً من ترجمة»[١].

ومن الواضح أنّ اعتماد الترجمة النصّيّة سيؤدّي إلى نتائج خاطئة؛ لأنّه يصطدم بحقيقة وواقع القرآن الإعجازية، الذي ثبت عدم إمكانية الإتيان بمثله لأهل الفصاحة والبلاغة آنذاك.

فإنْ عجزت العربيّة بثرائها عن المجيء بمثل حديث من القرآن، فغيرها من اللغات أعجز؛ لأسباب كثيرة؛ منها:

- ثراء اللغة العربيّة بالمفردات والمترادفات؛ ممّا ليس له مثيل في باقي اللغات.
- بنية الجملة في اللغة العربيّة تختلف عنها في اللغات الأوروبيّة.
- النظام اللغوي؛ من حيث الضمائر، والتذكير والتأنيث، والإفراد والجمع.
- الأساليب البلاغية، والنظام الصوتي، والتركيبات الصرفية، وغير ذلك.

فإذا أضفنا خصائص اللغة القرآنيّة الإعجازية إلى خصائص اللغة العربية، فالنتيجة استحالة ترجمة النصّ القرآني إلى أيّ لغة في العالم؛ وذلك لقصور أيّ لغة عن استيعاب ذلك النصّ المعجز في بلاغته وفصاحته.

٢. إغفال النصّ العربي في الترجمة

في بعض الأحيان نصطدم بجملة من المستشرقين قد ترجموا القرآن الكريم إلى لغاتهم أو لغات أخرى مع جهلهم باللغة العربيّة؛ كما صرّح بعضهم، فالترجمة تتمّ بواسطة أو بواسطتين أو ربّما أكثر من ذلك، مع أنّه من البديهي والمنطقي في علم الترجمة أنْ ننطلق من النصّ الأصلي، لا من النصوص المُترجَمة.

فإنّ ترجمات القرآن في المرحلة الأولى كانت ترجمة لترجمة دير كلوني

[١]- مهنا، دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، ص٣٧.

أو للترجمتين الوسيطتين (ترجمة دي ريور الفرنسية، وترجمة أندريا أريفابيني الإيطالية). وفي المرحلة الثانية كانت الترجمات الاستشراقيّة للقرآن ترجمة لترجمة القسّ لودفيجوماراتشي أو وسيطتها (ترجمة جورج سيل الإنجليزية).

٣. إعادة ترتيب سور القرآن

قد يكون من بديهيات قواعد الترجمة الالتزام بترتيب الكتاب الأصل، فلا يصحّ جعل الباب الثاني هو الباب الأوّل، والمقدّمة هي الخاتمة، وهكذا، هذا في الكتب العادية، فكيف الحال في الكتب المقدّسة، وللأسف هذه المسألة لم يلتزم بها المستشرقون أثناء ترجمتهم القرآن الكريم، وسلكوا اتّجاهات أخرى في ترتيب المصحف أنتجت ترتيبًا مختلفًا لسور القرآن الكريم والأنماط التي اعتمدها المستشرقون في هذا المجال هي الآتية:

- **الترتيب حسب المصحف المأثور**

التزم به بعض المستشرقين: مثل جورج سيل، وآرثر آربري.

- **الترتيب حسب أسباب النزول**

كترجمة إدوارد بالمر، وترجمة جون رادويل، وترجمة ريتشارد بل.

- **الترتيب التاريخي وفق مراحل الدعوة**

بدأ هذه المحاولة المستشرق الألماني تيودور نولدكه في كتابه الشهير «تاريخ القرآن» عام ١٨٦٠م، وتبعه مواطنه شيفالي في كتابه «تاريخ القرآن» عام ١٩٠٩م وقد اعتمد هذا الترتيب التاريخي ريجيس بلاشير في ترجمة عام ١٩٤٩م، يقول بلاشير في مقدّمة ترجمته: «السور القرآنيّة تنقسم إلى أربع مجموعات توافق فترات رسالة محمّد...»[١].

هذه الأنماط هي المعتمدة عادة في ترتيب القرآن عند المستشرقين، ولكنّ هناك نمط رابع شذّ عن الإنماط المتقدّمة؛ وهو الترتيب الشاعري للقرآن.

---

[١]- انظر: بلاشير، «مقدّمة ترجمة القرآن»، ص٦٨. نقلاً عن: عبد المحسن، مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم دراسة تاريخيَّة نقديَّة، م.س، ص٩.

فقد حاول اليهودي نجيب داود في ترجمته الإنجليزية عام ١٩٥٦م أن يضع ترتيبًا خاصًا لسور القرآن، لم يلتزم فيه بالترتيبات السابقة، واعتمد فيه على أمرين: أحدهما قصر السور وطولها، والثاني: شاعرية السور بزعمه، فبدأ ترجمته بالسورة القصيرة وتتضمّن العنصر الأكثر شاعرية، ثمّ الأطول والأقلّ شاعرية. وهكذا، وسوَّغ اعتماده هذا الترتيب رغبته في عدم صدمة القارئ بالسور الطويلة؛ كالبقرة والنساء، ورغبته في تهيئة القارئ تدريجيًّا[١].

ثانيًا: نقد قواعد الترجمة عند المستشرقين

نعرض هذه الملاحظات النقدية في شكل نقاط؛ هي الآتية:

١. الطريقة المعتمدة في تغيير ترتيب النصّ خروج عن الموضوعية العلميّة؛ لأنّ ترجمة أيّ نصّ تقتضي الاعتماد عليه؛ كما هو، والالتزام بترتيبه، وما قام به هؤلاء بعيد كلّ البعد عن الأمانة العلميّة.

٢. تقسيم بلاشير لسور القرآن واعتماده مراحل الدعوة أوقعه في مخالفة صريحة للقرآن، حيث أوصل سوره إلى ١١٦ سورة، في حين أنّها ١١٤، إذ قسّم سورتي العلق والمدثّر إلى أربع سور؛ وهو أمر جديد لا يعهده المسلمون، ولا يتوافق مع المصحف الحالي، بل حتى ما نقل عن المصاحف السابقة للصحابة.

٣. الترتيب الشاعري هو أمر مخالف حتى للمعهود من المستشرقين؛ وهي فكرة لم يقدّم صاحبها أي دليل؛ وهي مجرّد تصرّف ذوقي لا يخضع لأيّ ضوابط علميّة.

ثالثًا: نقد وتقويم أوّل ترجمة للقرآن

الرأي السائد الذي يميل إليه أغلبُ المستشرقين أنّ بطرس المبجّل **(Veneabilis Petrus)**، رئيس دير كلوني **(Clugny)** في جنوب فرنسا، هو الذي أمر بوضع أوّل ترجمة للقرآن الكريم إلى اللّغة اللاّتينية. وذلك سنة ١١٤١م. وقد ذهب «بلاشير»

[١]- انظر: المالك، «نظرات في قضيَّة ترجمة معاني القرآن الكريم»، ص٣٣.

إلى أنّ ذلك كان من تكليف المؤسّسة الدينيّة الغربيّة عندما استشعرت بخطورة الزّحف الإسلاميّ في أوروبا[١].

كان «بطرس» (**Veneabilis Petrus**) يرى تنصير المسلمين لا إفنائهم هدفًا نهائيًا، وهو ما يستلزم دراسة دينهم ونصوصه. وهناك، أشرف بطرس على إصدار أوّل ترجمة لاتينية للقرآن.

وتلبية للواجب الدِّيني تنقّل بطرس في أقطار أوروبا للشروع في خطّته، وحطّ أخيراً في الأندلس ليجد من يتولىّ ذلك من اليهود الدارسين للغة العربية. وقد سعى لتحقيق هذا كل من روبرت كونت (**ROBERT KENET**) وهو من الدالماتي (**HEMANN DELMATI**)، فأخذ الأوّل على عاتقه ترجمة القرآن من العربيّة إلى اللاتينية، مع مقدّمة قصيرة. أمّا دالماتي فقد كُلّف بأن يكتب سيرة النبيّ ﷺ وأركان الإسلام وتاريخه، وأن يُدبّج ذلك كلّه بإسرائيليات عبد الله بن سلام وأساطير يهوديّة[٢]. ويقول بلاشير عن هذا العمل: «إنّ الترّجمة لم تكن أمينة ولا كاملة للنّص»[٣].

إنّ ميزَة هذه الترّجمة أنّها تستند إلى العديد من الإسرائيليات، وتعمد إلى استخراج المعاني التخمينية بدون تحليل أو فهم حقيقي للّغة العربيّة.

وصف المستشرقون هذه الترجمة بأنّها حرّفت كثيراً من النصوص التي أعادت صياغتها، وبالَغَ المترجمون في الإساءة للقرآن إلى درجة أنّ بطرس المبجّل قدّم القرآن للعالم الغربي بطريقة بذيئة[٤].

والجدير بالذّكر أنّ المستشرقين مدينون لهذه الترّجمة؛ باعتبارها المصدر الأوحد للترّجمات الأوروبية، وكذلك لأنّها الرّكيزة الأساسية والمأمونة في نظرهم للبدء بدراسات حقيقية وجديّة عن الإسلام.

---

[١]- انظر: بلاشير، القرآن نزوله ترجمته وتأثيره، م.س، ص١٥.

[٢]- انظر: العالم، المستشرقون والقرآن، ص١٨.

[٣]- بلاشير، القرآن نزوله ترجمته وتأثيره، م.س، ص١٥.

[٤]- انظر: ناجي، الاستشراق في التأريخ الإشكاليَّات الدوافع التوجُّهات الاهتمامات، ص٢٩٢-٢٩٣.

«غير أنّ هذه الترجمة للقرآن بقيت في ضمن مخطوطات الدير، ولم تصدر إلاّ في سنة ١٥٤٣م، مخافة أن تعدّها بعض الدوائر عاملاً مهمًا من شأنه أن يسهّل التعريف بالإسلام، ويُقال إنّ هذه الترجمة قد أُتلِفت فيما بعد، ولم تسمح الكنيسة بطبع ترجمة للقرآن الكريم باللاتينية إلاّ في عهد البابا ألكسندر السابع (١٥٥٥-١٥٦٧م)، ثمّ توالت بعدها الترجمات بلغات عدّة؛ منها: العبريّة»[١].

ويرى المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون أنّ المحرّك وراء اهتمام بطرس الموّقر بالإسلام «هو محاربة ما كان يسمّيه الهرطقات المتمثّلة في اليهوديّة والمسيحيّة وتزويد المسيحيّين بحجج سليمة لتثبيت إيمانهم، وأنّ الجدل الديني كان يستهدف مسلمين خرافيّين يبادون بسهولة على الورق»[٢].

وتتّضح أهداف بطرس (المحترم)!! هذا من تأليفه كتابا سماه: «دحض العقيدة الإسلاميّة»[٣].

كما أنّه في العام نفسه الذي صدرت فيه الترجمة المذكورة ألَّف كتابًا للردّ على الإسلام، وصفه د. عبد الرحمن بدوي بأنّه جاء في أربعة مقالات:

الأولى في حفظ اليهود والنصارى لكتبهم، وحاول فيها بيان صحّة نصّ الكتاب المقدّس بعهدَيه القديم والجديد، وأنّه لم يُحرَّف كما يقول القرآن.

والثانية في حياة النبيّ محمّد وفي القرآن، للطعن فيهما، مقارنًا بين النبوّة في المسيحيّة والإسلام.

والثالثة تحدّث فيها عن خلوّ حياة النبيّ محمّد من المعجزات.

والرابعة جاءت استمرارًا لهذه المطاعن، وحديثًا عن أصول الإسلام المبتدعة[٤].

---

[١]- البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، م.س، ص٩٥-٩٦.

[٢]- شاخت؛ بوزورث، تراث الإسلام، م.س، ج١، ص٣٨-٣٩.

[٣]- جورافسكي، الإسلام والمسيحيَّة، م.س، ص٨٤.

[٤]- انظر: بدوي، موسوعة المستشرقين، م.س، ص٦٨-٦٩.

الأفكار الرئيسة:

- ترجمات المستشرقين لمعاني القرآن الكريم -في غالبها- ترجمات غير أمينة.

- اعتمد المستشرقون في ترجمة القرآن على النصّ، وليس المعنى.

- اعتماد الترجمة النصّيّة سيؤدّي إلى نتائج خاطئةٍ؛ لأنّه يصطدم بحقيقة وواقع القرآن الإعجازية، الذي ثبت عدم إمكانية الإتيان بمثله لأهل الفصاحة والبلاغة آنذاك.

- في بعض الأحيان نصطدم بجملة من المستشرقين قد ترجموا القرآن الكريم إلى لغاتهم أو لغات أخرى مع جهلهم باللغة العربيّة.

- من بديهيات قواعد الترجمة الالتزام بترتيب الكتاب الأصل، وللأسف هذه المسألة لم يلتزم بها المستشرقون أثناء ترجمتهم القرآن الكريم، وسلكوا اتّجاهات أخرى في ترتيب المصحف أنتجت ترتيبًا مختلفًا لسور القرآن الكريم والأنماط التي اعتمدها المستشرقون في هذا المجال هي الآتية: الترتيب حسب المصحف المأثور، والترتيب حسب أسباب النزول، والترتيب التاريخي وفق مراحل الدعوة، والترتيب الشاعري للقرآن.

- الطريقة المعتمدة في ترجمات المستشرقين في تغيير ترتيب النصّ هي خروج عن الموضوعية العلميّة.

- تقسيم بلاشير لسور القرآن واعتماده مراحل الدعوة أوقعه في مخالفة صريحة للقرآن.

- الترتيب الشاعري هو أمر مخالف حتى للمعهود من المستشرقين؛ وهي فكرة لم يقدّم صاحبها أي دليل؛ وهي مجرّد تصرّف ذوقي لا يخضع لأيّ ضوابط علميّة.

- الرأي السائد الذي يميل إليه أغلبُ المستشرقين أنّ بطرس المبجّل (-**Vene**

abilis Petrus)، رئيس دير كلوني (Clugny) في جنوب فرنسا، هو الذي أمر بوضع أوّل ترجمة للقرآن الكريم إلى اللّغة اللاّتينية.

- ميزَة هذه الترّجمة أنّها تستند إلى العديد من الإسرائيليات، وتعمد إلى استخراج المعاني التخمينية بدون تحليل أو فهم حقيقي للّغة العربيّة.

- وصف المستشرقون هذه الترجمة بأنّها حرّفت كثيراً من النصوص التي أعادت صياغتها.

فكِّر وأَجِب:

١. تكلّم عن مناهج المستشرقين وأساليبهم في ترجمة القرآن، والملاحظات الواردة عليها.

٢. ما هو النقد الموجّه لقواعد المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم؟

٣. ما هي الترجمة الأولى للقرآن عند المستشرقين، وما هي خصائصها؟

٤. وما هي الملاحظات الواردة على الترجمة الأولى للقرآن عند المستشرقين؟

الدرس الثلاثون

ترجمة القرآن عند المستشرقين (٤)

أهداف الدرس:

على المتعلّم في نهاية هذا الدرس أنْ:

١. يتعرّف على أبرز الترجمات الاستشراقيّة للقرآن الكريم.

٢. يعرض لمنهجية ترجمة معاني القرآن لعند جورج سيل ويناقشها.

٣. يعرض لمنهجية ترجمة معاني القرآن لرودويل ويناقشها.

٤. يفهم أبرز الأخطاء والتحريفات والتشوّهات التي وقعت فيها هذه الترجمات.

تقويم ترجمات استشراقيّة للقرآن الكريم

أوّلًا: ترجمة لودفيكوماراكيوس أو مراتشي مستشرق إيطالي (١٦١٢-١٧٠٠م)

تعتبر ترجمة مراتشي الترجمة اللاتينية الثانية؛ لأنّه سبقتها ترجمة «سكاليبيه شرشييه» (عربي-لاتيني) (١٥٧٩م)، وترجمة «جبرائيل صهيون» الجزئيّة (باريس ١٦٣٠م). ولكنّ ترجمة مراتشي هي أشهر الترجمات اللاتينية للقرآن؛ وهي التي اعتمد عليها جورج سيل في ترجمته الإنجليزية للقرآن.

وفي عام ١٦٩٨م، في مدينة بادوفا الإيطالية، نُشِرَ سفر أودع فيه «لودفيكومراتشي»، المستشرق والكاهن الكاثوليكي الإيطالي، عُصارة عمره المديد.

يحوي النصّ نقلاً للفظ القرآني الكامل بحروف لاتينية، مع ترجمة تفصيلية، وتعليقات وحواش مكثفة، نُقِلت عن مصادر عربيّة جديدة.

وبتوجيهات من «البابا» شرع في ترجمة لاتينية جديدة للقرآن الكريم، وذلك للردّ على المسلمين، وللجدل الديني. وعندما انتهى من عمله بعد أربعين سنة كان قد سطّر (مجلدات عدّة)، وفيها كتب النصّ القرآني العربي، علاوة على الترجمة اللاتينية الحرفية، وفي هذه المرّة رَقَّمَ الآيات، ثمّ أورد رأي المسلمين في شرحها، وأتبع ذلك بالنقد والرفض والهجوم الجدلي على القرآن الكريم.

وأسهب مراتشي في عرض الردود والتفنيدات اللاهوتية، والتنقيب المتكلّف عن التناقضات النصّيّة عقب كلّ فقرة مترجمة.

وفي الحقيقة، كانت الروح العدائية تكتنف نصّ مراتشي بأكمله من الصفحة الأولى إلى الأخيرة. ففي الأولى، نجد الكاتب يهدي عمله إلى ليوبولد الأوّل، الإمبراطور الروماني المقدّس، قاهر العثمانيّين وحامي بيضة الدين. وفي الأخيرة، يهنّئ مراتشي نفسه على نجاحه في قتل محمّد بنفس سيفه، كناية عن نصّه المقدس.

وإذا كانت ترجمة «دير كلوني» اللاتينية الأولى هي المؤثّر على الترجمات في اللغات الأوروبية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، فإنّ ترجمة «ماراكيوس أو مراتشي»[١] كانت المؤثّر الأكبر على الترجمات في اللغات الأوروبية في القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر. وبقدر الفرق بين الترجمتين الأولى والثانية من الناحية الأكاديمية كان الفرق بين الترجمات الأوروبية المتأثّرة بالأولى والترجمات الأوروبية المتأثّرة بالثانية. فإذا قلنا بتفاهة ترجمة «دي ديور» فيمكن إرجاع ذلك للنبع الذي أخذت منه، وهي ترجمة «كلوني»، وإذا قيل إنّ ترجمة «جورج سال» أكثر أكاديمية من ترجمات «روس» و«تيلور» فهذا بديهي، «فمراكيوس» قدّم له ترجمة أكثر دقّة من سابقه. وهو الفرق نفسه الذي نجده في الألمانية بين ترجمة «سلمون شفايجر» عن (الكلوني) وترجمة «دافيد نريتر» عن (ماراكيوس)، فَرَجْعُ الصدى يتطابق مع مصدر الصوت[٢].

ثانيًا: ترجمة معاني القرآن لجورج سيل

في عام ١٧٣٤، نشر «جورج سيل» المحامي والمستشرق الإنجليزي -الأكثر تأثرًا بفلسفة عصر النهضة، خاصّة سبينوزا- ترجمته للقرآن عن اللغة العربية، وبالاستعانة بالترجمات الجادة السابقة؛ وهي ترجمة مراتشي؛ كما أسلفنا. ولكنْ يمكن تسجيل مجموعة من الملاحظات على هذه الترجمة، نذكر أهمّها، وهي:

- استخدام مصطلحات مسيحيّة في الترجمة.
- إدخال عبارات تفسيريّة وتأويليّة تستهدف تحريف المعاني.
- إسقاط ألفاظ من الأصل أو عبارات كاملة.
- إدخال عبارات إضافية ليس لها أيّ علاقة بالأصل.

[١]- هو **(Ludovico Marraccio)** أو **(Ludovicus Marracius)** وذلك باللاتينيّة، ولويجي مراتشي بالإيطاليَّة، ولودفيج بالألمانيّة، ولويس مراتشي بالفرنسيّة.

[٢]- انظر: المغايرجي، «الترجمة اللاتينيّة الثانية للقسّ لودفيجو ماراكيوس (١٦١٢-١٧٠٠م)».

- إدخاله في الترجمة تفاسير وتعليقات مبيّنة على الظنّ أو على روايات غير صحيحة.

هذه بعض شوائب هذه الترجمة، والتي هي من أشهر الترجمات الإنجليزية للقرآن الكريم، ونبيّن بعضًا من هذه النماذج السيّئة لهذه الترجمة.

١. قد يسقط بعض الكلمات؛ مثل: إسقاطه لكلمة ﴿**الرَّحِيمِ**﴾ في ترجمة البسملة، فيكتب في ترجمته: **(In the Name of the Most Merciful God)** ومعناها «بسم الله ذي الرحمة للغاية»، ويفعل ذلك في كلّ موضع تقع فيها الكلمتان ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾.

٢. إدخال بعض العبارات المسيحيّة؛ كما فعل ذلك في ترجمة: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ (البقرة: ٣) **(Who believe in the mysteriesof the faith)** ومعناها: «الذين يؤمنون بأسرار العقيدة». وهذه ليست ترجمة لمعنى كلمة الغيب، والتي هي واضحة في اللغة العربيّة؛ وهو ما يقابل عالم «الشهادة»؛ وهو ما لا تناله الحواس. أمّا ترجمة «سيل» فهي تتناسب مع مصطلح مسيحي؛ وهو «سرّ القربان المقدّس».

٣. تغيّر المعنى حتى للكلمات الواضحة؛ مثل: ترجمة ﴿**بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ (البقرة: ١٠) إلى: **(because they have disbelieved)**؛ أي «لأنّهم لم يؤمنوا».

٤. قد لا يَفهم العبارات العربيّة بطريقة صحيحة؛ كقوله تعالى: ﴿**أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ**﴾ (الكهف: ٢٦)، فكيتب معناها: **(do thou make him to see and to hear)** هذا فعل التعجّب، ولكن «سيل» ظنّ أنّه أمر للنبيﷺ وعلّق بقوله: «هذه عبارة سخرية تدلّ على سفاهة تعليم الإنسان لله».

٥. قد يُدخل كلمة أو أكثر لتغيير المعنى؛ مثل: ترجمة ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾ (البقرة: ٢١) في سورة البقرة؛ بقوله: **(O men of Mecca)**؛ يعني «يا أهل مكة»، أو ترجمة ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ**﴾ (البقرة: ١٤٣) إلى **(We make you O Arabians)**. وهكذا فعل في أماكن أخرى؛ ليثبت أنّ القرآن الكريم والإسلام يخصّان العرب.

٦. قد يأتي بمعنى بعيد كلّ البُعد عن الصحّة؛ فمثلاً يترجم ﴿**زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**﴾ (البقرة: ٢١٢) (**The present life was ordained for those who believe not**) يعني «قدرت أو قضيت الحياة الدنيا للذين كفروا».

وهناك مئات من الأخطاء في ترجمة «سيل»، لكنّها رغم ذلك تمّ تداولها أكثر من قرنين من الزمن؛ لأنّها تخدم الأهداف التي وُضعت من أجلها، طبعًا تغيّر الأمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فظهرت ترجمات أخرى للقرآن الكريم في شتّى اللغات الأوروبيّة[1].

ثالثًا: ترجمة معاني القرآن لرودويل (J.M. Rodwell)

صدر كتاب رودويل (**The Koran: translated from the Arabic, the surahs arranged in chronological order, with notes and index**). في ١٨٦١م، وقد تأثّر بكتابات موير، وسبرنجر، ونولدكه. وكتب مقدّمة طويلة تحدّث فيها عن شخصيّة الرسولﷺ وعن الإسلام، واعتبره خليط من النصرانية واليهوديّة، وادّعى أنّه يهوديّة مجرّدة عن شعائر موسوية ومسيحية مجرّدة عن التكفير والفداء (**Atonement**)، وعن التثليث (**The trinity**)... وأنّ الحجّة التي ينبغي أن يستخدمها المبّشر المسيحيّ في تعامله مع مسلم هي أنْ لا ينتقد الإسلام جملة من الأخطاء، بل يثبت أنّه يتضمّن شظايا منفصلة من الحقّ؛ أي أنّه مبني على المسيحيّة واليهوديّة، ولا سيّما الثانية، بدون فهمهما فهمًا كاملاً، ومشيراً إلى أنّ المسيحيّة هي الشريعة النهائيّة (**Final Dispensation**).

وقد قام رودويل بترتيب القرآن ترتيبًا زمنيًا حسب اقتراحات موير، ونولدكه في تاريخ نزول السور والآيات القرآنيّة، وطبعًا هدفه من ذلك كلّه إثبات أنّ القرآن الكريم من شظايا منفصلة من الحقّ، وأنّه من تأليف محمّدﷺ. على كلّ الأحوال ترجمته هذه لم تلقَ صدى إلا في الدوائر التنصيريّة؛ لأنّ القارئ المسلم نظر إليها بعين

---

[١]- انظر: مهر عليّ، «ترجمة معاني القرآن الكريم والمستشرقون لمحة تاريخيَّة تحليليَّة»، م.س، ص١٢-١٧.

الريبة، والقارئ غير المسلم لم يعدّها ترجمة صحيحة ومستقيمة للقرآن الكريم.

ملاحظات على ترجمة رودويل

هناك ملاحظات كثيرة على ترجمة رودويل، نذكر منها:

١. ترجم قوله تعالى: ﴿**فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**﴾ (الكهف: ٢٢)

(The refore be clear in thy discussions about them and ask not any Christian concerning them)

فقد ترجم الضمير في (مِنْهُمْ)، بقوله: ولا تسأل أحدًا من النصارى عنهم، فتخصيص النصارى فيه قصور؛ لأنّ المقصود هم أهل الكتاب عامّة أو اليهود خاصّة؛ كما دلّت الروايات على ذلك؛ لأنّ اليهود هم الذين طلبوا من المشركين أن يسألوا الرسولﷺ عن أهل الكهف.

٢. ترجم قوله تعالى: ﴿**أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ**﴾ (الكهف: ٢٦) **Look thou and hearken unto Him alone** يعني: انظر انت واستمع.

٣. ترجم كلمة السجود في قوله تعالى:﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٣٤)

And when we said to the angels ((Bow down and worship Adam)) the angles then worshipped they all, save Eblis.

وترجم رودويل كلمة اسجدوا؛ بما يفيد معنى العبادة. وهذا غير صحيح، فقد قال: **(Bow down and worship Adam)** أي اسجدوا سجود عبادة.

وهناك أخطاء كثيرة في هذه الترجمة؛ من حذف لبعض الكلمات، وإضافة لكلمات أخرى لا وجود لها في النصّ، وتقديم وتأخير بعض الكلمات خلاف النصّ الأصلي.

ولقد ملئت أيضًا تعليقات رودويل على النصّ القرآن بالافتراءات والأكاذيب عن القرآن والرسول صلى الله عليه وآله، نذكر أنموذجًا واحدًا لذلك؛ وإلا هناك عشرات من هذه التعليقات يمكن مراجعتها في ترجمته.

فعند تعليق رودويل على قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ (النجم: ١٩-٢٠). قال: لمّا وصل الرسول إلى قراءة هذه الآيات عند قراءته لهذه السورة في أوّل مرّة تابع قائلًا: تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهم ترتجى، فأعجب الوثنيون بهذه الآيات، إلا أنّ محمّدا رفض هذه الآيات بعد أيام، واعتبرها آيات شيطانية، واستبدلت بالآيات التي تلي هذه الآيات حاليًا. والاحتمال الوارد هو أنّه أراد -بناء على الصعوبات التي واجهها- أن يحاول التقريب فيما بينه وبين المشركين، ولكنّه سرعان ما ندم على ذلك. ويبدو أنّ رفض الأوثان في السور التي تلي هذه السورة جلي وواضح[١].

رابعًا: ترجمة ماكس هيننج (Max Hen)

تعد ترجمة ماكس هيننج من أكثر الترجمات الألمانية انتشارًا، وقد صدرت هذه الترجمة عام (١٩٠١م) بالاسم المستعار ماكس هننغ، والتي قام بها -على الأغلب- أستاذ الاستشراق في جامعة لينيغراد البروفسور أوغست مولر، وتعدّ هذه الترجمة، وعلى الرغم من مرور مائة عام على صدروها- أكثر الترجمات قبولًا لدى المسلمين الألمان. وقد عبرّ هننغ في مقدّمته عن توجّسه من مستقبل الإسلام، وملأ حواشي ترجمته بالإسرائيليات المخالفة للإسلام، ولكنّه تمكّن بالرغم من ذلك من المحافظة على القرب الشديد من معاني القرآن الكريم. وطبعت هذه الترجمة اثنتي عشرة مرّة، مع تنقيح للأستاذة آنا ماري شمل عام (١٩٦٠م) وتنقيح لـ كورت رودولف عام (١٩٦٨م)، ولا تزال هذه الترجمة تحظى بأفضلية لدى المسلمين، وقد طبع هذه الترجمة الأستاذ مراد هوفمان طبعتين مختلفتين: إحداهما: بالنصّ الألماني فحسب.

[١]- انظر: الخطيب، دراسة نقديّة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزيّة للمستشرق ج. م. رودويل، ص٣٦-٤٢.

والثانية: بالنصّ الألماني مقابل الأصل العربي؛ وذلك بعد أن عمل على تنقيحها أكثر من ثلاث سنوات. وقد ألحق مراد هوفمان مع هذه الترجمة تفسيراً مختصرًا مكان حواشي هننغ المخالفة للإسلام، وذلك في (٧٤٤) موضعًا، وأضاف كشافًا للمصطلحات.

تركت ترجمة هننغ آثارًا كبيرة في عدد من الترجمات اللاحقة، وبشكل خاصّ في ترجمة الأحمدية، التي اعتمدت على الترجمة الإنجليزية لـ محمّد علي عام (١٩١٧م). وصدرت الطبعة الأولى من هذه الترجمة عام (١٩٣٩م)، ثمّ نشرها ميرزا نصير أحمد عام (١٩٤٥م). وتعدّ هذه الترجمة جيّدة من ناحية المستوى اللغوي، غير أنّها غير مقبولة؛ بسبب تعليقاتها الطائفية.

وفي ما يتعلّق بمنهج الترجمة عند ماكس هيننج، فقد اتبع أسلوبًا حافظ فيه على القرب من معاني القرآن الكريم، وتجنّب فيه التكلّف في لغة الترجمة، وحافظ على بساطة العبارة بما يناسب اللغة الألمانية. ويقول هوفمان؛ وهو الذي حقّق وقدّم للطبعة الأخيرة لترجمة هيننج: إنّ هيننج قد استحدث أحيانًا تعبيرات ألمانية لا تفي بالمعاني العميقة والمتعدّدة للمصطلحات كذلك، فقد التزم هيننج، ترجمة جميع الكلمات القرآنية المتشابة ترجمة موحدة حيثما وردت بغض النظر عن السياق[١].

وهناك ترجمات عديدة للقرآن الكريم أعرضنا عن ذِكْرها؛ لأنّ الغرض ممّا تقدم هو الإشارة إلى بعض الترجمات الخاطئة والمُغرِضة والحاقدة في هذا المجال، مع التفاوت الواضح بين هذه الترجمات.

---

[١]- انظر: رشيدي، مناهج المستشرقين الألمان في ترجمات القرآن الكريم في ضوء نظريّات الترجمة الحديثة، ص١٠ وما بعدها.

الأفكار الرئيسة:

- تعتبر ترجمة مراتشي الترجمة اللاتينية الثانية وأشهرها للقرآن الكريم؛ وهي التي اعتمد عليها جورج سيل في ترجمته الإنجليزية للقرآن.

- تحتوي ترجمة مراتشي اللفظ القرآني الكامل بحروف لاتينية، مع ترجمة تفصيلية، وتعليقات وحواش مكثفة، نُقِلت عن مصادر عربيّة جديدة.

- كانت الروح العدائية تكتنف نصّ مراتشي بأكمله من الصفحة الأولى إلى الأخيرة.

- نشر جورج سيل ترجمته للقرآن عن اللغة العربية في عام ١٧٣٤، وبالاستعانة بالترجمات الجادة السابقة؛ وهي ترجمة مراتشي.

- يمكن تسجيل مجموعة من الملاحظات على هذه ترجمة سيل، أهمّها: استخدام مصطلحات مسيحيّة في الترجمة، وإدخال عبارات تفسيريّة وتأويليّة تستهدف تحريف المعاني، وإسقاط ألفاظ من الأصل أو عبارات كاملة، وإدخال عبارات إضافية ليس لها أيّ علاقة بالأصل، وإدخاله في الترجمة تفاسير وتعليقات مبيّنة على الظنّ أو على روايات غير صحيحة.

- من ترجمات القرآن: ترجمة معاني القرآن لرودويل في عام ١٨٦١م، وقد تأثّر بكتابات موير، وسبرنجر، ونولدكه.

- قام رودويل بترتيب القرآن ترتيبًا زمنيًا حسب اقتراحات موير، ونولدكه في تاريخ نزول السور والآيات القرآنيّة

- هناك أخطاء كثيرة في ترجمة رودويل؛ من حذف لبعض الكلمات، وإضافة لكلمات أخرى لا وجود لها في النصّ، وتقديم وتأخير بعض الكلمات خلاف النصّ الأصلي، وتعليقات مليئة بالافتراءات والأكاذيب.

- تعد ترجمة ماكس هيننج من أكثر الترجمات الألمانية انتشارًا، وقد صدرت هذه الترجمة عام ١٩٠١م.

- تركت ترجمة هيننغ آثارًا كبيرة في عدد من الترجمات اللاحقة.

- اتبع هينغ أسلوبًا حافظ فيه على القرب من معاني القرآن القرآن، وتجنّب فيه التكلّف في لغة الترجمة، وحافظ على بساطة العبارة بما يناسب اللغة الألمانية.

فكِّر وأَجِب:

١. تكلّم عن ترجمة مراتشي؛ مبينًا خصائصها وأبرز الملاحظات عليها.

٢. من هو جروج سيل؟ وما هي خصائص ترجمته للقرآن؟ وما هي الملاحظات عليها؟

٣. تحدّث عن ترجمة رودويل؛ مبينًا خصائصها وأبرز الملاحظات عليها.

٤. ما هي أبرز الأخطاء والتحريفات والتشوّهات التي وقعت فيها هذه الترجمات.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلًا: القرآن الكريم

ثانيًا: العهد القديم والجديد والأناجيل

ثالثًا: الكتب العربيّة

١. ابن إسحاق، محمّد: السيرة النبويَّة محمّدﷺ (المعروف بسيرة ابن اسحاق)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٤م.

٢. ابن الأثير، عليّ بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ الجزريّ: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠١٢م.

٣. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمّد بن محمّد بن يوسف: النشر في القراءات العشر، تحقيق: عليّ محمّد الضباع، لا ط، لا م، المطبعة التجاريَّة الكبرى، لا ت.

٤. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد: زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزَّاق المهدي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٤٢٢هـ.ق.

٥. ابن الحجَّاج القشيري النيسابوري، مسلم: صحيح مسلم، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٩٩١م.

٦. ابن العربيّ المالكيّ، أبو بكر: أحكام القرآن، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا، ط٣، لا م، دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٣م.

٧. ابن النديم، الفهرست، مصر، مطبعة الاستقامة.

٨. ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، ط١، لا م، مؤسَّسة الرسالة، ٢٠٠١.

٩. ابن سعد، محمّد: الطبقات الكبرى، تحقيق: عليّ محمّد عمر، لا ط، بيروت، دار صادر، ٢٠٠١م.

١٠. ابن عبد البرّ، يوسف: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي بن محمّد البجاوي، طبع مصر.

١١. ابن عساكر، عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله: تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محبّ الدين العموري، لا ط، دمشق، دار الفكر، لا ت.

١٢. ابن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، لا ط، قم المقدَّسة، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٤هـ.ق.

١٣. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، اعتنى به: حنان عبد المنان، لا ط، لبنان، بيت الأفكار الدوليَّة، ٢٠٠٤م.

١٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: السيرة النبويَّة، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، لا ط، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٦م.

١٥. ابن منظور، محمّد بن مكرم: لسان العرب، لا ط، قم المقدَّسة، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.ق.

١٦. أبو حسَّان، «القرآن الكريم في موسوعة قصَّة الحضارة عرض ونقد لما كتبه ول ديوارنت بعنوان شكل القرآن»، مجلَّة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانيَّة.

١٧. أبو زهرة، محمّد: المعجزة الخالدة، لا ط، القاهرة، دار الفكر العربيّ، لا ت.

١٨. أبو شهبة، محمّد: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ط٣، الرياض، دار اللواء، ١٩٧٨م.

١٩. أبو ليلة، محمّد محمّد: القرآن من المنظور الاستشراقيّ، ط١، مصر، دار النشر للجامعات، ٢٠٠٢م.

٢٠. آدم، بمبا: المستشرقون ودعوى الأخطاء اللغويَّة في القرآن، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠١٥م.

٢١. اسبينداري، عبد الرحمن عمر محمّد: كتابة القرآن الكريم في العهد المكيِّ، لا ط، لا م، المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة، لا ت.

٢٢. الأصفهانيّ، أبو الفرج: الأغاني، تحقيق ونشر: دار إحياء التراث العربيّ، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٣. الأصفهانيّ، الراغب: مفردات غريب القرآن، ط٢، لا م، دفتر نشر كتاب، ١٤٠٤هـ.ق.

٢٤. الشيباني، محمّد شريف: الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٢٥. الأنصاري، مرتضى: كتاب الصلاة، تحقيق: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط١، لا م، نشر المؤتمر العالميّ بمناسبة الذكرى المئويَّة الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري، ١٤١٥هـ.ق.

٢٦. الأوسي، عليّ: الطباطبائيّ ومنهجه في التفسير، ط١، طهران، معاونيَّة الرئاسة للعلاقات الدوليَّة في منظَّمة الإعلام الإسلاميّ، ١٩٨٥م.

٢٧. البار، محمّد عليّ: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ط١، دمشق، دار القلم، ١٤١٠هـ.ق.

٢٨. البخَّاري، محمّد بن إسماعيل: صحيح البخَّاري، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر الناصر، لا ط، لا م، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.ق.

٢٩. بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ط٥، بيروت، المؤسَّسة العربيَّة للدراسات والنشر، ٢٠١٥م.

٣٠. البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد: المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسينيّ، ط١، طهران، دار الكتب الإسلاميَّة، ١٣٣٠هـ.ش.

٣١. بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلاميَّة، ترجمة: منير البعلبكي؛ نبيلة أمين فارس، لا ط، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٨م.

٣٢. البلاذري، أحمد بن يحيى: فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المجد، القاهرة، لا ن، ١٩٦٥م.

٣٣. بلاشير، ريجي: كتاب القرآن، ترجمة: رضا سعادة، ط١، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ١٩٧٤م.

٣٤. بلاشير، ريجيس: تاريخ القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره، ترجمة: رضا سعادة، ط١، بيروت، دار الكتاب اللبنانيّ، ١٩٧٤م.

٣٥. البلاغي، محمّد جواد: آلاء الرحمن في تفسير القرآن، لا ط، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ، لا ت.

٣٦. البلاغي، محمّد جواد: الهدى إلى دين المصطفى، ط٣، لا م، لا ن، ١٤٠٥هـ.ق/١٩٨٥م.

٣٧. بِلر، جون سي: مصادر الإسلام بحث في مصادر وأركان الديانة المحمّديَّة، ترجمة: مالك مسلماني، لا ط، لا م، جمعيَّة الأدب المسيحيّ للهند، ١٩٢٥م.

٣٨. البنداق، محمّد صالح: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ.ق/١٩٨٣م.

٣٩. البوطي، محمّد سعيد رمضان: من روائع القرآن تأمُّلات علميَّة وأدبيَّة في كتاب الله عزَّ وجلّ، ط٤، بيروت، مؤسَّسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.ق.

٤٠. بوكاي، موريس: الأفكار الخاطئة التي ينشرها المستشرقون خلل ترجمتهم للقرآن الكريم، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٤١. التسخيري، محمّد عليّ: محاضرات حول علوم القرآن، ط١، لا م، المنظَّمة العلميَّة للحوزات والمدارس الإسلاميَّة، ٢٠٠٣م.

٤٢. تسدال، كلير: «إضافات الشيعة إلى القرآن»، مجلَّة العالم المسلم، المجلَّد ٣، العدد ٣، ١٩١٣م.

٤٣. جبل: محمّد حسن حسن: الردّ على المستشرق اليهوديّ جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنيَّة، ط٢، لام، القاهرة، كلِّيَّة القرآن الكريم في جامعة الأزهر، ١٤٢٣هـ.ق.

٤٤. جورافسكي، أليكس: الإسلام والمسيحيَّة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، العدد ٢١٥، ١٩٩٦م.

٤٥. جولدتسيهر، إيجناس: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: محمّد يوسف موسى؛ عبد العزيز عبد الحقّ؛ علي حسن عبد القادر، لا ط، القاهرة، المركز القوميّ للترجمة، ٢٠١٣م.

٤٦. جولدتسيهر، إيجناس: مذاهب التفسير الإسلاميّ، ترجمة: عبد الحليم النجَّار، ط٨، بيروت، دار اقرأ، ١٤٠٣هـ.ق/ ١٩٨٣م.

٤٧. جيب، هاملتون: في النُّظم الفلسفة والدين في الإسلام، لا ط، دمشق، المركز العربيّ للكتاب، ١٩٨٠م.

٤٨. الحاجّ، ساسي سالم: نقد الخطاب الاستشراقيّ، ط١، بيروت، دار المدار الإسلاميّ، ٢٠٠٢م.

٤٩. حسن، دراسات القرآن الكريم عند المستشرقين على ضوء علم نقد الكتاب المقدّس.

٥٠. الحكيم، محمّد باقر: علوم القرآن، ط٣، قم المقدَّسة، مجمع الفكر الإسلاميّ، ١٤١٧هـ.ق.

٥١. الحميريّ، عبد الملك بن هشام بن أيُّوب: السيرة النبويَّة، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط٣، لا م، دار الكتاب العربيّ، ١٩٩٠م.

٥٢. الخازن، علاء الدين عليّ بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي: لباب التأويل في

معاني التنزيل (المعروف بتفسير الخازن)، تصحيح: محمّد عليّ شاهين، ط١، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤١٥هـ.ق.

٥٣. خالد عثمان حمدانين، الإعجاز العلميّ الكوني في القرآن الكريم، تركيا، جامعة يوزنجو ييل، وان، ٢٠١٩م.

٥٤. خان، ظفر الإسلام: التلمود تاريخه وتعاليمه، ط٥، بيروت، دار النفائس، لا ت.

٥٥. الخطيب، عبد الله: دراسة نقديَّة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزيَّة للمستشرق ج. م. رودويل، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٥٦. الخوئيّ، أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن، ط٤، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٥م.

٥٧. دائرة المعارف الإسلاميّة، ليدن، دار بريل، ١٩١٣-١٩٣٨م.

٥٨. الدجوي، قاسم؛ القمحاوي، محمّد: قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر، ط١، مصر، قطاع المعاهد المصريَّة، ١٤٢٧هـ.ق.

٥٩. درَّاز، عبد الله: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، لا ط، قطر، دار إحياء التراث الإسلاميّ، ١٩٨٥م.

٦٠. درَّاز، محمّد عبد الله: المدخل إلى القرآن الكريم، ط١، الكويت، دار القلم، ١٩٨٤م.

٦١. الدمياطي، أحمد بن محمّد بن أحمد بن عبد الغني: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ط٣، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٧هـ.ق.

٦٢. الدينوري، ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، لا ط، لا م، المكتبة العلميَّة، ١٩٧٣م.

٦٣. ديورانت، وِل: قصَّة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، تقديم: محيي الدين صابر، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٦٤. الذهبيّ، محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، لا ط، لا م، دار الكتاب العربيّ، ١٩٩٠م.

٦٥. الرازي، محمّد بن عمر فخر الدين: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لا ط، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠٤م.

٦٦. الرافعي، مصطفى صادق: إعجاز القرآن والبلاغة النبويَّة، ط٩، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٧٣م.

٦٧. رشيدي، محمود محمّد حجَّاج: مناهج المستشرقين الألمان في ترجمات القرآن الكريم في ضوء نظريَّات الترجمة الحديثة، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٦٨. رضا، محمّد رشيد: الوحي المحمّديّ، ط٢، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ١٤٢٦هـ.ق/٢٠٠٥م.

٦٩. رضا، محمّد رشيد: تفسير المنار، لا ط، مصر، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٠م.

٧٠. رضوان، عمر بن إبراهيم: آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، لا ط، الرياض، دار طيبة، لا ت.

٧١. رودنسون، مكسيم: محمّد، ط٣، باريس، لا ن، ١٩٧٤م.

٧٢. الزرقانيّ، محمّد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فوَاز أحمد زمرلي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٩٩٥م.

٧٣. الزركشي، بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٠م.

٧٤. الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٧٥. الزرندي، أبو الفضل مير محمّدي: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، ط١، قم المقدَّسة، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، لا ت.

٧٦. زغلول راغب محمّد النجار، من آيات الإعجاز العلميّ.. الأرض في القرآن الكريم، بيروت - لبنان، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٧٧. زقزوق، حمدي: الاستشراق والخلفيَّة الفكريَّة للصراع الحضاريّ.

٧٨. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٤٠٧هـ.ق.

٧٩. زيدان، جرجي: تاريخ التمدُّن الإسلاميّ، لا ط، القاهرة، مؤسَّسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.

٨٠. ساب، هيثم بن عبد العزيز: دراسة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنكليزيَّة للمستشرق الإنكليزيّ آرثر ج. آربري، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

٨١. سال، جرجس: مقالة في الإسلام، ترجمة وتحقيق: هاشم العربيّ، ط١، لا م، منشورات أسمار، ضمن سلسلة: الإسلام من منظور آخر، ٢٠٠٦م.

٨٢. السجستانيّ، ابن أبي داوود: كتاب المصاحف، تحقيق وتقديم: آرثر جيفري، ط١، مصر، المطبعة الرحمانيَّة، ١٩٣٦م.

٨٣. السرخسي، محمّد بن أحمد: المبسوط، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٦م.

٨٤. السيوطي، جلال الدين عبدر الحمن بن أبي بكر: الدرّ المنثور في التفسير المأثور، لا ط، لا م، دار الفكر، لا ت.

٨٥. السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، ضبطه وصحَّحه وخرَّج آياته: محمّد سالم هاشم، ط٢، لا م، منشورات ذوي القربى، ١٤٢٩هـ.ق/ ١٣٨٧هـ.ش.

٨٦. السيوطي، جلال الدين: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمّد جاد المولى؛ محمّد أبو الفضل إبراهيم؛ عليّ محمّد البجاوي، لا ط، لا م، المكتبة العصريَّة، لا ت.

٨٧. السيوطي، جلال الدين: قطف الثمر في موافقات عمر، شرح وتعليق: علي أسعد رباجي، لا ط، بيروت، دار الكتب العلميَّة، لا ت.

٨٨. شاخت؛ بوزورث، الصورة الغربيَّة والدراسات الغربيَّة الإسلاميَّة في تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة.

٨٩. الشايب، خضر: نبوَّة محمّد في الفكر الاستشراقيّ المعاصر، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ.ق.

٩٠. شريفي، علي: بررسي ونقد ديدگاه هاي مستشرقان درباره نسخ در قران كريم [بحث ونقد نظريَّات المستشرقين حول النسخ في القرآن الكريم]، ط١، قم المقدَّسة، نشر: كتاب مبين، ١٣٨٧هـ.ش.

٩١. الشمري، رباح صعصعة عنان: جمع القرآن عند المستشرقين جون جلكريست أنموذجًا، ط١، لا م، دار الكفيل، ٢٠١٤م.

٩٢. الشهرستانيّ، محمّد بن عبد الكريم: الملل والنحل، تحقيق: أحمد فهمي محمّد، ط٢، لا م، دار الكتب العلميَّة، ١٩٩٢م.

٩٣. الشيرازيّ، أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ: اللمع في أصول الفقه، ط٢، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٦هـ.ق.

٩٤. الشيرازيّ، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط٢، قم المقدَّسة، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ١٤٢٩هـ.ق.

٩٥. الصدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه القمِّي: الاعتقادات في دين الإماميَّة، تحقيق: عصام عبد السيِّد، ط٢، لا م، دار المفيد، ١٤١٤هـ.ق.

٩٦. الصغير، محمّد حسين علي: المستشرقون والدراسات القرآنيَّة، ط١، بيروت، دار المؤرِّخ العربيّ، ١٩٩٩م.

٩٧. الصغير، محمّد حسين علي: دراسات قرآنيَّة، ط٢، لا م، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤١٣هـ.ق.

٩٨. الطباطبائيّ، محمّد حسين: الميزان في تفسير القرآن، لا ط، قم المقدَّسة، منشورات جماعة المدرِّسين، ١٤١٧هـ.ق.

٩٩. الطبرسي، أحمد بن علي: الاحتجاج، تعليقات وملاحظات: محمّد باقر الخرسان، لا ط، لا م، لا ن، ١٩٦٦م.

١٠٠. الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، بيروت، مؤسِّسة الأعلمي، ١٩٩٥م.

١٠١. الطبري، محمّد بن جرير: دلائل الإمامة، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميَّة في مؤسَّسة البعثة، ط١، قم المقدَّسة، مركز الطباعة والنشر في مؤسَّسة البعثة، ١٤١٣هـ.ق.

١٠٢. الطبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبري)، لا ط، لا م، دار المعالرف، ١٩٩٠م.

١٠٣. طرابيشي، جورج: معجم الفلاسفة، ط٣، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٦م.

١٠٤. الطريحي، فخر الدين: مجمع البحرين، ط٢، طهران، نشر مرتضوي؛ مطبعة چاپخانهء طراوت، ١٣٦٢هـ.ش.

١٠٥. الطهراني، آغا بزرگ: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٢، بيروت، دار الأضواء، لا ت.

١٠٦. الطوسيّ، محمّد بن الحسن: التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، قم المقدَّسة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤٠٩هـ.ق.

١٠٧. العالم، عمر لطفي: المستشرقون والقرآن، لا ط، لا م، مركز دراسات العالم الإسلاميّ، ٢٠٠٩م.

١٠٨. العاني، عبد القهَّار: الاستشراق والدراسات القرآنيَّة، لا ط، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٣م.

١٠٩. عبَّاس، فضل حسن: قضايا قرآنيَّة في الموسوعة البريطانيَّة نقد مطاعن وردّ شبهات، ط٢، الأردن، دار البشير، ١٩٨٩م.

١١٠. عبد المحسن، عبد الراضي: الغارة التنصيريَّة على أصالة القرآن الكريم، لا ط، لا م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، لا ت.

١١١. عبد المحسن، مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم دراسة تاريخيَّة نقديَّة.

١١٢. عتر، حسن: بيّنات المعجزة الخالدة، ط١، حلب، دار النصر، ١٩٧٥م.

١١٣. عتر، وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنَّة نقض مزاعم المستشرقين.

١١٤. العراقي، ضياء الدين: شرح تبصرة المتعلِّمين، تحقيق: محمّد الحسّون، ط١، قم المقدَّسة، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، ١٤١٤هـ.ق.

١١٥. العسقلانيّ، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخَّاري، لا ط، لا م، دار الفكر الإسلاميّ الحديث، ٢٠٠٠م.

١١٦. العسكريّ، مرتضى: القرآن في روايات المدرستين، ط١، لا م، المجمع العالميّ لأهل البيت (عليهم السلام)، ٢٠١٠م.

١١٧. العقيقي، نجيب: المستشرقون، لا ط، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠م.

١١٨. عناية، غازي: شبهات حول القرآن وتفنيدها، لا ط، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢١هـ.ق.

١١٩. عوض، إبراهيم: دائرة المعارف الاستشراقيَّة الإسلاميَّة أضاليل وأباطيل، ط١، لا م، مكتبة البلد الأمين، ١٩٨٩م.

١٢٠. العيَّاشي، محمّد بن مسعود، تفسير العيَّاشي، تحقيق وتصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، طهران، المكتبة العلميَّة الإسلاميَّة، لا ت.

١٢١. غراب، أحمد عبد الحميد: رؤية إسلاميَّة للاستشراق، لا ط، لندن، المنتدى الإسلاميّ، ١٤١١هـ.ق.

١٢٢. فرد، عارف هنديجانيّ: علوم القرآن عند العلاَّمة آية الله السيِّد محمّد حسين الطباطبائيّ (قده) دراسة مقارنة، ط١، بيروت، إعداد ونشر: جمعيَّة القرآن الكريم، ٢٠١٣م.

١٢٣. فوك، يوهان: تاريخ حركة الاستشراق، ترجمة: عمر لطفي العالم، ط٢، طرابلس الغرب، دار المدار الإسلاميّ، ٢٠٠١م.

١٢٤. الفيض الكاشانيّ، محمّد محسن: التفسير الصافي، ط٢، قم المقدَّسة، مؤسَّسة الهادي؛ طهران، مكتبة الصدر، ١٤١٦هـ.ق.

١٢٥. الفيض الكاشانيّ، محمّد محسن: علم اليقين، تحقيق: محسن بيدارفر، ط١، قم المقدَّسة، انتشارات بيدار، ١٤١٨هـ.ق.

١٢٦. القاضي، عبد الفتَّاح: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، لا ط، مصر، دار مصر للطباعة، لا ت.

١٢٧. القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، ط٨، لا م، مؤسَّسة الرسالة، لا ت.

١٢٨. القمّيّ، علي: تفسير القمِّيّ، تصحيح وتقديم وتعليق: طيِّب الموسويّ الجزائريّ، لا ط، لا م، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ.ق.

١٢٩. كارليل، توماس: الأبطال، تعريب: محمّد السباعي، ط٣، المطبعة المصريَّة في الأزهر، ١٩٣٠م.

١٣٠. الكرديّ، محمّد طاهر بن عبد القادر: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ط٢، مصر، مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده، ١٩٥٣م.

١٣١. الكريطي، حاكم حبيب: معجم الشعراء الجاهليِّين والمخضرمين، ط١، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١م.

١٣٢. الكشميري، محسن بن حسن الفاني: دبستان المذاهب، لا ط، لا م، جامعة أوكسفورد، ١٨٠٩م.

١٣٣. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: عليّ أكبر الغفّاري، ط٥، طهران، دار الكتب الإسلاميَّة، ١٣٦٣هـ.ش.

١٣٤. الكورانيّ العامليّ، علي: تدوين القرآن الكريم، ط١، قم المقدَّسة، دار القرآن الكريم، لا ت.

١٣٥. لوبون، جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، لا ط، لا م، دار الكتب المصريَّة، ٢٠١٨م.

١٣٦. اللوندي، سعيد: إشكاليَّة ترجمة القرآن الكريم، لا ط، مركز الحضارة العربيَّة للإعلام والنشر والدراسات، ٢٠٠١م.

١٣٧. ماضي، محمود: الوحي القرآنيّ في المنظور الاستشراقيّ ونقده، ط١، الإسكندريَّة، دار الدعوة للطبع والنشر، ١٩٩٦م.

١٣٨. ماهر أحمد الصوفي، آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة الموسوعة الكونيّة الكبرى، صيدا - بيروت، المكتبة العصريّة، ٢٠٠٧م.

١٣٩. متقي زاده؛ نبي كندي، «جمع القرآن من قبل النبيّ والإمام عليّ من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنَّة».

١٤٠. المجلسي، محمّد باقر: بحار الأنوار، ط٢، بيروت، مؤسّسة الوفاء، ١٩٨٣م.

١٤١. محمّد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان.

١٤٢. محمّد، إدريس حامد: آراء المستشرقين حول الوحي، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

١٤٣. المحمّديّ، فتح الله: سلامة القرآن من التحريف وتفنيد الافتراءات على الشيعة الإماميَّة، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

١٤٤. مرتضى العامليّ، جعفر: حقائق هامَّة حول القرآن، ط١، قم المقدَّسة، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين، ١٤١٠هـ.ق.

١٤٥. مرتضى، جعفر: مختصر مفيد أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة، ط١، لا م، المركز الإسلاميّ للدراسات، المجموعة السابعة، ٢٠٠٢م.

١٤٦. مركز الثقافة والمعارف القرآنيَّة: علوم القرآن عند المفسِّرين، ط١، قم المقدَّسة، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ١٤١٧هـ.ق.

١٤٧. مطر الهاشميّ، حسن علي حسن: قراءة نقديَّة في تاريخ القرآن للمستشرق تيودور نولدكه، ط١، لا م، المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجيَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، ٢٠١٤م.

١٤٨. المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدوليّة، ٢٠٠٥م.

١٤٩. معرفت، محمّد هادي: التمهيد في علوم القرآن، ط٣، قم المقدَّسة، منشورات ذوي القربى، ٢٠١١م.

١٥٠. معرفت، محمّد هادي: صيانة القرآن من التحريف، ط١، قم المقدَّسة، مؤسَّسة فرهنكي التمهيد، ٢٠٠٧م.

١٥١. مغنيّة، محمّد جواد: التفسير الكاشف، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

١٥٢. المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ: أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، ط١، طهران، مؤسسة مطالعات اسلامى، دانشگاه تهران، ١٤١٦هـ.ق.

١٥٣. مقبول، إدريس: الدراسات الاستشراقيّة للقران الكريم في رؤية إسلاميَّة، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

١٥٤. المقريزي، تقيّ الدين: إمتاع الأسماع بما للنبيّ ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة المتاع، تحقيق: محمّد عبد الحميد النميسي، لا ط، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٩م.

١٥٥. مندي، جيريمي: مدخل إلى دراسات الترجمة نظريّات وتطبيقات، ترجمة: هشام علي جواد، لا ط، لا م، لا ن، ٢٠١٠م.

١٥٦. مهر عليّ، «ترجمة معاني القرآن الكريم والمستشرقون لمحة تاريخيّة تحليليّة».

١٥٧. مهنا، أحمد إبراهيم: دراسة حول ترجمة القرآن الكريم، لا ط، القاهرة، مؤسّسة دار الشعب، ١٩٧٨م.

١٥٨. موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة: الشيخ حسن خالد، لبنان - بيروت، المكتب الإسلاميّ، الطبعة الخامسة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

١٥٩. الميلانيّ، عليّ: التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف، لا ط، لا م، مركز الحقائق الإسلاميّة، لا ت.

١٦٠. ناجي، عبد الجبّار: الاستشراق في التأريخ الإشكاليّات الدوافع التوجُّهات الاهتمامات، ط١، بيروت، المركز الأكاديميّ للأبحاث، ٢٠١٣م.

١٦١. ناجي، عبد الجبّار: الإمام عليّ وإشكاليّة جمع القرآن ودراسات المستشرقين، ط١، لبنان، الرافدين، ٢٠١٧م.

١٦٢. نولدكه، تيودور: تاريخ القرآن، ترجمة: جورج تامر، ط١، بيروت، دار نشر جورج ألمز، ٢٠٠٤م.

١٦٣. النووي، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزاميّ الحورانيّ: المجموع شرح المهذّب، تحقيق: محمّد نجيب المطيعي، لا ط، جدّة، مكتبة الإرشاد، لا ت.

١٦٤. النووي، يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربيّ، ١٤٩٠٧هـ.ق/ ١٩٨٧م.

١٦٥. هوتسما، م.ت؛ أرنولد، ت. و؛ باسيت، ر؛ هارتمان، ر: موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ط١، لا م، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، ١٩٩٨م.

١٦٦. وات، مونتجمري: الإسلام والمسيحيَّة في العالم المعاصر، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، لا ط، لا م، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٨م.

١٦٧. وات، وليم مونتجمري: محمّد في المدينة، ترجمة: شعبان بركات، لا ط، صيدا، المكتبة العصريَّة، لا ت.

١٦٨. وات، وليم مونتجمري: محمّد في مكَّة، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، لا ط، القاهرة، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٤م.

١٦٩. الوزان، عدنان: موقف المستشرقين من القرآن الكريم دراسة في بعض دوائر المعارف الغربيَّة، لا ط، لا م، لا ن، لا ت.

١٧٠. ويلز، هـ.ج: معالم تاريخ الإنسانيَّة، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، ط٣، لا م، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، لا ت.

رابعًا: المجلات والدوريّات

١٧١. «مذكرة لدراسة القرآن الشيعيّ»، مجلَّة الدراسات السامية، ١٩٩١م.

١٧٢. بلاشير، ريجي: «مقدّمة ترجمة القرآن»، ترجمة: محمّد العبيدي، حوليَّة كلِّيَّة الآداب، الجامعة التونسيَّة.

١٧٣. بيدگلي وآخرون، محمّد تقي دياري: «إنكار النسخ في القرآن الكريم نظرة تاريخيَّة»، مجلَّة الاجتهاد والتجديد (مجلَّة فصليَّةٌ متخصِّصة تعنى بقضايا الاجتهاد والفقه الإسلاميّ)، بيروت، مركز البحوث المعاصرة، السنتان ٩ و١٠، العددان ٣٦ و٣٧، ١٤٣٦هـ.ق/خريف ٢٠١٥م-١٤٣٧هـ.ق/شتاء ٢٠١٦م.

١٧٤. زادة، عيسى متَّقي: «جمع القرآن من قبل النبيّ ﷺ والإمام علي عليه السلام من وجهة نظر

المستشرقين وأهل السنَّة»، مجلَّة دراسات استشراقيَّة (مجلَّة فصليَّة تعنى بالتراث الاستشراقيّ عرضًا ونقدًا)، بيروت، المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجيَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، السنة ١، العدد ٢، ١٤٣٦هـ.ق/ خريف ٢٠١٤ م.

١٧٥. الضامر، عبد العزيز بن عبد الرحمن: «هل تأثَّر المستشرقون بآراء الاثني عشريَّة في تاريخ القرآن الكريم؟!»، مجلَّة البيان، العدد ٣٣٩، ذو القعدة ١٤٣٦هـ.ق/ أغسطس-سبتمبر ٢٠١٥م.

١٧٦. المالك، فهد: نظرات في قضيَّة ترجمة معاني القرآن الكريم، مجلَّة البيان ٢، لندن، المنتدى الإسلاميّ، العدد ٩٦.

١٧٧. متقي زاده، عيسى؛ نبي كندي، باب الله محمّدي: «جمع القرآن من قبل النبيّ والإمام عليّ من وجهة نظر المستشرقين وأهل السنَّة»، مجلَّة دراسات استشراقيَّة (تصدر عن المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجيَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة)، بيروت، العدد ٢، خريف ٢٠١٤م.

١٧٨. نصري، أحمد: «موقف المستشرقين من لغة القرآن الكريم»، مجلَّة دعوة الحقّ، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة في المملكة المغربيَّة، العدد ٣٤٣، محرم ١٤٢٠هـ.ق/ مايو ١٩٩٩م.

خامسًا: الكتب الأجنبيّة

179. Brunschvig, Robert: Etudes d’islamologie, Paris, Maisonneuve et Larose, 1979.

180. Burton ((Abrogation)) Encyclpaedia Of The Quran.

181. Burton, John: The collection of the quran, London, Cambridge University Press, 1979.

182. Ency., of Islam.

183. Gilchrist, John, Jam Al Quran.

سادسًا: المواقع الإلكترونيّة

١٨٤. «نسخ التلاوة دون الحكم والردّ على شبهات المنكرين»، مركز سلف للبحوث والدراسات:

/salafcenter.org.

ar.wikipedia.org.

١٨٥. دياب، سعيد مصطفى: «أمثلة على أسلوب الالتفات في القرآن»، موقع شبكة الألوكة الإلكترونيّ:

www.alukah.net.

١٨٦. المغايرجي، حسن: «الترجمة اللاتينيّة الثانية للقسّ لودفيجو ماراكيوس (١٦١٢-١٧٠٠م)»، موقع «ترجمان القرآن» الإلكترونيّ، عبر الرابط الآتي:

http://turjomanquran.com/.

هذا الكتاب

يستعرض العديد من الآراء والإشكاليّات والشبهات، التي أثارها المستشرقون في علوم القرآن الكريم، ويبيّن نماذج من موارد تطبيقها، ويناقشها بعلميّة وموضوعيّة، وينقد ما يحتاج إلى النقد، ويعيد الأمور إلى مصادرها حيث تدعو الحاجة وضرورة التبيين ذلك؛ ولا سيّما في الموارد الأساسية والرئيسة التي ترتبط بقضايا مثل تعريف القرآن، وإلهيّته أو بشريّته، ومصدره، وتحريفه أو سلامته من التحريف، وغيرها من القضايا التي تعرّض لها المستشرقون في العديد من الكتب والمشاريع والدراسات. وقد راعينا في تقديم مضمونه الجنبة المنهجية التعليمية.

المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

http://www.iicss.iq

info@iicss.iq